محمد علي مشعل

# فضل الخلفاء الراشدين و الصحابة رضي الله عنهم

## و بحث في تمحيص أحداث الفتنة و تبرئة الصحابة عامة

# فضل الخلفاء الراشدين والصحابة

# رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

# وبحث في تمحيص أحداث الفتنة

# وتبرئة الصحابة عامة

طبعة تجريبية

مزيدة بتوثيق النصوص

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م

الناشر

موقع الشيخ محمد علي مشعل علىٰ الإنترنت

www.mashal.ws

contact@mashal.ws

# فضل الخلفاء الراشدين والصحابة

# رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

# وبحث في تمحيص أحداث الفتنة

# وتبرئة الصحابة عامة

تأليف

الشيخ محمد علي مشعل

رحمه الله تعالىٰ

(١٩٢٤م-٢٠١٦م)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

## فهرس المحتويات

**الموضوع** **الصفحة**


التعريف بالكتاب ..... ٩

مقدمة ..... ١٣

الخليفة الراشدي الأول أبو بكر الصديق ﷺ..... ١٩

نسبه:..... ١٩

مكانتُه وفضلُه: ..... ١٩

جهاده في حياة الرسول ﷺ:..... ٢٢

علمه: ..... ٢٥

وفاةُ رسول الله ﷺ، وخلافةُ أبو بكر ﷺ:..... ٢٨

ما وقع في أيامه من الأمور الكبار..... ٣٨

أولًا: إنفاذ جيش أسامة ﷺ..... ٣٨

ثانيًا: قتال أهل الردة ومانعي الزكاة ..... ٤٠

ثالثًا: جمعُ القرآنِ..... ٤٤

رابعًا: توجيهُ الجيوش لحرب فارس والروم ..... ٤٦

وفاته ..... ٥٠

قصة طلب فاطمة ﷺ ميراثَها من النبي ﷺ..... ٥٠

استخلافُه عمر ﷺ..... ٥٤

الخليفةُ الراشديَّ الثاني عمرُ بنُ الخطاب ﷺ..... ٦١

نسبُه ومكانَتُه ..... ٦١
إسلامُه ..... ٦١
هجرته ..... ٦٥
جهادُه مع رسول الله ﷺ ..... ٦٦
موافقات عمر رضي الله عنه لربه عز وجل ..... ٦٦
فضائلُهُ ..... ٦٨
أقوالُ الصحابةِ والسَّلفِ فيه ..... ٧٢
كراماته ..... ٧٥
صفته ..... ٧٧
خلافته وفتوحاته ..... ٧٧
استشهاده واستخلافه ..... ٨١
أوَّلِيَّات عمر رضي الله عنه ..... ٨٩
نبذ من حياة عمر رضي الله عنه ..... ٩١
التاريخ الهجري ..... ٩٣
الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه ..... ٩٧
نسبه ومكانته ..... ٩٧
إسلامه ..... ٩٧
صفاته الخَلقية ..... ٩٨
صفاته الخُلقية ..... ٩٩

قصة عِير عثمان ﷺ ..... ١٠٠
فضائله ﷺ ..... ١٠١
هجرتُه للحبشة ﷺ ..... ١٠٢
جهاده مع رسول الله ﷺ ..... ١٠٢
شراؤُه بئر رومة وتجهيزُه جيشَ العسرة ..... ١٠٢
حالُ الأُمّةِ في عهد عثمان ﷺ ..... ١٠٤
كيف تمَّ انتخاب عثمان ﷺ ..... ١٠٥
شهادتُه ..... ١٠٧
السبئيون قتلة عثمان ﷺ ..... ١٠٨
الأباطيل المفتراة على عثمان ﷺ والرد عليها ..... ١٢٦
الخليفة الراشدي الرابع علي بن أبي طالب ﷺ ..... ١٣٧
نسبه ومكانته ..... ١٣٧
بيعةُ عليٍّ بالخلافة ..... ١٤١
وأمْرُ طلحة والزبير ومن لحق بهما مهم جدًا ..... ١٤٣
معركة الجمل ..... ١٤٥
معركة صفين ..... ١٦٠
فضل أهل الشام ..... ١٦٨
قصَّةُ التحكيم ..... ١٦٩
الخوارج والقضاء عليهم في يوم النهروان ..... ١٧٣

استشهادُ عليٍّ ﷺ ..... ١٧٧
موقفُ السبئيين من استشهاد علي ﷺ ..... ١٧٩
استخلاف الحسن بن علي ﷺ وتنازله لمعاوية ﷺ في عام الجماعة .... ١٨٥
خصالُ معاوية ﷺ واستخلافُه لابنه يزيد ..... ١٨٨
أخبارُ الحسينِ بنِ عليٍّ ﷺ ..... ٢٠٨
نُبَذٌ مُهمَّة منقولةٌ من البدايةِ والنَّهايةِ بشأنِ خروجِ الحسين ..... ٢١٣
موقعةُ الحرَّةِ ..... ٢٢٠
حرقُ الكَعْبَةِ ..... ٢٢٤
ما بعد يزيد بن معاوية ..... ٢٣١
عبدُ الله بنُ الزُّبير ..... ٢٣٢
مروانُ بنُ الحكم ..... ٢٣٣
عبدُ الملك بنُ مروان ..... ٢٣٣
نهايةُ عبدِ الله بنِ الزُّبير ﷺ ..... ٢٣٥
الخوارجُ ..... ٢٣٨
قِصَةُ استشهادِ الحسينِ بنِ عليٍّ ﷺ وخيوطُ المؤامرةِ السبئيَّةِ ..... ٢٤١
وأخيرًا ..... ٢٥٠
خلاصة ما نقل في صورة القتل ..... ٢٥١
**مصادر الكتاب** ..... ٢٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم

## التعريف بالكتاب

يهدف هذا الكتاب إلىٰ بيان الحق فيما جرىٰ بين الصحابة ﷺ أجمعين من فتن وأحداث عظيمة، قضىٰ فيها كثير منهم ومن آل بيت النبي ﷺ.

ولأن كثيرًا من هذه الفتن والأحداث رواها المغرضون مثيرو الفتنة أنفسهم، ثم رواها عنهم الثقات؛ فقد بات من الصعب المواءمة بين ما ورد في الروايات الكثيرة المدسوسة من قدح في الصحابة وفي سيرتهم ﷺ أجمعين، وبين الصورة البيضاء الناصعة التي رسخها القرآن الكريم تجاههم. قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1]، ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[2]، ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[3].

ويصبح هذا الهدفُ أكثر إلحاحًا عندما يطلق بعض الناس للألسنة العنانَ في تقويم تلك الأحداث العظيمة التي جرت بين الصحابة ﷺ غافلًا عن ثوابت الأمة تجاه خير القرون، والمجتمع القدوةِ كما رسخها القرآن، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا

---

(١) التوبة: ١٠٠.

(٢) الفتح: ١٨.

(٣) الفتح: ٢٩

بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾[1]، وأكد عليها المصطفىٰ عليه الصلاة والسلام: ((لا تسبوا أصحابي فلو أنَّ أحدَكم أنفق مثل أحدٍ ذهبًا ما بلغَ مُدَّ أحدِهم ولا نَصِيفَه))[2].

وقد جعل الوالد المؤلف ﷺ هذا الهدفَ من أولوياته، وخصص جانبًا من نشاطه العلمي والدعوي لتجلية الحق في هذا الموضوع إلىٰ أن وضع هذا الكتاب المختصر، الذي كان موضوعَ عددٍ من الحلقات العلمية التي أقامها الوالد في المدينة، وجدةَ، ومكةَ، ابتداء من عام ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م. وكان للوالد دور مهمٌّ في تصحيح كتب التاريخ الإسلامي في المعاهد العلمية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فيما يتعلقُ بهذه الأحداث أثناء عمله أستاذًا في جامعة الإمام في المدينة المنورة.

وقد أودعَ الوالدُ المؤلف في هذا الكتاب جوانب من فضل الصحابة، والخلفاء الراشدين: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ أجمعين، واعتنىٰ ببيان كيفية استخلاف كل منهم، وتناول بالتمحيص والتحليل خيوط الفتنة التي وقعت في عهد الصحابة ﷺ أجمعين، ابتداءً من مقتلِ ثالثِ الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان ﷺ، ومرورًا بفتنة الجمل بين السيدة عائشة ﷺ، وسيدنا علي ﷺ، ومعركةِ صِفِّين بين علي ومعاوية ﷺ وتنازلِ الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية ﷺ في عام الجماعة، واستخلافِ معاوية ﷺ لابنه يزيد، وانتهاء بمقتل الحسين بن

(١) الحشر: ١٠.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٩٧)، ومسلم (٤٦١٠).

علي ﷺ. واختتم الكتابَ بتحليل يجمعُ بين خيوطِ المؤامرة السبئية التي كانت فاعلةً في جميع تلك الأحداث.

وقد أراد الوالدُ من هذا الكتاب أن يكون دليلًا للدعاة، والناشئة من شباب وشابات الأمة، يغرس في نفوسهم حب الصحابة، وفضلَهم، ويأخذ بأيديهم إلىٰ جادة الصواب في الأحداث التي جرت بينهم. وكان حريصًا علىٰ نشره، وتوزيعه، وتبليغه للأمة لما رآه رحمه الله من زلَّات، وهَنَات، يرددها بعضٌ ممن خفيت عنهم الحقيقة، ووقعوا فريسةً للروايات المدسوسة في التاريخ الإسلامي.

وقد تشرفتُ بالعناية به علىٰ هذا النحو الذي هو عليه تحقيقًا لرغبة الوالد. وأرىٰ أن هذا الكتاب بمستوىٰ كتابٍ منهجي لمادة تاريخ الخلفاء الراشدين في المعاهد، والمدارس، والجامعات، والجمعيات العلمية.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، والتابعين، وتابعيهم بإحسان إلىٰ يوم الدين. والحمد لله رب العالمين.

د. عبدالباري محمد علي مشعل

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

الحمد لله، وصلَّىٰ اللهُ وسلم علىٰ سيدنا محمدٍ رسولِ الله، وعلىٰ آله وصحبه، والتابعين، ومن والاه، وبعد:

فقد قال ﷺ: ((خيرُ أمتي قرني، ثم الذي يَلونَهُم، ثم الذين يَلونَهُم))[1]. وفي رواية: ((خير النَّاس قرني، ثم الذين يَلونَهُم، ثم الذين يَلونَهُم))[2].

وروىٰ البزار: ((إن الله اختار أصحابي علىٰ العالمين، سوىٰ الأنبياء والمرسلين)). فصحابة النبي ﷺ -رضوان الله عنهم- خيرُ الناس بعد الأنبياء والمرسلين. وواجبنا نحن المسلمينَ أن نحبَّهم، ونحترمَهم، ونحسنَ الظنِّ بهم[3].

فهم الذي نقلوا لنا القرآنَ العظيمَ والسنَّة النبويَّة المطهرةَ. ومنهم الذين هاجروا وجاهدوا، ومنهم الذين آووا ونصروا، وهم الذين مدحَهُم القرآنُ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٢٩)، ومسلم (٢٥٣٣).

(٣) كشف الأستار عن زوائد البزار (٢٧٦٣). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٣٨٣): "رجاله ثقات وفي بعضهم خلاف".

(٤) التوبة: ١٠٠.

وقال أيضًا: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾[1].

وواجبُنَا أن ندعوَ لهم مع الاحترامِ، والتقديرِ، وحسنِ الظنِّ، وصدق المحبة حتىٰ نكون من الذين قال الله فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

وهم الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: ((لا تسبُّوا أصحابي، فلو أنَّ أحدَكُمْ أنفقَ مثلَ أُحُدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدِهِمْ، ولا نَصِيفَه))[3].

فصحابةُ رسول الله ﷺ كلُّهُمْ عدولٌ ثقاتٌ مؤمنونَ صالحونَ. وأهلُ السنَّةِ يعتبرون كلَّ خبرٍ فيه ذمّ الصحابة: من أكاذيبِ اليهود ودسائسهم ودسائسِ المجوسِ والمنافقين.

مع أننا نقولُ: إن الصحابة ليسوا بمعصومين، ولكنَّهم محفوظون، فهم أبعدُ النَّاس عن الإثم، ولهم من الجهادِ، والبذلِ، والتضحيةِ ما يدفعُ كلَّ عاقلٍ

---

(١) الحشر: ٨، ٩.

(٢) الحشر: ١٠.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، مسلم (٢٥٤٠).

إلىٰ تقديرهم. وهم قد يخطئون في الاجتهادِ بنيَّةٍ حسنةٍ لمصلحة الأمة، ودينِها، فيكون للمصيبِ منهم أجران، وللمخطئ أجرٌ واحدٌ.

وهم كانوا غُرَّةً في جبين الزمانِ، ونورًا أضاء سطورَ التاريخ.

وما وقع من الفتنِ، والحروبِ، وقتلِ الخلفاء: عمرَ، وعثمانَ، وعليٍّ، وقتلِ طلحةَ، والزبيرِ، والحسينِ ﷺ، إنما كان بتخطيط أعداءِ الإسلام الحاقدين عليه، من اليهودِ، والمجوسِ، والمنافقين. فهم قُتِلوا شهداء، وما تحاربوا إلا علىٰ اجتهادٍ، وكلُّ أعمالهم أرادوا بها وجهَ اللهِ، فمن أصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجرٌ واحدٌ.

وسأتحدثُ عن أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعليٍّ ﷺ، وعن معاوية ﷺ باختصار، محللًا بعض المواقف، مبتغيًا وجه الله تعالىٰ في إظهار الحقِّ الذي قد يخفىٰ علىٰ بعض الناس، واللهَ أسأل أن يسدِّدني ويوفِّقني لما فيه رضاه.

محمد علي مشعل

# الفصل الأول

# الخليفة الراشدي الأول

# أبو بكر الصديق رضي الله عنه

# الخليفة الراشدي الأول

# أبو بكر الصديق ﷺ

نسبه:

أبو بكر: هو عبد الله بن أبي قحافة التيمي ﷺ، وأبو قحافة اسمُهُ: عثمان، وهو صحابي ﷺ.

فهو عبد الله بنُ عثمانَ بنِ عامر بنِ عمرو بنِ كعب بنِ سعد بنِ تيم بن مرة، يجتمع مع النبي ﷺ في مرة بن كعب.

وأمُّه: سلمىٰ، أم الخير بنت صخر بن مالك بن عامر، أسلمت، وهاجرت، وهي صحابيةٌ ﷺ[1].

مكانتُه وفضلُه:

هو أوَّلُ من أسلم من الرجال، قال ﷺ: ((ما دعوتُ أحدًا إلىٰ الإسلامِ إلا كانت عنده كبوةٌ وتردد ونظر، إلا أبا بكر، ما عتم[2] عنه حين ذكرته له وما تردد فيه))[3].

---

(١) فتح الباري ٧/ ٩.

(٢) عتم: أبطأ

(٣) أخرجه ابن اسحاق في السّيرة ص ١٣٩. وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٠/ ٤٤، والبيهقي في دلائل النبوة (٤٦٥) ثم قال: "وهذا لأنه كان يرىٰ دلائل نبوة النبي صلىٰ الله عليه وسلم، ويسمع آثاره قبل دعوته، فحين دعاه كان قد سبق فيه تفكره ونظره فأسلم في الحال".

ولُقِّبَ بالصِّدِّيق لسبقه إلىٰ تصديق النبي ﷺ، ولأنه صدَّقَ النبيَّ ﷺ ليلةَ الإسراء، كما كان دائمَ التَّصديق له في جميع أقوالِهِ وأفعالِهِ.

وعن علي ﷺ أنه كان يحلفُ: لله أنزل اسمَ أبي بكر من السماء الصَّدِّيق[1].

وعُرِفَ بالعتيق لحُسْنِهِ، وجمالِ وجههِ في الجاهلية. وعُرِف في الإسلامِ بالعتيقِ؛ لأنَّ الرسول ﷺ بشَّره بالعتقِ من النار[2].

وُلِدَ بعد عامين وستة أشهر، أو بعد ثلاثة أعوام من عام الفيل علىٰ وجه التقريب.

وأفضل الصحابة بعد النبيِّ ﷺ: الخلفاء الراشدين: أبو بكر، وعمرُ، وعثمانُ، وعليٌّ ﷺ. وترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة رضوان الله عنهم أجمعين.

وعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: كنّا في زمن النبي ﷺ لا نَعْدِلُ بأبي بكرٍ أحدًا، ثمَّ عمر ثمَّ عثمان، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نُفَاضِلُ بينهم[3].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٤) قال في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٤٢٩٥): "رجاله ثقات"، وكذا قال في فتح الباري (٧/ ٩).

(٢) جاء من حديث عائشة ﷺ عند الترمذي (٣٦٧٩) أن أبا بكر ﷺ دخل علىٰ رسول الله ﷺ فقال: ((أنت عتيق الله من النار)) فيومئذ سمي عتيقًا، وصححه ابن حبان (٦٨٦٤).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٩٧).

وقال أبو منصور -من أكابر أئمة الشافعية-[1]: أجمع أهل السنة، والجماعة علىٰ أن أفضل الصحابة: أبو بكرٍ، فعمرُ، فعثمان، فعليٌّ، فبقيةُ العشرة المبشرين بالجنة، فأهلُ بدرٍ، فباقي أهلِ أحدٍ، فباقي أهلِ بيعةِ الرضوان بالحديبية، فباقي الصحابة ﷺ[2]. والظاهر أَنَّهُ لو لم يكن لهم دليلٌ علىٰ ذلك لما حكموا به.

كان أبو بكر ﷺ أقربَ النَّاس إلىٰ رسول الله ﷺ في أخلاقِه وصفاته، واشْتُهِرَ بالخُلُق الكريم منذ نعومة أظفاره، وكان منذ نشأته يحتقر الأصنام، فقد روي عنه أنه قال: "لما ناهزتُ الحُلُمَ (البلوغ) أخذني أبي (أبو قحافة) بيدي، فانطلق بي إلىٰ مكانٍ توجدُ فيه الأصنام، فقال: يا بني، هذه آلهتك الشمُّ العوالي، وخلاَّني عندها، وذهب، فدنوتُ من الصنم، وقلت: إني جائع، فأطعمني، فلم يجبني، فقلت: إني عارٍ، فاكسُني، فلم يجبني، فألقيت عليه صخرةً، فخرَّ علىٰ وجهه"[3]. وكان يستخفُّ بعقولِ من يقدسونَها، ويعبدُونها، وهذا دليلٌ علىٰ عقله ورَوِيَّته ﷺ.

(١) هو عبدالقاهر بن طاهر البغدادي: متكلم من أئمة الأصوليين، ومن أعيان الشافعية. توفي سنة ٤٢٩ هـ.

(٢) نقله عنه ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة (٢/ ٦١٧).

(٣) نقله القاري في مرقاة المفاتيح (٩/ ٣٨٩) عن كتاب أنباء نجباء الأبناء لابن ظفر.

كما أنه لم يشرب خمرًا قط، وقد سُئِل: لِمَ كان يتجنَّبُها في الجاهلية؟ فقال: "كنت أصونُ عرضي، وأحفظُ مروءتي، فإنَّ من شربَ الخمر كان مضيَّعًا في عرضه، ومروءته"[1].

وكان ﷺ أليفًا، ودودًا، حَسَنَ المعاشرة. وكان مطبوعًا علىٰ التواضع، ولِين الجانب، فلم يتعالَ علىٰ أحدٍ قطُّ في جاهليتِه ولا في إسلامِه، فإذا مدحه مادحٌ زاده ذلك تواضعًا، وقال: "اللهم أنت أعلم بي مني بنفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم. اللهم اجعلني خيرًا مما يحسنون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون"[2].

جهاده في حياة الرسول ﷺ:

أُوذِيَ من قِبَلِ المشركين، ولَقِيَ ألوانًا قاسيةً من التعذيبِ، فما وَهَنَ لما أصابَهُ في سبيل الله، وما استكان.

لما انتصر لرسول الله ﷺ وقال: أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله؟! فضربه عتبة ضربًا شديدًا حتىٰ تورم وجهه وخفيت معالم وجهه وأغمي عليه، وحمل إلىٰ البيت ولا يُظنُّ إلا أنه مات فلما أفاق قال: أخبروني ما فعل رسول الله ﷺ؟ فلاموه وعنفوه وأرادوا أن يطعموه فأقسم لا يذوقنَّ طعامًا ولا شرابًا حتىٰ يرىٰ

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٠/ ٣٣٣).

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٠/ ٣٣٢).

رسول الله ﷺ وخرج يتكئ حتىٰ دخل علىٰ رسول الله ﷺ فرقَّ له الرسول ﷺ رقةً شديدةً وانكبَّ عليه يقبله فطلب أبوبكر من الرسول ﷺ أن يدعو أمَّه إلىٰ الإسلام حتىٰ يستنقذها الله به من النار[1].

وكان أبو بكر ثاني اثنين في الإسلام، وثاني اثنين إذ هما في الغار (غار ثور)، وثاني اثنين في العريش يومَ بدرٍ، وثاني اثنين في كلِّ معركة بين رسول الله ﷺ والمشركين. وفي حديث البراء ﷺ: قال أبو بكر: "ثم قلت: قد آن الرحيل يا رسول الله". قال: ((بلىٰ)). فارتحلنا والقومُ يطلبوننا، فلم يدركنا أحدٌ منهم غير سراقة بن مالك بن جُشْعم علىٰ فرسٍ له، فقلتُ: "هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله". فقال: ((لا تحزن إن الله معنا))[2].

وعن أبي بكر ﷺ قال: قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار: "لو أحدُهُم نظرَ تحت قدميه لأبصرَنا". فقال: ((ما ظنُّكَ يا أبا بكرٍ باثنين اللهُ ثالثُهما؟!))[3].

وقال ﷺ: ((إنَّ مِنْ أَمَنِّ الناس عَليَّ في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنتُ متَّخِذًا خليلًا غيرَ ربي لاتَّخذْتُ أبا بكر، ولكن أخوّة الإسلام ومودته، لا يبقينَّ في المسجد بابٌ إلَّا سُدَّ إلا باب أبي بكر))[4].

---

(١) السيرة الحلبية (٢/ ٤٧٢-٤٧٥-٤٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٥٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٥٣).

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٥٤).

وقد أتت امرأةٌ النبيَّ ﷺ فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك -كأنها تقول الموت- قال ﷺ: ((إن لم تجديني فأتِ أبا بكر))[1].

وعن عمر ﷺ أنه قال حين طُعِنَ: "إن أَسْتَخْلِفْ فقد استخلفَ من هو خيرٌ مني -يعني: أبا بكر ﷺ -، وإن أتركْكُمْ فقد تركككم من هو خيرٌ مني[2]-يعني رسول الله ﷺ-".

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠﴾[3].

جاء في تفسير ابن كثير: "ذكر غير واحد من المفسرين أنَّ هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ، حتىٰ إن بعضهم حكىٰ الإجماعَ من المفسرين علىٰ ذلك"[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢١٨)، ومسلم (١٨٢٣).

(٣) الليل: ١٧-٢٠.

(٤) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٢٢).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما نفعني مالٌ قطُّ ما نفعني مالُ أبي بكر))، فبكىٰ أبو بكر، وقال: "هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله"[1].

وعن عائشة ﷺ أن أبا بكر ﷺ أعتق سبعةً كلهم يُعَذَّب في الله، منهم بلال وعامر بن فهيرة ﷺ[2].

وعن عمرَ بن الخطاب ﷺ قال: أمرنا رسولُ الله ﷺ أن نتصدَّق، فوافق ذلك مالًا عندي، قلت: اليومَ أسبقُ أبا بكر إنْ سبقته يومًا. فقال رسول الله ﷺ: ((ما أبقيتَ لأهلك؟)) قلت: مثلَه، قال: وأتىٰ أبو بكر بكل ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: ((ما أبقيت لأهلك؟)) قال: "أبقيتُ لهم اللهَ ورسوله". فقلتُ: لا أسابقُك إلىٰ شيءٍ أبدًا[3].

علمه:

قال النووي في تهذيبه[4]: استدلَّ أصحابنا علىٰ عظيم علمه بقوله: "والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة، فإنَّ الزكاةَ حقُّ المال. واللهِ لو منعوني عقالًا

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٦١)، وقال: حديث حسن، وابن ماجه (٩٤) واللفظ له، وأخرجه أحمد (٧٤٤٦). وأخرجه عبد الرزاق عن سعيد بن المسيب مرسلًا (٢٠٣٩٧) وزاد: ((وكان رسول الله ﷺ يقضي في مال أبي بكر كما يقضي في مال نفسه)).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣١٩٣٩)، والطبراني في الكبير (١٠٠٨).

(٣) أخرجه أبو داود (١٦٧٨) والترمذي (٣٦٧٥) وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٤) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٤٧٩).

كانوا يؤدونه إلىٰ رسول الله ﷺ لقاتلتهم علىٰ منعه"[1]. واستدل أبو إسحاق[2] وغيره بهذا علىٰ أنَّ أبا بكرٍ أعلمُ الصحابة[3]. انتهىٰ كلام النووي.

وقد نقل ابن كثير[4] أن الصدِّيقُ ﷺ كان أقرأَ الصحابة، أي: أعلمهم بالقرآن لأنه عليه الصلاة والسلام قدَّمهُ إمامًا للصلاة بالصحابة ﷺ مع قوله: ((يؤم القوم أقرؤُهم لكتاب الله))[5].

وعن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: ((لا ينبغي لقومٍ فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره))[6].

وكان مع ذلك أعلمهم بالسنة[7].

وكان الصديق ﷺ أعلم الناس بأنساب العرب لا سيما قريش[8].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٥٥) ومسلم (٣٢).

(٢) هو إبراهيم بن علي أبو إسحاق الشيرازي، شيخ الشافعية في وقته. توفي سنة ٤٧٦هـ.

(٣) وكلام أبي إسحاق هو في كتابه: طبقات الفقهاء لأبي إسحاق الشيرازي ص (٣٦).

(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٢٤).

(٥) رواه مسلم (٦٧٣).

(٦) أخرجه الترمذي (٣٦٧٣).

(٧) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص (٣٧).

(٨) المرجع السابق، ص (٣٧).

ومن الدلائلِ علىٰ أنَّه أعلمُ الصحابة: حديثُ صلحِ الحديبية حيث سألَ عمرُ رسولَ الله ﷺ عن ذلك الصلح، فأجابه النبيُّ ﷺ، ثم ذهب إلىٰ أبي بكر، فسأله عما سأل رسول الله ﷺ، فأجابه كما أجابَهُ النبيُّ ﷺ سواءً بسواءٍ[1].

وقال النووي في تهذيبه: "الصِّدِّيق من كبار الصَّحابةِ الذي حفظوا القرآن كله"[2].

وعن عائشة ﷺ قالت: قال لي رسول الله ﷺ: ((ادع لي أباك وأخاك حتىٰ أكتب كتابًا، فإنِّي أخاف أن يتمنَّىٰ متمنٍّ، ويقول قائلٌ: أنا أولىٰ، ويأبىٰ اللهُ والمؤمنون إلا أبا بكر))[3].

وعن أبي موسىٰ الأشعريِّ ﷺ قال: مرضَ النبي ﷺ، فاشتد مرضه، فقال: ((مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس))، قالت عائشة ﷺ: "يا رسول الله، إنه رجلٌ رقيقُ القلبِ، إذا قام مقامَكَ لم يستطع أن يُصلِّيَ بالنَّاس". فقال: ((مُرِوا أبا بكر فليصلِّ بالناس)). فعادت، فقال: ((مُري أبا بكر فليصلِّ بالناس، فإنكنَّ

(١) أخرجه مسلم (١٧٨٥)، وذلك يوم صلح الحديبية.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٤٨٠).

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٨٧).

صواحبُ يوسف)). فأتاه الرسولُ، فصلَّىٰ بالنَّاسِ في حياة النَّبي ﷺ[1]. وهذا الحديث متواتر[2].

وفي حديث ابن زمعةَ ﷺ أن النبيَّ ﷺ أمرهم بالصلاة، وكان أبو بكر ﷺ غائبًا، فتقدَّمَ عمرُ ﷺ فصلَّىٰ، فقال النبي ﷺ: ((فأين أبو بكر؟ يأبىٰ الله والمسلمونَ ذلك))[3].

قال العلماء: في هذا الحديث أوضحُ دلالةٍ علىٰ أنَّ الصِّدِّيقَ أفضلُ الصحابةِ علىٰ الإطلاق، وأحقُّهم بالخلافة، وأولاهم بالإمامة[4].

وفاةُ رسول الله ﷺ، وخلافةُ أبو بكر ﷺ:

عن عائشة ﷺ أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسُّنْح[5] –قال إسماعيل (راوي الحديث): بالعالية–، فقام عمرُ ﷺ يقول: "والله ما مات رسول الله ﷺ". قالت:

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٨)، ومسلم (٤٢٠).

(٢) نقل ابن حجر الهيتمي تواتره في الصواعق المحرقة (١/ ٥٩).

(٣) أخرجه الحاكم في لمستدرك علىٰ الصحيحين (٦٧٠٣)، وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه. وورد أيضًا من حديث عائشة وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وابن زمعة وأبي سعيد وعلي وحفصة ﷺ وقد سيقت طرقهم في الأحاديث المتواترة.

(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص (٥٢).

(٥) السنح: مكان بعوالي المدينة كما في صحيح البخاري. وعوالي المدينة أو العالية: أحد أحياء المدينة المنورة، يطلق تاريخيًا علىٰ المنطقة الواقعة في الجهة الشرقية والجنوبية الشرقية من المدينة.

وقال عمرَ: واللهِ ما كان يقعُ في نفسي إلا ذاك. "وليبعثنَّهُ اللهُ فليقطعنَّ أيدي رجالٍ، وأرجلهم".

فجاءَ أبو بكر ﷺ، فكشف عن رسول الله ﷺ، فقبَّلَهُ، فقال: "بأبي أنت وأمي، طبتَ حَيًّا وميْتًا. والذي نفسي بيده: لا يذيقك الله الموتتين أبدًا". ثم خرج فقال: "أيها الحالفُ علىٰ رسلك". فلمَّا تكلَّمَ أبو بكر جلسَ عمرُ ﷺ.

فحمد الله أبو بكر، وأثنىٰ عليه، ثم قال: "أمَّا بعد، أيَّها النَّاس، من كان يعبد محمَّدًا ﷺ فإنَّ محمدًا قد ماتَ، ومن كان يعبدُ الله فإنَّ الله حيٌّ لا يموتُ".

وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[1]، وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[2]. فخرج النَّاسُ يتلونها في سككِ المدينة كأنَّها لم تنزل إلا ذلك اليوم.

قال: فنشج النَّاسُ يبكون[3]، قال عمرُ ﷺ: "فواللهِ ما إن سمعتُ أبا بكر تلاها، فهويتُ إلىٰ الأرض ما تحمِلُني قدماي، وعلمتُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قد مات".

---

(١) الزمر: ٣٠.

(٢) آل عمران: ١٤٤.

(٣) قال في القاموس: "نشج الباكي: غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب".

قال: واجتمعتِ الأنصارُ إلىٰ سعدِ بنِ عبادةَ، فقالوا: "منَّا أميرٌ، ومنكم أميرٌ". فذهب إليهم أبو بكر، وعمرُ، وأبو عبيدة بن الجرَّاحِ.

فذهبَ عمرُ يتكلَّمُ، فأسكته أبو بكر. وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أنِّي قد هيأتُ كلامًا قد أعجبني، خشيتُ أن لا يبلغه أبو بكر. ثم تكلَّمَ أبو بكر، فتكلَّمَ أبلغُ النَّاسِ. واللهِ ما تركَ من كلمةٍ أعجبتني إلا قال في بداهته مثلَها، أو أفضلَ منها حتىٰ سكت.

فذكر فضلَ الأنصار، وأشار إلىٰ ما قاله سعدُ بنُ عبادة ﷺ: "أما بعد فنحنُ أنصارُ اللهِ وكتيبةُ الإسلامِ".

قال أبو بكر ﷺ: "أما ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهلٌ. ولن تعرفَ العرب هذا الأمر إلا لهذا الحيِّ من قريشٍ، هم أوسطُ العرب نسبًا ودارًا. وقد رضيتُ لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيهما شئتم". وأخذَ بيدي وبيد أبي عبيدةَ بنِ الجرَّاح، وهو جالسٌ بيننا، ولم أكره شيئًا مما قاله غيرَها، كان –والله– أن أُقدَّم فتُضربَ عنقي لا يُقرِّبُني ذلك إلىٰ إثم أحبَّ إليَّ من أن أتأمَّر علىٰ قوم فيهم أبو بكر.

قال قائل من الأنصار: "أنا جُذَيْلُها[1] المُحَكَّك، وعُذَيقُها المُرَجَّب[2]. منَّا أمير، ومنكم أميرٌ، يا معشر قريش".

قال: وكثر اللَّغطُ، وارتفعت الأصواتُ، حتىٰ تخوَّفتُ الاختلاف، فقلت: "ابسطْ يدك يا أبا بكرٍ، فبسط يده، فبايعتُهُ، ثم بايعه المهاجرون، ثم بايعه الأنصارُ"[3].

وعن أنس ﷺ قال: لما بويع أبو بكر في السقيفةِ، وكان الغدُ، جلس أبو بكرٍ علىٰ المنبر، فقام عمرُ، فتكلَّمَ قبل أبي بكر، فحمد الله، وأثنىٰ عليه بما هو أهله، ثم قال: "أيُّها النَّاسُ، إني قلتُ لكم بالأمس مقالةً، ما كانت مما وجدتُها في كتاب الله، ولا كانت عهدًا عهدَ إليَّ رسولُ الله ﷺ، ولكني قد كنتُ أرىٰ أنَّ رسول الله ﷺ سيدبِّرُ أمرنا". يقول: يكون آخرنا. "وإن اللهَ قد أبقىٰ فيكم كتابه الذي به هدىٰ اللهُ رسول ﷺ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له، وإن الله قد جمع أمركم علىٰ خيركم: صاحبِ رسول الله ﷺ، ثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه، فبايع النّاسُ أبا بكر بيعةَ العامة بعد بيعة السقيفة".

---

(١) جُذَيْلُها المحك: الجذيل: هو تصغير جِذْل، وهو العود الذي ينصب للإبل الجربىٰ لتحتك به، وهو تصغير تعظيم: أي أنا ممن يستشفىٰ برأيه كما تستشفىٰ الإبل الجربىٰ بالاحتكاك بهذا العود (النهاية في غريب الحديث والأثر لابن أثير الجزري (١/ ٢٥١).

(٢) المرجب: المعظم.

(٣) تاريخ الطبري (٣/ ٢٠٥). وكثير منه في صحيح البخاري (٣٦٦٧)، وطبقات ابن سعد (٣/ ٦١٥).

فتكلَّمَ أبو بكر ﷺ فحمدَ الله، وأثنىٰ عليه بالذي هو أهله، ثم قال: "أمَّا بعد، فيا أيها الناس: إني قد وُلِّيتُ عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنتُ فأعينوني، وإن أسأتُ فقوِّموني. الصدقُ أمانةٌ، والكذبُ خيانةٌ. والضعيفُ فيكم قويٌّ عندي حتىٰ أُعيدَ عليه حقَّهُ -إن شاء الله- والقويُّ فيكم ضعيفٌ عندي حتىٰ آخذ الحقَّ منه إن شاء الله. لا يدع قومٌ الجهادَ في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذلِّ، ولا تشيعُ الفاحشة في قومٍ قطُّ إلا عمَّهمُ الله بالبلاء. أطيعوني ما أطعتُ الله ورسوله، فإن عصيتُ الله ورسولَه فلا طاعةَ لي عليكم. قوموا إلىٰ صلاتكم يرحمكم الله"[1].

وقد جاء في خطبةَ أبي بكر ﷺ يوم السقيفة:

يا أيُّها النَّاسُ، نحن -المهاجرين- أوَّلُ الناسِ إسلامًا، وأكرمُهم أحسابًا، وأوسطُهم دارًا، وأحسنُهم وجوهًا، وأكثرُهم ولادة في العرب، وأمسُّهم رَحِمًا برسول الله ﷺ. أسلمنا قبلكم، وقُدِّمْنا في القرآن عليكم، فقال تبارك وتعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾[2] فنحن المهاجرون، وأنتم الأنصار، إخوانُنا في الدين، وشركاؤُنا في الفيء،

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٢١٠) ونقلها ابن كثير في البداية والنهاية (٥/ ٢٤٨): عن ابن إسحاق وقال: إسناده صحيح.

(٢) التوبة: ١٠٠.

وأنصارُنا علىٰ العدوِّ. وأما ما ذُكر فيكم من خيرٍ، فأنتم له أهلٌ. وأما العربُ فلن تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، فمنَّا الأمراءُ، ومنكم الوزراءُ[1].

إنَّ رسول الله ﷺ قال: ((الأئمةُ من قريش))[2]. ((إن هذا الأمر في قريش، لا يعاديهم أحدٌ إلا كبَّه اللهُ علىٰ وجهه ما أقاموا الدين))[3]، ((لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان))[4].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قُبِضَ رسول الله واجتمعَ الأنصار في دار سعد بن عبادة، وفيهم أبو بكر وعمرُ ﷺ، فقامَ خطباءُ الأنصار، فجعلَ الرجلُ منهم يقول: يا معشر المهاجرين، إن رسول الله ﷺ كان إذا استعمل رجلًا منكم قرنَ معه رجلًا منا، فنرىٰ أن يليَ هذا الأمر رجلان: منا ومنكم، فتتابعت خطباءُ الأنصار علىٰ ذلك، فقام زيدُ بن ثابت ﷺ، فقال: "أتعلمون أن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين، وخليفتُه من المهاجرين؟ ونحن كنا أنصار رسول الله ﷺ، فنحن أنصارُ خليفتِه، كما كنا أنصارَهُ". ثم أخذَ بيد أبي بكر ﷺ، فقال: "هذا صاحبكُم"، فبايَعَهُ عمرُ، ثم بايَعَهُ المهاجرونَ والأنصارُ[5].

---

(١) هذه الخطبة نقلها الدكتور محمد أبو شهبة في كتابه: السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة (٢/ ٥٩٦)، وأكثرها في مسند أحمد (٣٩١).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٢٣٠٧) والحاكم في المستدرك (٦٩٦٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٠٠).

(٤) أخرجه البخاري (٧٦٢١).

(٥) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٣/ ٢١٢). والمستدرك للحاكم (٤٤٥٧).

وصَعِدَ أبو بكر ﷺ المنبر –أي في اليوم الثاني، حيثُ إنه لم يكتف بما حصل في السقيفة من البيعةِ الخاصَّةِ، فلا بُدَّ من البيعة العامَّةِ–، فنظر في وجوه القوم فلم ير الزبير، فدعا به.. فجاءه، فقال: "قلت ابن عمة رسول الله ﷺ وحواريُّه، أردتَ أن تشق عصا المسلمين؟" فقال: "لا تثريب يا خليفةَ رسول الله". فقامَ، فبايعه.

ثُمَّ نظر في وجوهِ القوم، فلم يجد عليًّا، فدعا به، فجاءَهُ، فقال: "قلت ابنُ عمِّ رسولِ الله ﷺ، وخَتَنَهُ علىٰ ابنته، أردتَ أن تشق عصا المسلمين؟" فقال: "لا تثريبَ يا خليفة رسول الله"، فبايعه[1].

وهذا هو الحقُّ في بيعة عليٍّ للصديق ﷺ، وأنه بايع في اليوم الثاني، وأما ما يُقال: إن بيعته كانت بعد ستة أشهر، فإنما كان تجديدًا للبيعة، وتوثيقًا لها[2].

وعن عبد الرحمن بن عوف ﷺ قال: خطبَ أبو بكر ﷺ فقالَ: "والله ما كنت حريصًا علىٰ الإمارة يومًا ولا ليلةً قطُّ، ولا كنتُ راغبًا فيها، ولا سألتُها الله في سرٍّ ولا علانيةٍ، ولكنِّي أشفقت من الفتنةِ، وما لي في الإمارةِ من راحةٍ، ولكن قُلِّدتُ أمرًا عظيمًا ما لي به من طاقةٍ ولا يدٍ إلا بتقويةِ الله عز وجل". قال عليٌّ والزبيرُ ﷺ: "ما غضبنا إلا لأنا قد أُخِّرنا عن المشاورةِ، وإنا نرىٰ أبا بكر أحقَّ

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٠/ ٢٧٧). تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (٥٦).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٦/ ٣٠٢).

النَّاسِ بها بعد رسول الله ﷺ؛ إنه لصاحبُ الغار وثاني اثنين، وإنا لنعلم بشرفه وكبره، ولقد أمَرَه رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حيٌّ"[1].

هذا؛ وقد كانت بيعة أبي بكر ﷺ يوم قُبض رسول الله ﷺ يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١١ من الهجرة. عَن ابن عمر ﷺ قال: (لم يجلس أبو بكرٍ الصديق في مجلس رسول الله ﷺ علىٰ المنبر حتىٰ لقي اللهَ، ولم يجلس عمرُ في مجلس أبي بكرٍ حتىٰ لقيَ اللهَ، ولم يجلس عثمان في مجلسِ عمرَ حتىٰ لقيَ الله)[2].

قال أنس ﷺ: "لما كان اليومُ الذي دخل فيه رسولُ الله ﷺ المدينةَ أضاءَ منها كل شيء، فلما كان اليومُ الذي ماتَ فيه أظلم منها كل شيء. وما نفضنا عن رسول الله ﷺ الأيدي -وإنا لفي دفنه- حتىٰ أنكرنا قلوبنا"[3].

وعن عائشةَ ﷺ قالت: "فلما قُبِضَ رسولُ الله ﷺ ارتدتْ العربُ قاطبةً، واشرأبَّ النفاقُ، والله لقد نزلَ بي ما لو نزلَ بالجبال الراسيات لهاضَها[4]، وصارَ

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٤٢٢) وقال: "صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه"، وابن كثير في البداية والنهاية (٦/ ٣٠٢)، وينظر تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (٥٧).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٧٩٢٣).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦١٨) وقال الترمذي: "هذا حديث صحيح غريب". وابن ماجه (١٦٣١). وأحمد (١٣٣١٢). قال ابن كثير في البداية والنهاية (٥/ ٢٧٤): "إسناده علىٰ شرط الصحيحين".

(٤) لهاضها: لكسرها.

أصحابُ محمَّدٍ ﷺ كأنهم مِعْزَىً مطِيرة في خَفَش[1] في ليلة مطيرة بأرض مَسْبَعَة[2]، فوالله ما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بِخَطَلِها وعَنَانِها وفَصْلِها"[3].

قال أبو بكر بن العربي: "فتداركَ اللهُ الإسلامَ والأنامَ، وانجابت الغمةُ انجيابَ الغمام، ونفذَ وعدُ الله باستئثارِ[4] رسول الله ﷺ، وإقامة دينه علىٰ التمام وإن كان قد أصاب ما أصاب من الرزية الإسلامَ – بأبي بكر الصديق ﷺ"[5].

وقال أنسُ بنُ مالكٍ ﷺ: مَرَّ أبو بكر والعباسُ ﷺ بمجلسٍ من مجالس الأنصار يبكون –والظاهر أن ذلك كان في مرض النبي ﷺ الذي مات به– فقال: ما يبكيكُم؟ قالوا: ذكرنا مجلسَ النبيِّ ﷺ منا. فدخلَ علىٰ النبيِّ ﷺ، فأخبره بذلك. قال: فخرجَ النبيُّ ﷺ وقد عصبَ علىٰ رأسه حاشيةَ بُرد، قال: فصعدَ المنبر، ولم يَصْعَدْهُ بعد ذلك اليوم، فحمدَ الله، وأثنىٰ عليه، ثم قال: ((أوصيكم بالأنصار؛

(١) قال الخطابي في غريب الحديث: مصدر خفشت عينه خفشا أي في عمىٰ وحيرة أو في ظلمة ليل أو نحو ذلك وإنما ضربت المثل بالمعزىٰ لأنها من أضعف الغنم وأصردها علىٰ الندىٰ والمطر.

(٢) مَسْبَعَة: كثيرة السباع.

(٣) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٦/ ٣٠٤).

(٤) استئثار: وفاة.

(٥) الجار والمجرور (بأبي بكر الصديق ﷺ) متعلق بقوله: فتدارك، والمعطوفات عليه: وانجابت ونفذ. والنص من العواصم من القواصم ص (٦٠).

فإنهم كَرِشي وعيبتي، وقد قضوا الذي عليهم، وبقيَ الذي لهم، فاقبلوا من مُحسِنهم، وتجاوزُوا عن مسيئهم))[1].

ومن أقوال أبي بكر ﷺ يوم السقيفة: قوله: "إن الله سمانا الصادقين، وسماكم المفلحين". إشارة لقوله تعالىٰ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾[2].

"وقد أمركم أن تكونوا معنا حيثما كنا، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾"[3]. إلىٰ غير ذلك من الأقوال المصيبةِ، والأدلَّةِ القوَّيةِ، فتذكرت الأنصارُ ذلك، وانقادت إليه، وبايعوا أبا بكر الصديق ﷺ[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٩٩). وبعده في صحيح البخاري حديث لعكرمة عن ابن عباس، وحديث لقتادة عن أنس بمعنىٰ ذلك، وقريب من ذلك في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري (٢٥١٠)، وفي سنن الترمذي عن ابن عباس (٣٩٠٤).

(٢) الآية ٨-٩ من سورة الحشر.

(٣) التوبة: ١١٩.

(٤) العواصم من القواصم ص (٦١).

وقوله: "لقد علمتم أن رسول الله ﷺ قال: ((لو سلك الناسُ واديًا، وسلكتِ الأنصارُ واديًا لسلكتُ وادي الأنصار))[1] ولقد علمتَ يا سعد[2] أن رسول الله ﷺ قال وأنت قاعدٌ: ((قريشٌ ولاةُ هذا الأمر؛ فَبَرُّ الناس تبعٌ لبرهم، وفاجرُهم تبعٌ لفاجرهم))"[3] فقال له سعد ﷺ: "صدقتَ نحنُ الوزراءُ، وأنتم الأمراءُ"[4].

ما وقع في أيامه من الأمور الكبار:

١. إنفاذ جيش أسامةَ ﷺ.
٢. قتالُ أهل الردَّة ومانعي الزكاة.
٣. جمعُ القرآن.
٤. توجيهُ الجيوشِ لحربِ فارسٍ والرومِ.

أولًا: إنفاذ جيش أسامة ﷺ:

كان الرَّسولُ ﷺ قد أمرَ بإنفاذ جيش أسامة ﷺ قبل وفاته، وخرج أسامةُ وجيشه معه حتىٰ نزلوا الجرف من المدينة علىٰ فرسخ، فضرب به عسكره،

(١) أخرجه البخاري (٤٣٣٤). ومسلم (١٠٥٩).

(٢) يخاطب أبو بكر سعد بن عبادة سيد الأنصار ﷺ.

(٣) أخرجه أحمد (١٨).

(٤) البداية والنهاية لابن كثير (٥/ ٢٤٧)، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص (٥٨).

وتقامَّ إليه الناس، وثقل رسول الله ﷺ، فأقام أسامةُ والنَّاسُ لينظروا ما الله قاضٍ في رسول الله ﷺ.

وجاء في (العواصم من القواصم) في هذا الشأن ما يأتي:

"وقال أبو بكر لأسامةَ: انفُذْ لأمر رسول الله ﷺ. فقالَ عمرُ: كيف ترسلُ هذا الجيشَ والعربُ قد اضطربتْ عليك؟ فقال: لو لعبتْ الكلاب بخلاخيل نساءِ المدينة ما رددتُ جيشًا أنفذَهُ رسولُ الله ﷺ"[1].

وعن أبي هريرةَ ﷺ قال: والله الذي لا إله إلا هو، لولا أبو بكر استُخْلِفَ؛ ما عُبِدَ اللهُ، ثم قال الثانية، ثم قال الثالثة. فقيل له: "مه يا أبا هريرة؟" فقال: إنَّ رسول الله ﷺ وجَّهَ أسامة بن زيد في سبعمائة إلىٰ الشام، فلما نزلَ بذي خشب قُبِضَ رسولُ اللهُ ﷺ، وارتدتِ العربُ حولَ المدينة، فاجتمعَ إليه أصحابُ رسول الله ﷺ، فقالوا: "يا أبا بكر، رُدَّ هؤلاء، توجه هؤلاء إلىٰ الروم، وقد ارتدت العربُ حول المدينة؟!" فقال: "والذي لا إله غيره، لو جرتِ الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ﷺ ما رددتُ جيشًا وجَّههُ رسولُ الله، ولا حللتُ لواءً عقده رسولُ الله ﷺ". فوجَّه أسامةَ، فجعل لا يمرُّ بقبيل يريدون الارتدادَ إلا قالوا: لولا أن لهؤلاء قوةً ما خرج مثلُ هؤلاء من عندهم، ولكن ندعهم حتىٰ

(١) العواصم من القواصم لابن العربي ص (٦٣)، وينظر تاريخ دمشق لابن عساكر (٢/ ٦٠). البداية والنهاية لابن كثير (٦/ ٣٠٥).

يلاقوا الرومَ، فلقوا الروم، فهزموهم، وقتلوهم، ورجعوا سالمين، فثبتوا علىٰ الإسلام[1].

ثانيًا: قتال أهل الردة ومانعي الزكاة:

جمعت حركةُ الردَّةِ بين أمرين: الخروجُ عن الدين، والانضمامُ لحركة المتنبئين. وقد جمعتهما العداوةُ للإسلام، والقضاء عليه.

وحركة المتنبئين قد ظهرت قبيل وفاة الرسول ﷺ بدافع من العصبيَّة القبلية، فظهر مسيلمةُ الكذَّابُ في بني حنيفة، وادعىٰ النُّبُوَّةَ واتبعهُ عددٌ كبيرٌ منهم.

وظهرت سجاح في بني تميم، وادَّعتِ النبوَّةَ، واتبعها قومُها من تميم وهم يعلمون كذبَها.

وظهر الأسودُ العنسيُّ في اليمن.

وقد أشاع هؤلاء المتنبئون الفسادَ في أرجاء الجزيرةِ العربيةِ، واتبعه كثيرٌ من الأعراب الذي دخلوا الإسلام خضوعًا للقوَّةِ أو تبعًا للزعماء، ولم يدخلِ الإيمانُ في قلوبهم.

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٦/ ٣٠٥). تاريخ دمشق لابن عساكر (٢/ ٦٠).

حركةُ منعِ الزكاة:

حركةُ منعِ الزكاة: خروجٌ عن حكم من أحكام الدين إن لم يُرْدَعْ صاحبه سوف يجرُّه ذلك إلىٰ تركِ الصلاة، ثم يرتد عن الدين كله.

وقد كان رأي أبي بكر ﷺ محاربةَ الجميع دون تمييزٍ، وكان هذا الرأيُ في منتهىٰ الحزم، وفي منتهىٰ الخيرِ والحكمةِ، فعقد إحدىٰ عشرة رايةً، وسيرها ﷺ. وقال له عمرُ ﷺ وغيره: "إذا منعك العربُ الزكاةَ فاصبرْ عليهم". فقال: "واللهِ لو منعوني عقالًا كانوا يؤدُّونه إلىٰ رسول الله ﷺ لقاتلْتُهم عليه، والله لأقاتلنَّ من فرَّق بين الزَّكاة، والصَّلاة"[1].

وكتب أبو بكر ﷺ للمرتدين كتبًا، وأرسل بهذه الكتب رسلًا يتقدمون الجيوشَ ليقرؤوه علىٰ الناس حتىٰ يفتح لهم باب الرجوع إلىٰ الحق، ويتيح لهم الفرصة لكي يتدبَّروا أمرهم، وحتىٰ يبرئ ذمَّتَهُ أمامَ الله قبل أن تقع الحرب، وتراق الدماء.

وقد كانت الكتب موحدة جاء فيها: "وقد بلغني رجوعُ من رجع منكم عن دينه جهالةً بأمر الله، واستجابةً للشيطان، وقد قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿إِنَّ

(١) قول عمر وردُّ الصديق عليه ﷺ من العواصم من القواصم ص (٦٣)، وأصله في البخاري (٦٩٢٤)، ومسلم (٣٢).

ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[1].

وإنِّي قد بعثتُ إليكم فلانًا في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، وأَمَرْتُه أن لا يقاتل أحدًا ولا يقتلَهُ حتىٰ يدعوه إلىٰ داعية الله، فمن استجابَ له وأقرَّ وكفَّ وعمل صالحًا قَبِلَ منه، وأعانه عليه، ومن أبىٰ أَمَرْتُ أن يقاتِلَهُ علىٰ ذلك"، إلىٰ أن قال: "ولا يُقبَلُ من أحد إلا الإسلام، فمن اتبعه فهو خيرٌ له، ومن تركه فلن يُعْجِزَ الله"[2].

وقد تقدمت الرسل بهذا الكتاب أمام الجيوش، ونفذَّتْ الجيوشُ كلَّ ما جاء به في حزمٍ ودقَّةٍ، ووقعتْ اصطداماتٌ هائلةً بين جيوش المسلمين، وبين جيوش المترددين من المرتدين، وأتباع المتنبئين، وتجلَّىٰ إيمانُ المؤمنين في أروع صورةٍ.

وقبل مرورِ عامٍ قُطِعَ دابرُ الفتنة، وعاد المرتدُّون إلىٰ الدين، وعادت للإسلام قوتُه وازدهارُه في أنحاء الجزيرة، وعلتْ كلمةُ التوحيدِ، وذلك بفضل الله وبفضل ما وهب الله للصدِّيقِ من إيمانٍ وحزمٍ، فنصرَ الله به الإسلام.

وحروب الردة بدأت سنة ١١ هجرية، وانتهت ١٢ هجرية.

---

(١) فاطر: ٦.

(٢) تاريخ الطبري (٣/ ٢٥١).

وقد أورد صاحب العواصم من القواصم[1] حول قتال مانعي الزكاة ما يأتي:

لمَّا مضىٰ جيش أسامة ﷺ في طريقه إلىٰ شرق الأردن جعلت وفودُ القبائلِ تقدُمُ المدينةَ يُقِرُّون بالصلاة، ويَمتنِعُون عن أداء الزكاة.

ومنهم من احتجَّ بقوله تعالىٰ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ﴾[2]، قالوا: "فلسنا ندفع زكاتنا إلا إلىٰ من صلاتُهُ سَكَنٌ لنا". وقد تكلَّمَ الصحابة مع الصديق ﷺ في أن يتركهم وما هم عليه من منع الزكاة، ويتألفهم حتىٰ يتمكن الإيمان في قلوبهم، ثم هُمْ بعد ذلكَ يُزكُّون، فامتنعَ الصِّدِّيق مع ذلك وأباه[3].

عن أبي هريرة ﷺ قال: لَمَّا تُوُفِّيَ رَسولُ اللهِ ﷺ واسْتُخْلِفَ أبو بَكْرٍ بَعْدَهُ، وكَفَرَ مَن كَفَرَ مِنَ العَرَبِ، قالَ عُمَرُ لأبِي بَكْرٍ: "كيفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ؟ وقدْ قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: ((أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حتَّىٰ يقولوا: لا إلَهَ إلَّا اللهُ، فمَن قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللهُ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ ونَفْسَهُ، إلَّا بحَقِّهِ وحِسَابُهُ علَىٰ اللهِ))". فَقالَ: "واللهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَن فَرَّقَ بيْنَ الصَّلَاةِ والزَّكَاةِ، فإنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ. واللهِ لو مَنَعُونِي

(١) العواصم من القواصم لابن العربي ص (٦٣).

(٢) التوبة: ١٠٣.

(٣) ينظر البداية والنهاية لابن كثير (٦/ ٣١١).

عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إلىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ علَىٰ مَنْعِهِ". فَقالَ عُمَرُ: "فَوَاللهِ ما هو إلَّا أنْ رَأَيْتُ اللهَ قدْ شَرَحَ صَدْرَ أبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أنَّه الحَقُّ"[1].

وقال القاسم بن محمد –ابن أبي بكر الصديق ﷺ– وهو أحد الفقهاء السبعة: اجتمعت أسدٌ، وغطفانٌ، وطيئٌ علىٰ طليحةَ الأسدي، وبعثوا وفودًا إلىٰ المدينة، فنزلوا علىٰ وجوه الناس، فأنزلوهم إلىٰ العباس، فحملوهم إلىٰ أبي بكر علىٰ أن يقيموا الصلاةَ ولا يؤتوا الزكاة، فعزمَ الله لأبي بكر علىٰ الحق، وقال: لو منعوني عقالًا لجاهدتهم[2].

قيل لأبي بكر: ومع من تقاتلهم؟ قال: وحدي، حتىٰ تنفرد سالفتي[3].

ثالثًا: جمعُ القرآنِ:

وكان من أجلِّ أعمال أبي بكر ﷺ، وأعظمِها أثرًا في تاريخ الإسلام: جمعُهُ للقرآن الكريم، وقد عهدَ أبو بكر بهذا العملِ إلىٰ زيدِ بن ثابت ﷺ لأنه كان موضعَ ثقته، ولأنه كان حينئذٍ خيرَ من ينهض للقيام بهذا الواجب، وحملِ تلكَ الأمانةِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٤) ومسلم (٣٢).

(٢) تاريخ الطبري (٣/ ٢٤٣). البداية والنهاية لابن كثير (٦/ ٣١٢).

(٣) ينظر العواصم من القواصم ص (٦٤). والسالفة: العنق.

وفي ذلك يقول زيد ﷺ[1]: (أرسلَ إليَّ أبو بكر بعد موقعةِ اليمامةِ وكان عنده عمر بن الخطاب، فقال لي: "إن عمرَ أتاني، فقال: إنَّ القتل قد استحرَّ –أي: كَثُرَ– بالقُرَّاءِ في موقعةِ اليمامةِ، وأخشىٰ أن يزداد القتلُ بالقُرَّاءِ في المواطن، فيذهبَ كثيرٌ من القُرآن، إلا أن تجمعوه"، ثم يقول أبو بكر: "فشرح الله صدري لذلك (أي لجمع القرآن) ورأيتُ الذي رأىٰ عمر" ...).

ثم قال أبو بكر لزيدِ بن ثابت ﷺ: "إنَّكَ رجلٌ عاقلٌ، ولا نتَّهِمُكَ، كنت تكتبُ الوحيَ لرسول الله ﷺ، فتَتَبَّعِ القرآن، فاجْمعْهُ".

ويقولُ زيدُ بنُ ثابتٍ ﷺ: "فوالله، لو كلفني نقلَ جبلٍ من الجبال ما كان أثقلَ عليَّ مما أمرني به من جمعِ القرآن ...". ولكن أراد الله الخير لزيد، فشرح صدره لهذا العمل الجليل ...، فقام يَتَتَبَّعُ آيات القرآن، ويجمعها من الرِّقاع، والعِظام، وصدورِ الرّجال، ولم يجمع إلا ما كُتب بين يدي النَّبي ﷺ، وشهدَ شاهدان علىٰ ذلك.

وتمت كتابة المصحف في صحفٍ جُمعت كلُّها، ووُضِعَتْ لدىٰ أبي بكر ﷺ، ثم انتقلت من بعده إلىٰ عمر ﷺ، ثم انتقلت من بعده إلىٰ حفصةَ بنت عمر أم المؤمنين ﷺ إلىٰ أن تمَّتْ كتابةُ المُصْحَفِ في عِدَّةِ نُسَخٍ أيَّامَ الخليفة عثمان بن عفان جامع القرآن ﷺ، وكلُّ ذلك بمنتهىٰ الدقَةِ والتوثيق، والحمد لله.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٧٩).

رابعًا: توجيهُ الجيوش لحرب فارس والروم:

قدَّم أبو بكر الأمراءَ علىٰ الأجناد، والعمالَ في البلاد مختارًا لهم، مرتئيًا فيهم، فكان ذلك من أَسَدِّ عمله، وأفضلِ ما قدَّمَهُ للإسلام.

وفي طليعةِ هؤلاء القَّواد: أبو عبيدةَ عامرُ بنُ عبد الله بنِ الجرَّاحِ الفِهْرِيُّ، وعمروُ بنُ العاص الأُمويُّ، ويزيدُ بن أبي سفيانَ، وعكرمةُ بنُ أبي جهل، والمهاجرُ بنُ أبي أمية شقيقُ أم المؤمنين أمِّ سلمةَ، وشرحبيلُ بنُ حسنة، ومعاويةُ بنُ أبي سفيان، وسُهَيْلُ بنُ عمرو العامريُّ خطيب قريش، والقعقاعُ بنُ عمروٍ التميمي، وعرفجةُ بن هرثمةَ البارقيُّ، والعلاءُ بن الحضرمي حليفُ بني أمية، والمثنَّىٰ بن حارثة الشيبانيُّ، وحذيفةُ بن محصن الغطفانيُّ.

وفي طليعةِ ولاته: عَتابُ بن أسيد الأمويُّ، وعثمانُ بن العاص الثقفيُّ، وزياد ابن لبيد الأنصاريُّ، وأبو موسىٰ الأشعريُّ، ومعاذُ بن جبل، ويعلىٰ بنُ منبِّهٍ، وجريرُ بنُ عبد الله البُجَليُّ، وعِياضُ بن غَنْم، والوليدُ بن عقبةَ بن أبي معيطٍ، وعبدُ الله بنُ ثور أحدُ بني غوث، وسويدُ بن مقرن المزنيُّ.

وكانت الدولتان العظيمتان في العالم في زمن رسول الله ﷺ هما:

دولةُ الفرس، ودولةُ الروم.

وقد وجَّه أبو بكر ﷺ لقتال الفرسِ القائدَ المؤمنَ الفذَّ خالد بن الوليد ﷺ، وحدثت معاركُ انتصر فيها المسلمون بقيادة خالد، واستولوا علىٰ الحيرة،

وعلىٰ كثيرٍ من مدن العراق. وكان يوجِّه كتابه قبل المعركة: أسلموا تسلموا، وإلا فقد جئتكم بقوم يحبُّون الموتَ كما تحبُّون شربَ الخمر (أو كما تحبون الحياة)[1].

ووجه أبو بكر ﷺ لقتال الروم أمراءَ الأجناد: أبا عبيدة، ويزيدَ بن أبي سفيان، وأخاه معاوية، وعمروَ بنَ العاص، وشُرَحْبيلَ بنَ حسنة، ﷺ.

فساروا إلىٰ بلاد الشام، وكان عددُهم ستةً وثلاثين ألفًا علىٰ بعض الروايات، وقد قابلهم الرومُ بجيش عُدَّتُه مائتان وأربعون ألفًا، فطلبوا المدد من أبي بكر ﷺ، فأمدهم بخالدِ بن الوليد ﷺ، فاتَّجه خالدٌ من العراق إلىٰ الشام، وعبَرَ باديةَ السماوةِ بسرعةٍ عجيبةٍ، وكان معه أربعةُ آلافٍ، فصار عددَ المسلمين أربعين ألفًا[2].

موقعةَ اليرموك:

كان قادة المسلمين الأربعة يقاتلون متساندينَ متعاونينَ، لا تجمعهم قيادةٌ واحدة، فلما وصل خالد ﷺ جمعهم علىٰ قيادةٍ واحدةٍ، وتولَّىٰ هو القيادةَ.

وقسَّمَ خالدٌ ﷺ الجيشَ إلىٰ قَلْبٍ، وميمنةٍ، ومَيْسَرِةٍ، مقابلَ قلبِ الروم، وميمنتِهم، وميسرتِهم. وقسَّم الجيش إلىٰ ستةٍ وثلاثين كردوسًا، وجعلَ علىٰ

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٣٧٠). البداية والنهاية لابن كثير (٦/ ٣٤٣).

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير (٢/ ٢٥٧).

كل كردوس رجلًا من شجعان المسلمين. وكان علىٰ القلبِ أبو عبيدة، وعلىٰ الميمنة عمرو وشرحبيل، وعلىٰ الميسرة يزيدُ بن أبي سفيان (وأخوه معاوية)، وكانت المعركة شمال نهر اليرموك، وبالتحديد بين ودي العلان (من روافد اليرموك) وبين رافده وادي العلق.

احتشد المسلمون من جنوب بلدة نوىٰ إلىٰ شرق سحم الجولان، جاعلين نهرَ اليرموك عن يسارهم، في حيث تكثر من خلفهم وعن يمينهم الصخور البركانية، وهذه تجعل محاولة الروم للالتفاف حول معسكر المسلمين عديمةَ الجدوىٰ، بينما كانت الجهة الجنوبيةُ والغربيةُ مفتوحة للمسلمين للتراجع، أو لإيصال الإمدادات، ونهر اليرموك يحول بين الروم وبين الالتفاف علىٰ معسكر المسلمين، وهذا الاختيارُ موفَّقٌ، ويروىٰ أن الذي أشار به أبو سفيان ﷺ.

بينما الرومُ حصروا أنفسهم: نهرُ اليرموك عن يمينهم، ووادي الرقاد والواقوصة ونهرُ الأردن من خلفهم، وسلسلةُ تلال وجبال عن شمالهم، فليس لهم منفذ.

قال عمرو بن العاص ﷺ حُصِرَتْ والله الرومُ، وقلَّما جاء محصورٌ بخير، أبشروا أيها المسلمون[1].

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٣٩٣). تاريخ دمشق (٢/ ١٦٢). البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٦).

سير المعركة:

قال رجلٌ من نصارىٰ العرب محاولًا تخذيل خالد بن الوليد ﷺ: ما أكثر الروم، وأقلَّ المسلمين. فقال خالد: "ويلك أتخوفني بالروم؟ إنما تكثر الجنودُ بالنَّصرِ، وتقلُّ بالخذلان، لا بعدد الرجال. والله لوددت أن الأشقر براء من تَوجّيه[1] وأنهم أُضعفوا في العدد[2]".

وحينما بدأت المعركةُ اشتدت هجماتُ الروم علىٰ ميمنة المسلمين وميسرتهم، حتىٰ انكشف القلب، ولكن خاب فَأْلُهم، فخالدٌ وأبو عبيدة وعكرمةُ وسعيدُ بن زيد ومن معهم في القلب أُعطوا من الشجاعة والثبات والصبر والاستبسال في القتال ابتغاء مرضاة الله.

ودوّىٰ صوتُ عكرمةَ ﷺ: من يبايُعني علىٰ الموت؟ فتسابقوا يبايعون، وخلعوا الدروعَ، وانقضوا علىٰ الروم، فلم يعد للروم قدرةٌ علىٰ الوقوفِ أمام جيش الحق[3].

(١) هو ألم في باطن حافر الفرس.

(٢) تاريخ الطبري (٣/ ٣٩٨). البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٩).

(٣) أسد الغابة لابن الأثير (٤/ ٧٩).

وأمر خالدٌ ﷺ بأن يُفْتَحَ لهم منفذٌ للهربِ، فانهزم الفرسانُ، وأطبق المسلمون علىٰ المشاةِ، فوقع منهم في نهر الواقوصة ما يُقارِبُ مائةً وعشرين ألفًا وانهزم بعضهم، وأسر بعضهم.

وبلغَ عدد القتلىٰ مائةً وعشرينَ ألفًا من الرُّوم، ومن المسلمين ثلاثة آلاف.

وتوالت الانتصاراتُ، مما أدَّىٰ إلىٰ مغادرة هرقل إمبراطور الدولة الرومانية النصرانية حمص، ووقف شماليَّ حمص، وقال (سوزي سورية) أي: سلام عليك سلامًا لا لقاء بعده.

وكانت معركة اليرموك سنة ١٣ من الهجرة.

وفاته:

في خلال معركة اليرموك توفِّيَ أبو بكر ﷺ في جمادىٰ الآخرة ١٣ هجرية. ومدة خلافته سنتان وثلاثةُ أشهر وعشرة أيام، وعمره ٦٣ سنة.

جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيرَ الجزاء، فقد حفظ الله به الدين، وأعزَّ به الحقَّ المبين.

قصة طلب فاطمة ﷺ ميراثَها من النبي ﷺ:

عن عائشة أنَّ فاطمةَ أرسلتْ إلىٰ أبي بكر ﷺ تسأله ميراثها من النبي ﷺ فيما أفاء الله علىٰ رسوله ﷺ، تطلبُ صدقةَ النبي ﷺ التي بالمدينة وفدك وما بقي من

خُمُس خيبر. فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: ((لا نُوْرَثُ؛ ما تركناه فهو صدقة. إنما يأكلُ آل مُحمَّدٍ من هذا المال –يعني: مال الله– ليس لهم أن يزيدوا علىٰ المأكل)). وإنِّي واللهِ لا أُغيِّرُ شيئًا من صدقاتِ النَّبيِّ ﷺ التي كانت عليها في عهد النبي ﷺ، ولأعملنَّ فيها بما عمل فيها رسولُ الله ﷺ. فتشهَّدَ عليٌّ، ثم قال: إنا عرفنا يا أبا بكر فضيلتك، وذَكَرَ قرابَتَهُم من رسول الله ﷺ وحقَّهُم. فتكلم أبو بكر، فقال: والذي نفسي بيده، لَقَرَابةُ رسول الله ﷺ أحبَّ إليَّ أن أصِلَ من قرابتي[1].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((لا يقتسم ورثتي دينارًا، ما تركت بعد نفقةِ نسائي ومؤونة عاملي فهو صدقة))[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "قول النبي ﷺ: ((لا نُورّثُ، ما تركنا صدقة)) رواه عنه أبو بكر وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ وطلحةُ والزبيرُ وسعدٌ وعبدُ الرحمن بن عوف والعباسُ ابن عبد المطلب وأزواجُ النَّبِيِّ ﷺ وأبو هريرة ﷺ. والرواية عن هؤلاء ثابتة في الصِحاح والمسانيد"[3]، وقال قبل ذلك[4]: "إن الله تعالىٰ صانَ الأنبياءَ أن يُورِّثُوا دنيا، لئلا يكون ذلك شبهةً لمن يقدح في نبوَّتِهم

(١) أخرجه البخاري (٣٧١١). مسلم (١٧٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٧٦). مسلم (١٧٦٠).

(٣) منهاج السنة (٥/ ١٩٥).

(٤) منهاج السنة (٤/ ١٩٥).

بأنَّهم طلبوا الدنيا، وخلّفوها لورثتهم". ثم إنَّ من ورثة النبي ﷺ أزواجَه، ومنهم عائشةُ بنت أبي بكر ﷺ، وقد حُرِمَتْ نصيبها بهذا الحديث النبوي، ولو جرىٰ أبو بكر مع ميله الفطري لأحبَّ أن ترث ابنتُهُ.

وعن عروةَ بن الزبير أن عائشة أم المؤمنين ﷺ أخبرته أن فاطمة ابنة رسول الله ﷺ سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله ﷺ أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه، فقال لها أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: ((لا نُوْرَثُ، ما تركنا صدقة))، فغضبت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرته حتىٰ توفيت. وعاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر. قالت: وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله ﷺ من خيبر وفدك وصدقته بالمدينة، فأبىٰ أبو بكر عليها ذلك، وقال: (لستُ تاركًا شيئًا كان رسولُ الله ﷺ يعملُ به إلا عملتُ به، فإنِّي أخشىٰ إن تركتُ شيئًا من أمره أن أَزِيْغَ)[1].

وعن مالك بن أوس بن الحَدَثان أنهُ قال: بينا أنا جالسٌ في أهلي حين مَتَعَ[2] النهار، إذا رسولُ عمر بن الخطاب ﷺ، فقال: أجب أمير المؤمنين، فانطلقت معه ...، فبينا أنا جالسٌ عنده أتاه حاجبه يرفأُ، فقال: هل لك في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبي وقاص يستأذنون؟ قال: نعم. فأذن لهم ...، ثم جلس يرفأُ يسيرًا، ثم قال: هل لك في عليٍّ وعباس؟ قال: نعم. فأذن

(١) أخرجه البخاري (٣٠٩٢). ومسلم (١٧٥٩).

(٢) مَتَع النهار: أي بلغ غاية ارتفاعه، وهو قبل الزوال.

لهما، فدخلا فسلَّما فجلسا، فقال عباس ﷺ: يا أمير المؤمنين، اقض بيني وبين هذا وهما يختصمان فيما أفاء الله علىٰ رسوله ﷺ من بني النضير، فقال الرهطُ عثمان وأصحابه ﷺ: يا أمير المؤمنين، اقض بينهما وأَرِح أحدهما من الآخر. قال عمر: تَيْدَكم[1]. أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض: هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: ((لا نورَث؛ ما تركنا صدقةٌ))[2] يريد رسول الله ﷺ نفسه؟ قال الرهط: قد قال ذلك. فأقبل عمر علىٰ علي وعباس، فقال: أنشدكما الله؛ أتعلمان أن رسول الله ﷺ قد قال ذلك؟ قالا: قد قال ذلك. (وبعد أن ذكر أنه ﷺ كان يُنفق علىٰ أهله سنَتَهَمْ من هذا المال، ثم يَجْعَلُ ما بقي مَجْعَلَ مالِ الله، واستَشهدهما علىٰ ذلك، فشهدا)، قال: ثم توفى الله نبيه ﷺ، فقال أبو بكر: أنا وليُّ رسول الله ﷺ، فقبضها فعملَ فيها بما عملَ رسول الله ﷺ، واللهُ يعلم إنه فيها لصادقٌ بارٌّ راشدٌ تابعٌ للحق. ثم توفَّىٰ اللهُ أبا بكر، فكنت أنا وليَّ أبي بكر، فقبضتها سنتين من إمارتي أعملُ فيها بما عملَ رسول الله ﷺ وما عملَ فيها أبو بكر، واللهُ يعلمُ إني فيها لصادقٌ بارٌّ راشدٌ تابعٌ للحق، ثم جئتماني تكلماني، وكَلِمَتُكما واحدة وأمركما واحد.

جئتني يا عباس تسألُني نصيبك من ابن أخيك، وجاءني هذا –يريد عليًا– يريدُ نصيبَ امرأته من أبيها، فقلت لكما: إن رسول الله ﷺ قال: ((لا نُوْرَثُ، ما

(١) أي: اتّئِدوا.

(٢) ما: اسم موصول مبتدأ، وتركنا: صلته، وصدقة: خبر للمبتدأ.

تركنا صدقة))، فلما بدا لي أن أدفعه إليكما قلتُ: إن شئتما دفعتها إليكما علىٰ أنَّ عليكما عهدَ الله وميثاقَه لَتعملان فيها بما عملَ فيها رسول الله ﷺ وبما عمل فيها أبو بكر وبما عملتُ فيها منذ وليتها، فقلتما: ادفعها إلينا، فبذلك دفعتها إليكما. فأنشدكم بالله: هل دفعتها إليهما بذلك؟ قال الرَّهْطُ: نعم. ثم أقبل علىٰ عليٍّ وعباسٍ، فقال: أنشدكما بالله: هل دفعتها إليكما بذلك؟ قالا: نعم. قال: أفتلتمسان مني قضاءً غير ذلك؟ فوالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض؛ لا أقضي فيها قضاءً غيرَ ذلك، فإن عجزتما عنها فادفعاها إليَّ فإنِّي أكفيكُماها[1].

وقد نبه شيخُ الإسلام ابن تيمية إلىٰ أن أبا بكر وعمر ﷺ أعطيا من مال الله أضعاف هذا الميراث للذين كانوا سيرثونه، قال: "وإنما أخذ منهم قريةً ليست كبيرة، لم يأخذْ منهم مدينةً، ولا قريةً عظيمةً"، ثم قال: "وقد تولىٰ عليٌّ بعد ذلك، وصارتْ فدكُ وغيرُها تحت حكمه، ولم يُعطِ لأولادِ فاطمةَ ولا زوجات النبي ﷺ ولا ولدِ العباس شيئًا من ميراثه... "إلخ[2].

استخلافُه عمر ﷺ:

يذكرُ الرُّواةُ أنَّ أبا بكر ﷺ استشار أصحابه، وذوي الرأي من المسلمين في أمر البيعةِ لعمر ﷺ، فكانوا يقولون خيرًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٩٤).

(٢) منهاج السنة النبوية (٦/ ٣٤٦-٣٤٧).

وقد وردَ أن أبا بكر لما ثَقُل دعا عبدَ الرحمن بن عوف ﷺ، فقال: أخبرني عن عمر بن الخطاب؟ فقال: ما تسألني عن أمرٍ إلا وأنت أعلمُ به مني، فقال أبو بكر: وإن، فقال عبدُ الرحمن بن عوف: هو والله أفضلُ من رأيِكَ فيه.

ثم دعا عثمانَ بن عفان ﷺ، فقال: أخبرني عن عمرَ؟ فقال: أنت أخبَرُنا به. قال: عَلىَ ذلك يا أبا عبد الله؟ فقال: اللهم علمي به أن سريرته خيرٌ من علانيته، وأنه ليس فينا مثله، فقال أبو بكر ﷺ: يرحمك الله، والله لو تركته ما عدوتك[1]. وشاور معهما سعيدَ بن زيد وأُسيدَ بن الحضير وغيرَهما من المهاجرين والأنصار ﷺ. فقال أسيدٌ: اللهم أَعْلَمُهُ الخَيْرَ بَعْدَك[2] يرضىٰ للرضا ويسخطُ للسُّخطِ. الذي يُسِرُّ خيرٌ من الذي يعلن، ولن يليَ هذا الأمر أحدٌ أقوىٰ عليه منه.

ثم اضطجع أبو بكر ودعا عثمان ﷺ فقال: اكتب (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عَهدَ به أبو بكر بنُ أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجًا منها، وعند أوَّلِ عهده بالآخرة داخلًا فيها، حيث يؤمِنُ الكافر، ويوقِنُ الفاجر، ويصدقُ الكاذب: إني استخلفتُ عليكم بعدي عمرَ بن الخطاب، فاسمعوا له وأطيعوا. وإني لم آلُ اللهَ ورسولَهُ ودينَه ونفسي وإياكم خيرًا، فإن عدل فذلك ظنِّي به وعلمي فيه، وإن بَدَّل فلكلِّ امرئٍ ما اكتسب، والخيرَ أردتُ ولا أعلمُ

(١) أي لو تركت استخلاف عمر لاستخلفتك.

(٢) أي أعلم أنه خير من يلي الخلافة بعدك.

الغيبَ ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1]. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته). ثم أمر بالكتاب فختمه.

ثم أمرَ عثمانَ ﷺ، فخرجَ بالكتاب مختومًا، فأعلنه للناس، فبايع النَّاس عمرَ ﷺ، ورضوا به.

ثم دعا أبو بكر عمرَ خاليًا، فأوصاه بما أوصاه، ثم خرج من عنده، فرفع أبو بكر يديه مَدًّا، وقال: اللهم إني لم أُرِدْ بذلك إلا صلاحَهُمْ، وخِفْتُ عليهم الفتنة فعملت فيهم بما أنت أعلم به، واجتهدتُ لهم رأيًا فولَّيْتُ عليهم خيرَهُمْ وأقواهم عليهم وأحرَصهم علىٰ ما أرشدهم، وقد حضرني من أمرك ما حضر، فاخلفني فيهم فهم عبادك ونواصيهم بيدك، أصلح لهم واليَهم، واجعله من خلفائك الراشدين يتبع هدىٰ نبي الرحمة وهدىٰ الصالحين، وأصلح له رعيته[2].

وعن ابن مسعود ﷺ قال: (أفرسُ الناس ثلاثةٌ: العزيز حين قال لامرأته: ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾[3]، والتي قالت: ﴿يَـٰٓأَبَتِ

(١) سورة الشعراء: ٢٢٧.

(٢) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٣/ ١٩٩). تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٠/ ٤١٠).

(٣) سورة يوسف: ٢١.

ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾[1]، وأبو بكر حين تفرس في عمر)[2].

وعن يسار بن حمزة قال: لما ثَقُلَ أبو بكر أطلق رأسه إلىٰ النَّاس من كوَّة فقال: أيها الناس، إني قد عهدت عهدًا، أفترضون به؟ فقام الناس فقالوا: قد رضينا، فقام عليٌّ فقال: لا نرضىٰ إلا أن يكون عمر بن الخطاب، فكان عمر[3].

ومما تقدم يتبين أن أبا بكر لم يعيّن عمر ﷺ إلا بعد أن أخذ رأي كبار المسلمين فيه، وموافقتهم علىٰ اختياره.

ونستطيع أن نقول: أعطىٰ أبو بكر الصديق والمسلمون القوس لباريها، ووسد الأمر إلىٰ أهله.

تسلَّمَ الفاروقُ الأمانة، وحمل الرَّاية، وسار في بناءِ دولة الإسلام، وقاد كتائب الجهاد لإعلاء كلمة الله تعالىٰ.

---

(١) سورة القصص: ٢٦.

(٢) المستدرك للحاكم (٣٣٢٠). الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٣/ ٢٧٣).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٢٦٨٣). تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٤/ ٢٥٣).

# الفصلُ الثاني

# الخليفةُ الراشديُّ الثاني

# عمرُ بنُ الخطَّابِ رضي الله عنه

# الخليفةُ الراشديَّ الثاني
# عمرُ بنُ الخطاب ﷺ

نسبُه ومكانَتُه:

أبو حفصٍ الفاروقُ، عمرُ بنُ الخطاب بنِ نُفَيلٍ، ويمتدُّ نسبه إلىٰ عديِّ بن كعب بن لؤي.

وُلِدَ في مكة قبلَ الهجرة بأربعين سنةً. نشأ في بيتٍ اشتُهِرَ بالسيادة والشَّرف، وتربَّىٰ علىٰ الصدق والأمانة والجُرأةِ في قول الحق، وإليه كانت السفَارةُ في قريش قبل الإسلام[1].

هو أحدُ العشرةِ المبشَّرين بالجنة، وثاني الخلفاء الراشدين، وأحدُ أحبَّاءِ النَّبيِّ ﷺ المقرَّبين، وأحدُ كبارِ علماء الصَّحابة وزهَّادِهم ومجتهديهم.

إسلامُه:

يأتي إسلامُه ﷺ في الوقت الذي كان فيه في أوج العداوةِ للإسلام والكيدِ له، فبينا عمر في طريقه للفتك برسول الله ﷺ، عندما علم أنَّه في نفر من أصحابه في بيت عند الصفا، إذ لقيه نعيم بن عبد الله ﷺ، فقال: أين تريد يا عمر؟ قال: أريد مُحمَّدًا هذا الصابئَ الذي فرَّق أمرَ قريش، وسفَّه أحلامها، وعاب آلهتها، فأقتله. فقال له نعيم: وكيف تأمن من بني هاشم وبني زهرة إذا قتلت محمدًا؟

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ١٩٥). تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٤/ ٣). تهذيب الأسماء واللغات للنووي (٢/ ٣٢٤).

فقال له عمر: ما أراك إلا قد صبأتَ، وتركتَ دينك الذي كنت عليه. فقال: أفلا أدلُّكَ علىٰ ما هو أعجب من ذلك؟ قال: وما هو؟ قال: أختك وخَتَنك قد صبأا وتركا دينك الذي أنت عليه. (أختك: فاطمة، وختنك وابن عمك: سعيد بن زيد) والله لقد أسلما، وتابعا محمدًا علىٰ دينه.

فمشىٰ عمرُ ذامرًا[1] حتىٰ أتاهما وعندهما رجلٌ من المهاجرين: خباب بن الأرت، فلما سمع خَبَّابُ حِسَّ عمر توارىٰ في البيت، فدخل عليهما، فقال: ما هذه الهَيْنَمَة[2] التي سمعتها عندكم؟ وكانوا يقرؤون سورة طه، فقالا: ما عدا حديثًا تحدثناه بيننا. قال: فلعلكما قد صَبَوْتما؟ فقال له خَتَنُه: أرأيت يا عمرُ إن كان الحقُّ في غير دينك؟ فوثبَ عمر علىٰ ختنه، فوطئه وطئًا شديدًا، فجاءت أخته، فدفعته عن زوجها، فنفحها بيدة نفحةً، فَدَمَّىٰ وجهها. فقالت –وهي غضبىٰ–: إن كان الحقُ في غير دينك!! أشهد أنْ لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ محمدًا رسول الله. قالت أختُهُ وختَنُهُ: قد أسلمنا، وآمنَّا بالله ورسوله، فاصنع ما شئتَ.

فلما رأىٰ عمرُ ما بأخته من الدم ندمَ، وقال لأخته: أعطني هذه الصحيفةَ فأقرأها. قالت: إنَّكَ نَجِسٌ علىٰ شِرْكِكَ، وإنَّهُ لا يمسُّهُ إلا المطهَّرُون، فقُمْ فاغتسلْ أو توضأ. فقام فاغتسل، فأعطته الصحيفةَ، فقرأها –وهي من سورة طه– حتىٰ انتهىٰ

(١) ذامرًا، أي: متهددًا.

(٢) الهينمة: الكلام الخفي الذي لا يفهم.

إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾[1] فقال: ما أحسن هذا الكلامَ وأكرَمَهُ. فقال عمر: دلوني علىٰ محمد.

فلما سمعَ خبَّابُ قولَ عمر خرج من البيت، فقال: أبشر يا عمرُ، فإنِّي أرجو أن دعوةَ رسول الله ﷺ لك ليلة الخميس: ((اللهم أعزَّ الإسلامَ بعمرَ بنِ الخطابِ أو بعمرو ابن هشام)). ورسولُ الله ﷺ في الدار التي في أصل الصفا، فانطلقَ عمرُ حتىٰ أتىٰ الدار، وعلىٰ باب الدار حمزةُ وطلحةُ ﷺ، وأناسٌ من أصحاب رسول الله ﷺ.

فلمَّا رأىٰ حمزة وَجَلَ القوم من عمر قال حمزة: نعم، فهذا عمر، فإن يرد الله بعُمَرَ خيرًا يُسلْم ويتَّبِعْ النَّبيَّ ﷺ، وإن يُرِدْ غير ذلك يكن قتله علينًا هَيِّنًا. ورسول الله ﷺ داخلٌ يوحىٰ إليه.

فخرجَ رسولُ الله ﷺ حتىٰ أتىٰ عمر، فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف، وقال: ((أَمَا أنتَ بمُنتهٍ يا عمر حتىٰ يُنزل الله بك من الخزي والنَّكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة؟ اللهم هذا عمر بن الخطاب، أعزَّ الدين بعمرَ بن الخطاب)). فقال عمر: أشهد أنك رسول الله. فأسلم، وقال: اخرج يا رسول الله[2].

---

(١) سورة طه: ١٤.

(٢) قصة إسلام عمر مروية باختصار في المستدرك علىٰ الصحيحين للحاكم (٦٨٩٧ – ٦٨٩٨). ورويت مطولةً في الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٢/ ١٨٥)، ومسند البزار (٢٧٩).

وفي رواية: قال عمر: (فخرجتُ حتىٰ وصلتُ إليه، وقرعتُ الباب، فقالوا: من؟ قلتُ: ابن الخطاب. فقالَ النَّبيُّ ﷺ: افتحوا له. ففتحوا لي، فأخذَ رجلان بعضُدَيَّ حتىٰ أتيا بي النَّبيَّ ﷺ، فقال: خَلُّوا عنه. ثم أخذ بمجامعِ قميصي، وجذبني إليه، ثم قال: أسلم يا ابن الخطاب، اللهم اهده. فتشهدتُ، فكبَّرَ المسلمون تكبيرةً سُمِعَتْ بفجاجِ مَكَّةَ).

وحينئذٍ قال عمرُ ﷺ للرسول ﷺ: يا رسول الله، ألسنا علىٰ الحق؟ قال: بلىٰ. قال: فَلِمَ نستخفي بديننا؟ وطلبَ من الرَّسولِ ﷺ أن يخرج المسلمون إلىٰ المسجدِ، فخرجوا جهارًا نهارًا، وعلىٰ رأسهم رسول الله ﷺ، وحمزةُ بن عبد المطلب وعمرُ بن الخطاب ﷺ جميعًا حتىٰ دخلوا المسجد. ففزعت قريش لذلك فزعًا شديدًا، وفرح المسلمونَ، واستبشروا[1]. وهكذا كان إسلامُ عمرَ فتحًا للإسلام، ونصرًا للدعوة، ومبدأً عهد جديد للدعوة وللجهاد من أجلِ إعلاءِ كلمةِ اللهِ تعالىٰ.

وعن ابن مسعود ﷺ قال: ما زلنا أعزَّةً منذُ أَسْلَمَ عمر[2].

وعن ابن عبَّاس ﷺ قال: أوَّلُ من جَهَرَ بالإسلام عمرُ بن الخطاب[3].

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٤/ ٣١). تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (٩٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٨٤) (٣٨٦٣).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠٨٩٠) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٤١٢): "إسناده صحيح".

وسبب تسميته الفاروق: أنه أظهر الإسلام، وفرَّق بين الحقِّ والباطل.

وعن ذكوان قال: قلتُ لعائشة ﷺ: من سمَّىٰ عمرَ الفاروق؟ قالت: النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث: ((إنَّ اللهَ جعل الحقَّ علىٰ لسانِ عمرَ وقلبِه، وهو الفاروقُ؛ فَرَقَ اللهُ بهِ بين الحقِّ والباطل))[1]. وعن ابن مسعود ﷺ قال: كان إسلامُ عمر فتحًا، وكانت هجرتُه نصرًا، وكانت إمامتُه رحمةً، ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي إلىٰ البيت حتىٰ أسلم عمر، فلمَّا أسلم عمر قاتلهم حتىٰ تركونا، فصلينا[2].

وكان إسلامه ﷺ في ذي الحجة سنةَ ستٍّ من النبوة.

هجرته:

عن عليٍّ ﷺ قال: ما علمتُ أحدًا هاجر إلا مختفيًا إلا عمرَ بنَ الخطاب؛ فإنه لما همَّ بالهجرة إلىٰ المدينة تقلَّدَ سيفه، وتنكَّبَ قوسَهُ، وانتضىٰ في يده أسهمًا، وأتىٰ الكعبةَ - وأشرافُ قريش بفِنائها -، فطاف سبعًا، ثم صلَّىٰ ركعتين عند المقام، ثم أتىٰ حِلَقهم واحدةً واحدةً، فقال: شاهت الوجوه[3]. من أراد أن

(١) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٣/ ٢٧٠).

(٢) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٣/ ٢٧٠). تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٤/ ٥١).

(٣) شاهت الوجوه: قبحت.

تَثْكُلَهُ أمُّه، وَيَيْتَمَ ولَدُهُ، وتُرَمَّلَ زوجَتُه، فَلْيَلْقني وراءَ هذا الوادي. فما تَبِعَهُ أحدٌ منهم[1].

جهادُه مع رسول الله ﷺ:

شهد مع رسول الله ﷺ المشاهدَ كلَّها، وكان ممن ثبت يومَ أُحُدٍ ويومَ حنين.

موافقات عمر ﷺ لربه عز وجل:

قد أوصلها بعضهم إلىٰ أكثر من عشرين، منها[2]:

ما جاء عن عمر ﷺ قال: وافقتُ ربي في ثلاث:

قلت: يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيمَ مُصَلًّىٰ. فنزلت ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[3].

وقلت: يا رسول الله، يدخل علىٰ نسائك البرُّ والفاجرُ، فلو أمرتَهُنَّ أن يحتجبن. فنزلت آية الحجاب[4].

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٤/ ٥٢)، تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص (٩٤).

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (٩٤).

(٣) البقرة: ١٢٥.

(٤) وهي قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٩).

واجتمع نساءُ النَّبيِّ ﷺ في الغيرةِ، قلت: عسىٰ ربُّهُ إن طلقكُنَّ أن يُبدلَه أزواجًا خيرًا منكنَّ[1]، فنزلت كذلك[2].

وعن عمر ﷺ قال: وافقتُ ربِّي في ثلاث: في مقام إبراهيم، وفي الحجاب، وفي أسارىٰ بدر[3]. ففي هذا الحديث خصلة رابعة.

وقال النووي: نزلَ القرآنُ بموافقته في أسرىٰ بدر، وفي الحجابِ، وفي مقامِ إبراهيم ﷺ، وفي تحريمِ الخمرِ[4]. فزاد خصلةً خامسةً.

وقد ورد أنه قال: اللهم بيِّنْ لنا في الخمرِ بيانًا شافيًا. فأنزل الله تحريمها[5].

---

(١) قوله تعالىٰ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ (التحريم: ٥).

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٢).

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٩٩).

(٤) ما بين القوسين عزاه الإمام السيوطي إلىٰ النووي في تاريخ الخلفاء ص (١١٠)، وتبعه في ذلك المؤلف. وذكر هذا التعداد ابن عبد البر في الاستيعاب حيث قال: "ونزل القرآن بموافقته في أسرىٰ بدر، وفي الحجاب، وفي تحريم الخمر، وفي مقام إبراهيم ﷺ".

(٥) أخرجه النسائي (٥٥٤٠). المستدرك للحاكم (٣١٠١) وقال: "صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه"، وأقره الذهبي.

وعن عبد الله بن أبي ليلىٰ أن يهوديًا لقي عمرَ ﷺ، فقال: إن جبريلَ الذي يذكرُهُ صاحبُكُم عدوٌّ لنا. فقال له عمر ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾[1] فنزلت علىٰ لسان عمر ﷺ[2].

ومنها قصَّةُ عبد الله بن أُبيَّ لمَّا أراد رسول الله ﷺ الصلاة عليه، فقال له عمرُ ﷺ: يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله ﷺ: ((إنما خيرني الله فقال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾[3] وسأزيده علىٰ السبعين)). قال: إنه منافق؟! قال: فصلىٰ عليه رسول الله ﷺ، فأنزل الله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾[4].

فضائلُهُ:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي عليه الصلاة والسلام: ((بينا أنا نائم رأيتُنِي في الجنة، فإذا امرأةٌ تتوضَّأُ إلىٰ جانبِ قصر، قلت: لمن هذا القصر؟

(١) سورة البقرة: ٩٨.

(٢) ينظر: لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص (١٣). تاريخ الخلفاء للسيوطي أيضًا ص (١٠٠).

(٣) سورة التوبة: ٨٠.

(٤) سورة التوبة: ٨٤، والحديث أخرجه البخاري (٤٦٧٠)، ومسلم (٢٤٠٠).

فقالوا: لعمر. فذكرتُ غيرتَه، فولَّيتُ مدبرًا)). فبكىٰ عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله؟![1]

وعن ابن عمر ﷺ أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: ((بينا أنا نائمٌ شربتُ -يعني: اللبنَ- حتىٰ أنظر الري يجري في ظفري أو في أظفاري، ثم ناولت عمر)). فقالوا: فما أَوَّلْتَه؟ قال: ((العلم)).[2]

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعتُ النَّبيَّ عليه الصلاة والسلام يقول: ((بينا أنا نائمٌ رأيتُ النَّاسَ عُرِضوا عليَّ وعليهم قُمُص، فمنها ما يبلغ الثَدْيَ، ومنها ما يبلغُ دون ذلك. وعُرِضَ عليَّ عمرُ وعليه قميصٌ اجْتَرّه)). قالوا: فما أوّلْتَه يا رسول الله؟ قال: ((الدِّين))[3].

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قال النبي عليه الصلاة والسلام: ((يا بن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيكَ الشيطانُ سالكًا فجًّا قطُّ إلا سلك فجًّا غيرَ فَجِّكَ))[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٢٥)، ومسلم (٢٣٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٨١)، ومسلم (٢٣٩١).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٩١)، ومسلم (٢٣٩٠).

(٤) أخرجه البخاري (٣٠٥١)، ومسلم (٤٤١٠). وقوله (فجك): بفتح الفاء وتشديد الجيم – طريقك.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبيُّ عليه الصلاة والسلام: ((لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناسٌ مُحَدَّثون[1]، فإن يكن في أُمَّتِي أحدٌ فإنَّه عمرُ))[2]. وعن النبي عليه الصلاة والسلام قال: ((إنَّ اللهَ جعل الحق علىٰ لسان عمر يقول به))[3]. قال ابنُ عمر ﷺ: (ما نزلَ بالنَّاس أمرٌ قطّ، فقالوا فيه وقال؛ إلا نزلَ فيه القرآنُ علىٰ نحو ما قالَ عمر)[4].

وعن عقبةَ بن عامر ﷺ قال: قال النبي ﷺ: ((لو كان نبيٌّ بعدي لكان عمرَ بنَ الخطاب))[5].

وعن عائشة ﷺ قالت: قال النبي عليه الصلاة والسلام: ((إني لأنظرُ إلىٰ شياطينِ الإنسِ والجن قد فرّوا من عمر))[6].

---

(١) محدَّثون: أي ملهمون.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٨٣)، ومسلم (٢٣٩٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٩٦٢). وابن ماجه (١٠٨). ونحوه في الترمذي (٣٦٨٢).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٦٨٢). وقال: حديث حسن صحيح. مسند أحمد (٥٦٩٧).

(٥) أخرجه الترمذي (٣٦٨٦)، وقال: حديث حسن، مسند أحمد (١٧٤٠٥)، والحاكم (٤٤٩٥) وصححه ووافقه الذهبي.

(٦) أخرجه الترمذي (٣٦٩١). وقال: حديث حسن صحيح.

وعن أبيٍّ بن كعبٍ ﷺ قال: قال النبي عليه الصلاة والسلام: ((أوَّلُ من يصافِحُه الحقُّ عمر، وأوَّلُ من يسلِّم عليه، وأولُ من يأخذُ بيده فيدخلُه الجنَّةَ))[1].

وعن بريدة ﷺ أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: ((إنَّ الشيطان لَيَفْرَقُ[2] منك يا عمر))[3].

وعن ابنِ عمر وأبي هريرة ﷺ قالا: قالَ النَّبيُّ عليه الصلاة والسلام: ((بينا أنا نائمٌ رأيتُني علىٰ قَلِيبٍ[4] عليها دَلْوٌ، فنزعتُ منها إلىٰ ما شاء الله، ثم أخذها أبو بكر، فنزع ذَنوبًا أو ذَنوبَين[5]، وفي نَزْعِه ضَعْف، واللهُ يغفرُ له ضعفه، ثم استحالت غربًا[6]، فأخذها بن الخطاب، فلم أر عبقريًا من الناس يَنزه نزع عمر، حتىٰ ضرب الناس بعَطَنٍ))[7].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٠٤).

(٢) فرق يفْرَق فَرقًا – بوزن فرح – أي خاف.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢٢٩٨٩).

(٤) القليب: البئر غير المطوية. وطيّ البئر: بناء جوانبها بشكل دائري، بحجارة مرصوصة.

(٥) الذنوب: الدلو المملوءة.

(٦) استحالت غربًا: أي صارت وتحولت من الصغر إلىٰ الكبر لأن الغرب: الدلو العظيمة.

(٧) أخرجه البخاري (٣٦٦٤)، ومسلم (٢٣٩٢). ومعنىٰ قوله: ضرب الناس بعطن: رَوُّوا ثم أقاموا علىٰ الماء.

قال النووي: "قال العلماء: هذا إشارة إلىٰ خلافة أبي بكر وعمر، وكثرة الفتوح، وظهور الإسلام في زمن عمر"[1].

أقوالُ الصحابةِ والسَّلفِ فيه[2]:

قال أبو بكر الصديق ﷺ: ما علىٰ الأرضِ رجلٌ أحبُّ إليَّ من عمر[3].

وقيل لأبي بكر ﷺ في مَرَضِهِ: ماذا تقول لربك وقد ولَّيْتَ عُمَرَ؟ قال: أقول له: وليت عليهم خيرهم[4].

وقال عليٌّ ﷺ: إذا ذُكِرَ الصالحون فحيَّهلًا بعمرَ، ما كُنَّا نُبعد -أصحابَ محمد- أنَّ السكينةَ تَنْطِقُ علىٰ لسان عمر[5].

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٢٧-٣٢٨).

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص (٩٧).

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٨٤). وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٤/ ٢٤٧).

(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٤/ ٢٥٠).

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥٥٤٩)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٤٢٧): "إسناده حسن". مسند ابن أبي شيبة (٣١٩٧٤).

وقال ابن مسعود ﷺ: لو أنَّ عِلْمَ عمرَ وُضِعَ في كفَّةِ ميزان، وُوِضَع علمُ أهل الأرض في كفَّةٍ، لرجحَ عِلمُه بعلمهم، وإني لأحسب أنه ذهب بتسعة أعشار العلم يوم ذهب عمر[1].

وقال حذيفة ﷺ: كأنَّ علمَ النَّاس كانَ مدسوسًا في جُحر مع عمر[2].

وقال حذيفة ﷺ: واللهِ ما أعرفُ رجلًا لا تأخذه في اللهِ لومةَ لائِمٍ إلا عمر[3].

وقالت عائشة ﷺ -وذَكَرَتْ عمر-: (كان والله أَحَوَذِيًّا نَسِيجَ وَحْدِه)[4].

وقال معاوية ﷺ: أمَّا أبو بكر فلم يُرِدِ الدُّنيا ولم تُرِدْهُ، وأما عمرُ فأرادته الدنيا لم يُرِدْها، وأمَّا نحنُ فتمرَّغنا فيها ظهرًا لبطن[5].

وحين مات عمر ﷺ وضع بين المنبر والقبر، فجاء علي ﷺ حتىٰ قام بين يدي الصفوف، فقال: هو هذا (ثلاث مرات)، ثم قال: رحمة الله عليك، ما من

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٨٨٠٩). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٤٣٦): "رجاله رجال الصحيح غير أسد بن موسىٰ وهو ثقة". المستدرك للحاكم (٤٤٩٧). الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٢/ ٣٣٦).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٣٢٠٢٢). الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٢/ ٣٣٦). تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (٩٨).

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٤/ ٣٣٢). تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (٩٨).

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٣١٨)، وفي الصغير (١٠٥١)، قال في مجمع الزوائد (١٤٣٣٧): "رواه الطبراني في الصغير والأوسط من طرق ورجال أحدها ثقات" وأخرجه البيهقي في السنن (١٦٨٤٨).

(٥) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (٩٨).

خلق الله تعالىٰ أحد أحبُّ إليَّ أن ألقىٰ بصحيفتهِ بعدَ صحيفة النَّبيِّ عليه الصّلاةُ والسَّلامُ من هذا المسجَّىٰ عليه ثوبه[1].

وقال ابنُ مسعود ﷺ: إذا ذُكِرَ الصَّالحون فحيَّهلًا بعمر، إن عمر كان أعلمَنَا بكتابِ الله، وأفقهَنَا في دين الله[2].

وعن عمير بن ربيعة ﷺ أنَّ عمرَ بن الخطاب ﷺ قال لكعب الأحبار: كيف تجد نعتي؟ قال: أجد نعتك قرنًا من حديد. قال: وما قرنٌ من حديد؟ قال: أميرٌ شديد لا تأخذُهُ في الله لومةُ لائمٍ. قال: ثُمَّ مَهْ؟ قال: ثُمَّ يكون من بعدك خليفةٌ تقتله فئةٌ ظالمةٌ. قال: ثم مَهْ؟ قال: ثم يكون البلاء[3].

وعن ابن مسعود ﷺ قال: فَضَلَ عمرُ بن الخطاب النَّاسَ بأربع: بذكر الأسرىٰ يومَ بدر؛ أمر بقتلهم، فأنزل الله: ﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾[4]، وبذكر الحجاب؛ أمر نساء النبي ﷺ أن يحتجبن، فقالت له زينب: وإنك علينا يا بن الخطاب والوحي ينزل علينا في بيوتنا، فأنزل الله: ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا﴾[5]،

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٨٦٦) ونحوه ما أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٥٢٣).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٢٦٥١) (٣٢٦٥٢) وقد سبق نحوه من كلام علي.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢٠). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٤١٨): "رجاله ثقات".

(٤) الأنفال: ٦٨.

(٥) الأحزاب: ٥٣.

وبدعوة النبي عليه الصلاة والسلام: ((اللهم أيِّد الإسلام بعمرَ)). وبرأيه في أبي بكر؛ كان أوَّلَ من بايعه[1].

وعن مجاهد قال: "كنا نُحَدِّثُ أن الشياطين كانتْ مصفَّدة في إمارة عمر، فلما أصيب بُثَّتْ"[2].

كراماته[3]:

عن ابن عُمَرَ ﷺ قال: وَجَّهَ عمرُ جيشًا، وَرَأَسَ عليهم رجلًا يدعىٰ سارية، فبينما عمرُ يخطب جعل يُنادي: يا ساريةُ، الجبلَ -ثلاثًا- ثم قدمَ رسولُ الجيش، فسأله عمر، فقال: يا أميرَ المؤمنين: هُزِمْنَا، فبينا نحن كذلك إذ سمعنا صوتًا ينادي: يا ساريةُ، الجبلَ -ثلاثًا-، فأَسْندنا ظهورنا للجبل، فهزمَهُم اللهُ. قال: قيل لعُمَرَ: إنَّكَ كُنْتَ تَصِيحُ بذلك. وذلك الجبل الذي كان ساريةُ عنده بنهاوند من أرضِ العَجَم[4].

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤١٣٢)، والطبراني في الكبير (٨٨٢٨). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٤٣٠): "وفيه أبو نهل ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات".

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٤/ ٨٩). تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (٩٨).

(٣) ينظر تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (١٥١).

(٤) دلائل النبوة للبيهقي (٢٦٤٦). دلائل النبوة لأبي نعيم (٥٢٦). تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٠/ ٢٤).

وعن عمرو بن الحارث قال: بينما عمر بن الخطاب ﷺ علىٰ المنبرِ يخطبُ يومَ الجمعة إذ ترك الخطبة، فقال: يا ساريةُ، الجبلَ –مرتين أو ثلاثًا– ثم أقبل علىٰ خطبته، فقال بعض الحاضرين: لقد جُنَّ، إنَّهُ لَمَجْنُون.

فدخَلَ عليه عبدُ الرَّحمن بنُ عوفٍ ﷺ، وكان يطمئن إليه، فقالَ: لشدُّ ما ألومهم عليك؛ إنك لتجعل لهم علىٰ نفسك مقالًا، بينا أنت تخطب إذ أنت تصيحُ: يا ساريةُ الجبلَ. أَيُّ شيءٍ هذا؟ قال: "إني والله ما ملكتُ ذلك، رأيتُهُمْ يقاتلون عند جبلٍ يُؤتَون من بين أيديهم، ومن خلفهم، فلم أملك أنْ قلتُ: يا ساريةُ، الجبلَ؛ لِيلْحقوا بالجبل".

فلبثوا إلىٰ أن جاء رسولُ ساريةَ بكتابه: إنَّ القوم لقونا يوم الجمعة فقاتلناهم، حتىٰ إذا حضرت الجمعة، ودار حاجب الشمس، سمعنا مناديًا ينادي: يا ساريةُ، الجبلَ –مرتين–، فلحقنا بالجبل، فلم نزل قاهرين لعدونا حتىٰ هزمهم الله، وقَتَلهم.

فقال أولئك الذين طَعَنُوا عليه: دَعُوا هذا الرَّجلَ؛ فإنّه مصنوعٌ له[1].

(١) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (٥٢٨).

صفته[1]:

عن أبي رجاء العُطاردي قال: كان عمرُ طويلًا، جسيمًا، أصلعَ شديد الصلع، أبيضَ شديد الحمرة، في عارِضَيه خفَّةٌ، سَبَلَتُه كبيرة، وفي أطرافها صُهْبَة[2].

وعن ابن عمر ﷺ، أنَّه وَصَفَ عُمَرَ ﷺ، فقال: رجلٌ أبيض، تعلوه حمرةٌ، طُوال، أصلع، أَشيب[3].

وعن سلمة بن الأكوع ﷺ قال: كان عمر رجلًا أعسر أيسر، يعني يعمل بيديه جميعًا[4].

خلافته وفتوحاته[5]:

قال الزهري: استُخْلفَ عمرُ يوم توفي أبو بكر الثلاثاء لثمان بقين من جمادىٰ الآخرة سنة ١٣ هجرية، فقام بالأمر خير قيام، وكثرت الفتوح في أيامه.

(١) ينظر تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص (١٠١).

(٢) أخرجه ابن سعد (٣/ ٣٢٤). السَّبَلة: ما علىٰ الشارب من الشعر، والصُّهْبَة: حمرة أو شقرة في الشعر.

(٣) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٣/ ٣٢٤). تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٤/ ١٧).

(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (١٠٥). تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٤/ ١٧).

(٥) ينظر تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص (١٠٥).

ففي سنة (١٤ هـ) فُتِحتْ دمشقُ ما بين صلح وعُنْوَة، وحمص، وبعلبك صلحًا، والبصرة والأُبُلَّة، كلتاهما عنوة[١]. وفيها جمع عمرُ النَّاسَ علىٰ صلاة التراويح[٢].

وفي سنة (خمس عشرة) فُتِحت الأردن كلُّها عنوةً إلا طبريَّة فإنَّها فُتِحتْ صُلحًا، وفيها كانت وَقْعَةُ اليرموك، والقادسية[٣].

قال ابن جرير: "وفيها مَصَّرَ سعدٌ الكوفَة، وفيها فرض عمرُ الفروض، ودَوَّن الدواوين، وأعطىٰ العطاء علىٰ السابقة"[٤].

وفي سنة (ستَّ عشرة) فُتِحت الأهوازُ والمدائن، وأقام بها سعدٌ ﷺ الجمعةَ في إيوان كسرىٰ، وهي أوَّلُ جُمُعةٍ جُمِعَتْ بالعراق، وذلك في صَفَر. وفيها كانت وقعة جَلُولاء، وهُزِم فيها يزدجرد بن كسرىٰ، وتقهقر إلىٰ الرّي. وفيها فُتِحتْ تكريت، وفيها سار عمر، فَفَتَح بيت المقدس، وخطب بالجابيةَ خطبته المشهورة. وفيها فُتِحت قِنسرين عنوة، وحلب، وأنطاكْيَة، وَمنْبِج صلحًا،

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص (١٠٦).

(٢) الأوائل للعسكري ص (١٥٣). تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (١٠٦).

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص (١٠٦).

(٤) تاريخ الطبري (٢/ ٣٠٢) (٢/ ٣١٠). ومعنىٰ أنه أعطىٰ علىٰ السابقة: أن من تقدم وسبق إسلامه زاد عمر عطاءه عمن تأخر إسلامه.

وسروج عنوة. وفيها فُتِحت قَرْقيسياء صلحًا، وفي ربيع الأول كُتِبَ التاريخ من الهجرة بمشورة علي ﷺ[1].

وفي سنة (سبعَ عشرةَ) زاد عمرُ ﷺ في المسجد النبوي، وفيها كان القحطُ بالحجاز، وسُمِّيَ عام الرَّمَادة، واستسقىٰ عمرُ للنَّاس بالعباس ﷺ[2].

عن نِيار الأسلمي أنَّ عمر ﷺ لما خرج يستسقي خرج وعليه بُرْدُ رسول الله ﷺ[3].

وعن ابن عون قال: قال: أخذَ عمرُ بيد العبَّاسِ، ثمَّ رَفَعَها، وقال: اللَّهمَّ إنا نتوسل إليك بعم نبيك أن تُذْهِب عنّا المَحْل[4]، وأن تسقيَنا الغيثَ، فلم يبرحوا حتىٰ سقوا، فأطبقت السماء عليهم أيامًا[5]. وفيها فُتِحَت الأهوازُ صلحًا[6].

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (١٠٦).

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (١٠٦).

(٣) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٣٠/ ٣٢٠). تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (١٠٦).

(٤) المحَل – بالفتح –: القحط والجدب، وذلك بسبب احتباس المطر.

(٥) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (٢٩). الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٤/ ٢٩). وأصله في البخاري (١٠١٠).

(٦) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (١٠٦).

وفي سنة ثماني عشرة فُتِحَت جُنْدَيسَابور صلحًا، وحلوان عَنْوَةً. وفيها كان طاعون عَمَواس. وفيها فُتِحت الرُّها، وسُمَيْساط عنوة، وحرَّان، ونصيبين، وطائفةٌ من الجزيرة عَنْوَةً، وقيل: صلحًا، والموصل ونواحيها عُنْوَةً[1].

وفي سنة (تسعَ عشرةَ) فُتِحتْ قَيسارية عُنْوَةً[2].

وفي سنة (عشرين) فُتِحت مصرُ عنوة، وقيل: مصر كلُّها صلحًا، إلا الإسكندرية فَعُنوَةً. وقال عليُّ بن رباح: المغربُ كلُّه عُنْوَةً. وفيها فُتِحت تُسْتَر. وفيها هَلَكَ قيصرُ عظيمُ الروم. وفيها أجلىٰ عمرُ ﷺ اليهودَ عن خيبر وعن نجران، وقَسَّم خيبر ووادي القرىٰ[3].

وفي سنةَ (إحدىٰ وعشرين) فُتِحتْ الإسكندرية عُنْوَةً، ونهاوند، ولم يكن للأعاجم بعدها جماعة، وبَرْقَة، وغيرها.

وفي سنة (اثنتين وعشرين) فُتِحت أذربيجان عَنوة، وقيل: صلحًا، والدِّينَور عنوة، وماسبَذان عنوة، وهمَذان عنوة، وطرابُلُس المغرب، والرِّي، وعسكر، وقُوْمِس.

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (١٠٦).

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (١٠٦).

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (١٠٦).

وفي سنة (ثلاث وعشرين) كان فتحُ كَرْمان[1]، وسجستان، ومُكْران، من بلاد الجبال، وأصبهان ونواحيها.

استشهاده واستخلافه[2]:

وفي آخر سنة ثلاثٍ وعشرين كانت وفاةُ سيِّدنا عمر ﷺ بعد صدوره من الحج شهيدًا[3].

عن سعيد بن المسيب يقول: لما صدر عمر بن الخطاب ﷺ عن منىٰ في آخر حجة أناخ بالبطحاء، ثم كوم كومة ببطحاء، ثم طرح عليها صنفة ردائه، ثم استلقىٰ ومد يديه إلىٰ السماء، فقال: "اللهم كبر سني، وضعفت قوتي، وانتشرت رعيتي، فاقبضني إليك غير مضيِّع ولا مفرِّط". ثم قدم في ذي الحجة فخطب الناس فقال: "أيها الناس، إنه قد سننت لكم السنن، وفرضت لكم الفرائض، وتركتكم علىٰ الواضحة -وضرب بإحدىٰ يديه علىٰ الأخرىٰ- إلا أن تميلوا بالناس يمينًا وشمالًا". فما انسلخت ذو الحجة حتىٰ قتل عمر[4].

---

(١) بفتح الكاف وربما كسرت، والفتح أشهر بالصحة (معجم البلدان لياقوت الحموي ٤/ ٤٥٤).

(٢) ينظر تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص١٦١-١٦٤.

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (١٠٦).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٥١٣). الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٣/ ٣٣٤). تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٤/ ٣٩٦).

وقال كعب الأحبار لعمر ﷺ: أجدك في التوراة تُقتَل شهيدًا. قال: وأنّىٰ لي بالشهادة وأنا في جزيرة العرب[1]؟!

وقال أسلم: قال عمر ﷺ: اللهم ارزُقْنِي شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك[2].

وقال معدان بن أبي طلحة: خطب عمرُ ﷺ الناس في يوم جمعة، فذكر نبي الله ﷺ وذكر أبا بكر ﷺ فقال: إني رأيت أن ديكًا نقرني، ولا أراه إلا حضورَ أجلي، فإن قومًا يأمروني أن أستخلف، وإنّ الله لم يكن ليضيِّعَ دينه ولا خلافته والذي بعث به نبيه ﷺ، فإن عجل بي أمرٌ فالخلافة شورىٰ بين هؤلاء الرهط الذين تُوفِّي رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو عنهم راض[3].

قال الزُّهريُّ: كان عمرُ ﷺ لا يأذن لِسَبْي قد احتلم في دُخُولِ المدينةَ، حتىٰ كتب إليه المغيرةُ بن شعبة -وهو علىٰ الكوفة- يذكرُ له غلامًا عنده جُمْلةُ صنائع، ويستأذِنُه أن يدخلَ المدينة، ويقول: إنَّ عنده أعمالًا كثيرة فيها منافع للناس؛ إنه حدَّادٌ نقَّاشٌ نَجَّارٌ. فأذن له أن يرسِلَه إلىٰ المدينة، وضرب عليه

---

(١) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٣/ ٣٤٢). تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٤/ ٤٠٣). تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (١٠٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٨٩٠).

(٣) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٣/ ٣٣٥). وقد ورد مختصرًا في المستدرك للحاكم (٤٥١١)، ومصنف ابن أبي شيبة (٣١١٤١).

المغيرةُ مائةَ درهم في الشهر، فجاء إلىٰ عمر يشتكي شدَّةَ الخراج، فقال: ما خراجك بكثير، فانصرف ساخطًا يتذمَّرُ، فلبثَ عمرُ لياليَ، ثم دعاه، فقال: ألم أَخْبَرْ أنك تقول: لو أشاء لصنعتُ رَحَىً تَطْحنُ بالرِّيح؟ فالتفت إلىٰ عمرَ عابسًا، وقال: لأصنعنَّ لك رَحىً يتحدَّثُ الناسُ بها. فلما وَلَّىٰ قالَ عمرُ لأصحابه: أوعدني العبدُ آنفًا. ثم اشتمل أبو لؤلؤة علىٰ خنجر ذي رأسين، نصابهُ في وَسَطِه، فكمن بزاوية من زوايا المسجد في الغَلَس، فلم يزل هناك حتىٰ خرج عمر يُوقِظُ النَّاس للصلاة، فلما دنا منه طعنَهُ ثلاثَ طعنات[1].

وعن عمر بن ميمون الأنصاري: أنَّ أبا لؤلؤة عبدَ المغيرة طعنَ عمرَ بخنجر له رأسان، وطعنَ معه اثني عشر رجلًا، فماتَ منهمْ ستَّة، فألقىٰ عليه رجل من أهل العراق ثوبًا، فلمَّا اغتمَّ فيه طعن نفسه فقتلها[2].

وعن أبي رافع ﷺ قال: كان أبو لؤلؤة عبدًا للمغيرة بن شعبة، وكان يصنع الأرحاء، وكان المغيرة يستغلّه كل يوم أربعة دراهم، فلقي أبو لؤلؤة عمر ﷺ فقال: يا أمير المؤمنين إن المغيرة قد أثقل علي غلتي فكلمه يخفف عني، فقال له عمر ﷺ: اتق الله وأحسن إلىٰ مولاك، ومن نية عمر أن يلقىٰ المغيرة فيكلمه يخفف عنه، فغضب العبد وقال: وسع الناسَ كلهم عدلُه غيري؟! فأضمر علىٰ

(١) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٣/ ٣٤٥). تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٤/ ٤١٣). تاريخ الطبري (٤/ ١٩٠).
(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٤/ ٤٠٨). تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (١٠٨).

قتله، فاصطنع خنجرًا له رأسان، وشحذه ثم أتىٰ به الهرمزان فقال: كيف ترىٰ هذا؟ قال: أرىٰ أنك لا تضرب بهذا أحدا إلا قتلته.

قال: فتحيّن أبو لؤلؤة فجاء في صلاة الغداة حتىٰ قام وراء عمر، وكان عمر إذا أقيمت الصلاة فتكلم يقول: أقيموا صفوفكم. فلما كبر وَجَأه أبو لؤلؤة في كتفه ووجأه في خاصرته، فسقط عمر وطعن بخنجره ثلاثة عشر رجلًا، فهلك منهم سبعة وأفرق منهم ستة.

وجعل عمر يُذهَب به إلىٰ منزله، وصاح الناس حتىٰ كادت تطلع الشمس، فنادىٰ عبد الرحمن بن عوف: يا أيها الناس الصلاة الصلاة الصلاة، قال: وفزعوا إلىٰ الصلاة، فتقدم عبد الرحمن بن عوف فصلىٰ بهم بأقصر سورتين من القرآن، فلما قضىٰ صلاته توجهوا إلىٰ عمر، فدعا بشراب لينظر ما قدر جرحه، فأتي بنبيذ فشربه فخرج من جرحه فلم يُدْرَ أنبيذ هو أم دم، فدعا بلبن فشربه فخرج من جرحه فقالوا: لا بأس عليك يا أمير المؤمنين، فقال: إن يكن للقتل بأس فقد قتلت.

فجعل الناس يثنون عليه يقولون: جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين كنت وكنت، ثم ينصرفون ويجي قوم آخرون فيثنون عليه، فقال عمر: أما والله علىٰ ما تقولون وددت أني خرجت منها كفافا لا علي ولا لي وأن صحبة رسول الله ﷺ قد سلمت لي، وأثنىٰ عليه عبد الله بن عباس ﷺ ... فقال عمر ﷺ: أما والله

علىٰ ما تقولون لو أن لي طِلاع الأرض ذهبا لافتديت به اليوم من هول المطلع، قد جعلتها شورىٰ في ستة: في عثمان وعلي وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص، وجعل عبد الله بن عمر معهم مشيرا وليس منهم، وأجلهم ثلاثا، وأمر صهيبا أن يصلي بالناس[1].

وقال ابنُ عباس ﷺ: كان أبو لؤلؤة مجوسيًا[2].

وعن عمرو بن ميمون قال: قال عمر ﷺ: الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدعي الإسلام. ثم قال لابنه ﷺ: يا عبد الله بن عمر انظر ما علي من الدين، فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا أو نحوه. قال: إن وفي له مال آل عمر فأدِّه من أموالهم، وإلا فسل في بني عدي بن كعب، فإن لم تَفِ أموالهم فسل في قريش ولا تعْدُهم إلىٰ غيرهم، فادّ عني هذا المال. انطلق إلىٰ عائشة أم المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمر السلام، ولا تقل أمير المؤمنين فإني لست اليوم للمؤمنين أميرا، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فسلمَ واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسي ولأوثرن به اليوم علىٰ نفسي، فحمد الله، فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين استخلفْ، قال: ما أجد أحدا

(١) مسند أبي يعلىٰ (٢٧٣١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٤٦٤): "رجاله رجال الصحيح". وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤٥١٢). تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٤/ ٤١٠).

(٢) المعجم الكبير للطبراني (٧٧). تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٤/ ٤٢٣).

أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض فسمىٰ الستة ﷺ، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء -كهيئة التعزية له-، فإن أصابت الإمرة سعدا فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أُمِّر فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة. وقال: أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم وأوصيه بالأنصار خيرا.. (في غير ذلك من الوصايا...) فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي، فسلم عبد الله بن عمر قال: يستأذن عمر بن الخطاب، قالت: أدخلوه، فأدخل فوضع هنالك مع صاحبيه.

فلما فرغ من دفنه.. اجتمع هؤلاء الرهط ﷺ، فقال عبد الرحمن ﷺ: اجعلوا أمركم إلىٰ ثلاثة منكم، فقال الزبير ﷺ: قد جعلت أمري إلىٰ علي، فقال طلحة ﷺ: قد جعلت أمري إلىٰ عثمان، وقال سعد ﷺ: قد جعلت أمري إلىٰ عبد الرحمن بن عوف، فقال عبد الرحمن ﷺ: أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه، والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه؟ فأسكت الشيخان، فقال عبد الرحمن ﷺ: أفتجعلونه إلي والله علي أن لا آلو عن أفضلكم؟ قالا: نعم، فأخذ بيد أحدهما فقال: لك قرابة من رسول الله ﷺ والقِدم في الإسلام ما قد علمت، فالله عليك لئن أمَّرتك لتعدلن ولئن أمّرت عثمان لتسمعن ولتطيعن، ثم خلا

بالآخر فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق قال: ارفع يدك يا عثمان، فبايعه فبايع له علي وولج أهل الدار فبايعوه[1].

وعن عمر ﷺ أنَّه قال: إن أدركني أجلي وأبو عبيدة بن الجراح حيٌّ استخلفته، فإن سألني ربي قلتُ: إني سمعتُ رسولك ﷺ يقول: ((إن لكلِّ نبي أمينًا، وأميني أبو عبيدةَ بنُ الجراح)). فإن أدركني أجلي –وقد تُوفِّي أبو عبيدة– استخلفتُ معاذَ بن جبل، فإن سألني ربي: لِمَ استخلفتَه؟ قلت: سمعتُ رسولك عليه الصلاة والسلام يقول: ((إنَّه يحشرُ يومَ القيامة بين يدي العلماءِ نَبذة))، وقد ماتا في خلافته[2].

وعن أبي رافع ﷺ: أنَّه قيل لعمر عند موته في الاستخلاف، فقال: قد رأيت من أصحابي حرصًا سيِّئًا، ولو أدركني أحدُ الرَّجلين ثم جعلت هذا الأمر إليه لوثقْتُ به: سالمٌ مولىٰ أبي حذيفة وأبو عبيدةَ بنُ الجرَّاحِ[3].

أُصِيبَ عمرُ ﷺ يوم الأربعاء لأربعٍ بقين من ذي الحجة، ودُفن يوم الأحد مُستَهلَّ المحرَّم الحرام، وله ثلاثٌ وستون سنة، وقيل: ستٌّ وستُّون سنة، وقيل:

---

(١) صحيح البخاري (٣٧٠٠).

(٢) مسند أحمد (١٠٨). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٩١٢): "هو مرسل". وقال محققو المسند الأرناؤوط ومن معه: "حسن لغيره".

(٣) مسند أحمد (١٢٩) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧١٢٦): "فيه علي بن زيد، وحديثه حسن وفيه ضعف". الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٣/ ٣٤٣). تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٤/ ٤٢٧).

إحدىٰ وستون. وقيل: ستّون، ورجَّحه الواقدي. وقيل: تِسعٌ وخمسون. وقيل خمس أو أربع وخمسون. وصلىٰ عليه صهيبٌ في المسجد[1].

وكان نقشُ خاتم عمر: (كفىٰ بالموت واعظًا يا عمر)[2].

وأخرج الطبراني عن طارق بن شهاب قال: قالت أمُّ أيمن يوم قُتِلَ عُمرُ ﷺ: اليومَ وهىٰ[3] الإسلامُ[4].

وأخرج عبد الرحمن بن يسار قال: شهدتُ موتَ عمر بن الخطاب ﷺ، فانكسفت الشمس يومئذ[5].

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (١٠٩).

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٤/ ٢٦٠). تهذيب الكمال للمزي (٢١/ ٣٢٣). البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ١٣٤).

(٣) وَهىٰ: ضَعُفَ.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٢١). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٤٦٥): "ضعيف". مصنف ابن أبي شيبة (٣١٩٧٨). الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٣/ ٣٦٩). تاريخ دمشق لابن عساكر (٤/ ٣٠٣).

(٥) أخرجه الطبراني (٧٩)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٤٧٥): "رجاله ثقات". وهنا أن كسوفها وافق موته ﷺ لا أنها كسفت لأجل موته.

وثبت في الصحيح أنه ﷺ كان يدعو: "اللهمَّ إني أسألك الشهادةَ في سبيلك، وموتًا في بلد رسولك".[1] وكان استشهاده مصداقًا لحديث البخاري: ((اثبتْ أُحُدُ؛ فما عليكَ إلا نبيٌّ، و صدِّيقٌ، و شهيدان))[2].

أَوَّلِيَّات عمر ﷺ[3]:

قال العسكري: هو أول من سُمِّيَ أمير المؤمنين، وأوَّلُ من كَتَب التاريخ الهجري، وأولُ من اتَّخذ بيت المال، وأولُ من سنَّ قيام شهر رمضان[4] وأولُ من عسَّ بالليل[5]، وأولُ من عاقبَ علىٰ الهِجَاء، وأولُ من ضَرَبَ في الخمر ثمانين، وأوّلُ من حرَّم المتعة[6]، وأوَّلُ من نهىٰ عن بيع أُمَّهات الأولاد، وأولُ من جمع الناس في صلاة الجنائز علىٰ أربع تكبيرات، وأوّلُ من اتخذ الديوان، وأولُ من فَتح الفتوح، ومَسَحَ السواد، وأوّلُ من حمل الطعام من مصر في بحر أَيلة إلىٰ

(١) أخرجه البخاري (١٨٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٥).

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (١١٠).

(٤) يعني أول من جمع الناس علىٰ إمام واحد في صلاة التراويح عشرين ركعة، والوتر ثلاث ركعات، وقد وافق الصحابة علىٰ ذلك، ومَعاذَ الله أن يشرع عمر ما ليس في دين الله، ويوافقه الصحابة علىٰ ذلك.

(٥) عس: طاف بالليل يتفقد أحوال الناس.

(٦) يعني: أول من نادىٰ بتبليغ تحريم المتعة حيث جاء في الحديث ما يدل علىٰ أن ناسًا لم يبلغهم التحريم فتمتعوا في عهد رسول الله ﷺ وفي عهد أبي بكر ﷺ وصدرًا من خلافة عمر ﷺ، فلما بلغه أمر مناديًا ينادي بالتحريم، وبلغ التحريم لكل الأمكنة.

المدينة، وأوّلُ من احتبس صدقة في الإسلام[1]، وأول من أعالَ الفرائضَ[2]، وأول من أخذ زكاة الخيل، وأول من قال: "أطالَ اللهُ بقاءَكَ" قالها لعلي، وأول من قال: "أيدك الله" قالها لعلي[3].

وقال النووي: هو أوّلُ من اتَّخَذَ الدِّرَّة[4]. ولقد قيل بعده: لَدِرَّةُ عمر أهيبُ من سيفكم[5]. قال: وهو أول من استقضىٰ القضاة في الأمصار، وأول من مصَّرَ الأمصار: الكوفة، والبصرة، والجزيرة، والشام، ومصر، والموصل[6].

وعن إسماعيل بن زياد قال: مَرَّ عليُّ بنُ أبي طالب ﷺ علىٰ المساجد في شهر رمضان وفيها القناديل، فقال: نوّرَ الله علىٰ عمر في قبره كما نوَّر علينا مساجدنا[7].

قال ابن سعد: واتَّخذ عمرُ ﷺ دارَ الدقيق، فجعل فيها الدّقيق والسَّويق والتَّمر والزَّبيب وما يُحتاج إليه؛ يُعين به المنقطع. ووضع فيما بين مكة والمدينة

---

(١) يريد أول من وقف شيئًا يُتصدق بِغَلته.

(٢) الفرائض: المواريث، وَعَولها: زيادة مجموع الفرائض علىٰ التركة، فينقص سهم كل ذي سهم بنسبته من الواحد الصحيح.

(٣) هذا ما ذكره العسكري في كتابه الأوائل ص (١٥٠ حتىٰ ١٦٤ ثم ١٧٥ حتىٰ ١٧٧ ثم ٤٣٧ و٤٤١).

(٤) تهذيب الأسماء واللغات للنووي (٢/ ٣٣٣). تهذيب الكمال للمزي (٢١/ ٣٢٣).

(٥) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٣/ ٢٨٢).

(٦) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٣/ ٢٨٢).

(٧) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٤/ ٢٨٠).

بالطريق ما يصلح من ينقطع به، وهَدَمَ المسجدَ النّبوي وزاد فيه ووسَّعَه وفرشه بالحصباء. وهو الذي أخرج اليهودَ من الحجاز إلىٰ الشام، وأخرج أهلَ نجرانَ إلىٰ الكوفة. وهو الذي أَخَّر مقام إبراهيمَ ﷺ إلىٰ موضعه اليوم، وكان مُلصقًا بالبيت[1].

نبذ من حياة عمر ﷺ[2]:

عن شداد قال: أوَّلُ كلامٍ تكلَّمَ به عمرُ[3] حين صعد المنبر أن قال: (اللهم إنِّي شديدٌ فَلَيِّنِي، وإني ضعيفٌ فَقَوِّني، وإنِّي بخيلٌ فَسَخِّنِي)[4].

وعن ابن عمر ﷺ قال: كان عمرُ إذا أراد أن ينهي النَّاس عن شيء تقدم إلىٰ أهله، فقال: لا أعلمنَّ أحدًا وقع في شيء مما نهيتُ عنه إلا أضعفتُ عليه العقوبة[5].

وخرج عمر بن الخطاب ﷺ ذات ليلة يطوف بالمدينة، وكان يفعل ذلك كثيرًا، إذ مَرَّ بامرأةٍ من نساء العرب مغلق عليها بابُها، وهي تقول:

---

(١) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٣/ ٢٨٢). تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (١١٠).

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص (١٦٦-١٦٧).

(٣) أي بعد أن صار خليفة المسلمين.

(٤) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٣/ ٢٧٤).

(٥) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٣/ ٢٧٤). تاريخ الطبري (٢/ ٤١٠). تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٤/ ٢٦٨).

تطاولَ هذا اللَّيلُ تَسريْ كواكِبُه وأَرَّقَنِي أنْ لا ضَجِيْعَ أُلاعِبُه
فوالله لولا اللهُ تُخْشَىٰ عَوَاقِبُه لَزُحزِحَ من هذا السَّرِيرِ جوانِبُه
ولكنَّنِي أَخْشَىٰ رَقِيْبًا مُوَكَّلًا بأنفسِنا لا يَفْتُر الدَّهرَ كاتِبُه
مخافةَ ربِّي والحياءُ يصدُّني وأُكرِم بَعْلِيْ أَنْ تُنَال مَرَاتِبُه

فسأل حفصة ﷺ: كم تصبر المرأة عن زوجها؟ فقالت: أربعة أشهر أو ستة أشهر –شك الراوي– فقال: لا أحبس جيشًا أكثر من هذا، فكتب إلىٰ عماله بالغزو أن لا يغيب أحدٌ أكثر من أربعة أشهر[1].

وفي رواية ابن جريج أنه سأل حفصة ﷺ: كم تشتاقُ المرأةُ إلىٰ زوجها؟ فخفضت رأسها، واستحيتْ. قال: فإنَّ الله لا يستحيي من الحق. فأشارتْ بيدها ثلاثةَ أشهر، وإلا فأربعةَ أشهر، فكتب عمرُ أن لا تحبس الجيوش فوق أربعة أشهر[2].

(١) الأوائل للعسكري ص (٤١٥). تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (١٢٤).
(٢) مصنف عبد الرزاق (١٢٥٩٣). تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (١١٣).

التاريخ الهجري:

استشار الفاروق ﷺ المسلمين ليرىٰ رأيهم حول التاريخ الذي يؤرِّخُ به المسلمون حوادثهم، فاقترح بعض أن يُؤرَّخ بمولد النبي ﷺ، واقترح بعض أن يؤرَّخَ بمبعثه ﷺ، واقترح بعض أن يؤرَّخ بهجرته ﷺ، ونُسب هذا إلىٰ علي ﷺ.

فاختار عمر الفاروق ﷺ أن يؤرَّخَ التاريخ من يوم هاجر رسول الله ﷺ وترك أرض الشرك، وذلك لأنه بالهجرة قام للإسلام دولةٌ تحفظه، وتذود عنه وتبلِّغُ دعوته للعالمين، ولقد كانت الهجرةُ مبدأ عهدٍ جديد. وقد بدأ العملُ بالتاريخ الهجري في السنة السادسة عشرةَ من الهجرة، واتفق المسلمون علىٰ أن يكون بدءُ السنة الهجرية هو بدء شهر الله المحرم[1].

(١) ينظر البداية والنهاية لابن كثير (٣/ ٢٠٦). وورد ذكر ذلك مختصرًا في صحيح البخاري (٣٩٣٤) من كلام سهل بن سعد.

# الفصل الثالث

# الخليفة الراشدي الثالث

# عثمان بن عفان رضي الله عنه

# الخليفة الراشدي الثالث

## عثمان بن عفان ﷺ

نسبه ومكانته:

هو عثمان بنُ عفانَ بنِ أبي العاص بنِ أميةَ بنِ عبد شمس بنِ عبد مناف. أمُّه أورىٰ بنتُ كُرَيز بنِ ربيعة بنِ حبيبِ بنِ عبدِ شمس بن عبد مناف. وجدَّتُه لأمه أمُّ أروىٰ هي: أم حكيم البيضاء عمَّةُ النبي ﷺ. وكان يُكْنَىٰ في الجاهلية: أبا عمرو، وصار أبا عبد الله[1]. وُلِدَ بعد ميلاد النبي ﷺ بست سنوات، ونشأ في رَغَدٍ من العيش وثراءٍ عريض.

وقد زوَّجه ﷺ ابنتيه رقيةَ وأمَّ كلثوم ﷺ، الواحدة بعد الأخرىٰ، ولذلك سمي (ذا النورين).

إسلامه:

خالته سعدىٰ بنت كريز، أخبرته بمبعث النبي ﷺ وإسلام أبي بكر، فأسلم علىٰ يد أبي بكر ﷺ. وقد أسلم وحده من بني أمية[2].

---

(١) المستدرك للحاكم (٤٥٢٨) من كلام الزهري. المعجم الكبير للطبراني (٩٠) من كلام مصعب بن عبد الله الزبيري، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: (١٤٤٨٩): "رجاله ثقات". البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ١٩٨).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ١٩٩).

وكان عثمان أوَّلُ الناس إسلامًا بعد أبي بكر، وعليٍّ، وزيدِ بن حارثة ﷺ[1].

وعن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي قال: لمَّا أسلمَ عثمانُ ﷺ أخذه عمه الحَكَم ابن أبي العاص فأوثقه رباطًا، وقال: "أترغبُ عن ملَّةِ آبائك إلىٰ دينٍ مُحْدثٍ؟ والله لا أدعكُ أبدًا حتىٰ تدعَ ما أنت عليه من هذا الدين". فقال عثمانُ: "واللهِ لا أدعه أبدًا ولا أفارقه". فلما رأىٰ الحكمُ صلابتَه في دينه تركه[2].

صفاته الخَلقية:

كان عثمان ﷺ رجلًا رَبْعَةً: ليس بالطويل ولا بالقصيرِ، حَسَنَ الوجه، جعد الرأس، أبيضَ مشربًا صفرةً، كثيرَ اللحية، أصلعَ، أحسنَ النَّاس ثغرًا[3].

وعن عبد الله بن حزم المازني قال: رأيت عثمان بن عفان ﷺ، فما رأيت قطُّ ذكرًا ولا أنثىٰ أحسن وجهًا منه[4].

وعن أسامة بن زيد ﷺ قال: بعثني رسول الله ﷺ إلىٰ منزل عثمان بصفحة فيها لحم، فدخلت، فإذا رقيَّةُ جالسةٌ، فجعلت مرَّةً أنظرُ إلىٰ وجه رقيَّةَ، ومرّةً

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٩/ ١٠).)

(٢) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٣/ ٥٥). تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٩/ ٢٦).

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٩/ ١٧).

(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٩/ ١٧).

أنظرُ إلىٰ وجه عثمان، فلما رجعتُ، سألني رسول الله ﷺ قال لي: ((دخلت عليهم؟)) قلت: نعم. قال: ((فهل رأيت زوجًا أحسنَ منهما؟)) قلت: لا يا رسول الله[1].

صفاته الخُلقية:

الحياء، والسخاء، والحزم، وقوة الشخصية.

عن عائشة ﷺ قالت: يا رسول الله، دخل أبو بكر فلم تهتشَّ له[2] ولم تبالِه[3]، ثم دخل عمرُ فلم تهتشَّ ولم تباله، ثم دخل عثمانُ فجلست وسوَّيتَ ثيابك؟ فقال: ((ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكةُ))[4].

وكان سخي النفس، كريم اليد، كثير العطاء والإنفاق علىٰ قومه قبل الإسلام، محسنًا إليهم، تحبه قريش، حتىٰ صار مضرب المثل:

أحبك والرحمن حب قريش عثمان[5]

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩٧)، وقال الطبراني: "وهذا كان قبل نزول آية الحجاب، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٤٩٠): "فيه راوٍ لمْ يُسمَّ وبقية رجالِه رجال الصحيح".

(٢) الاهتشاش: من الهشاشة: وهي طلاقة الوجه وحسن اللقاء.

(٣) لم تباله: أي لم تكترث به كثيرًا ولم تحتفل لدخوله.

(٤) أخرجه مسلم (٢٤٠١).

(٥) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٩/ ٢٥١).

قصة عِير عثمان ﷺ:

قحَط الناس في زمن أبي بكر ﷺ، فلما اشتدَّ بهم الأمرُ، جاءوا إلىٰ أبي بكر، فقالوا: إن السماء لم تُمطرْ، والأرضَ لم تُنبت، وقد توقَّعَ النَّاسُ الهلاك، فما تصنعُ؟

قال: "انصرفوا واصبروا، فإني لأرجو اللهَ أن لا تمسوا حتىٰ يفرِّج الله عنكم". فلما كان آخر النهار، ورد الخبر بقدوم عير عثمان ﷺ، وهي ألفُ بعير موسوقة بُرًا وزيتًا، وزبيبًا، فجاء التجار يساومونه؛ قالوا: بعنا من هذا الذي وصل إليك، فإنَّك تعلمُ ضرورةَ النَّاسِ -كأنهم يريدون التصدق بما يشترون-.

قال: عثمان: حبًّا وكرامة، كم تربحوني علىٰ شرائي؟

قالوا: الدرهمَ درهمين.

قال: أُعطيت زيادةً علىٰ هذا.

قالوا: أربعة.

قال: أُعطيتُ زيادةً علىٰ هذا.

قالوا: خمسة.

قال: أُعطيتُ زيادة علىٰ هذا.

قالوا: يا أبا عمرو، ما بقي من التجار غيرُنا، وما سبقنا إليك أحدٌ، فمن الذي أعطاك؟

قال: فإن الله أعطاني بكل درهمٍ عشرة، أعندكم زيادة؟

قالوا: لا.

قال: فإني أُشهدُ الله أني جعلت ما حملت هذه العير صدقةً علىٰ المساكين وفقراء المسلمين[1].

فضائله ﷺ:

١- من السابقين الأولين.

٢- ثالثُ الخلفاء الراشدين.

٣- هجرتُه للحبشة مرتين.

٤- هجرتُه للمدينة.

٥- تخلِّيه عن كلِّ شيءٍ في سبيل الله.

٦- أحدُ العشرة المبشرين بالجنة.

٧- ذو النُّورين.

(١) الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري (٣/ ٤٤).

هجرتُه للحبشة ﷺ:

عن أنسٍ ﷺ قال: أوّلُ من هاجر من المسلمين إلىٰ الحبشة بأهله عثمان بن عفان، فقال النبي ﷺ: "صحبهما الله، إن عثمان لأوّلُ من هاجر إلىٰ الله بأهله بعد لوطٍ".[1]

جهاده مع رسول الله ﷺ:

شهد المشاهدَ كلَّها: أحدًا، والخندقَ، وخيبرَ، وعمرةَ القضاء، وفتحَ مكة، وهوازنَ، والطائفَ، وتبوك. أما بدر فتخلَّفَ عنها بأمر رسول الله ﷺ للقيام بأمر زوجته ﷺ، وأسهم له الرسولُ ﷺ في بدر. وأما الحديبية، فغيابه عنها بأمر رسول الله ﷺ. ولمّا حصلت بيعة الرضوان قال ﷺ: ((هذه لعثمان))، ووضع يده اليمنىٰ علىٰ الأخرىٰ[2]، فكانت يدُ رسول الله ﷺ خيرًا لعثمان من يده.

شراؤُه بئر رومة وتجهيزُه جيشَ العسرة:

عن أبي عبد الرحمن السلمي أن عثمانَ ﷺ حين حوصر أَشرف عليهم وقال: أنشدكم بالله، ولا أنشد إلا أصحابَ النَّبيِّ عليه الصلاة والسلام؛ ألستم تعلمون أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: ((من حفرَ بئر رومة فله الجنّةُ))، فحفرتها؟ ألستم

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٥٨٨). المعجم الكبير للطبراني (١٤٣). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٤٩٨): "فيه الحسن بن زياد البرجمي ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات". تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٩/ ٢٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٩٨).

تعلمون أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: ((من جهَّزَ جيشَ العُسْرةِ فله الجنَّةُ))، فجهزتهم؟ فصدَّقوه بما قال[1].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: اشترىٰ عثمانُ بنُ عفَّان ﷺ الجنَّةَ من النَّبيِّ ﷺ مرتين بَيع الحق: حيث حفر بئر معونة (رومة)، وحيث جهَّزَ جيشَ العسرة[2].

وقد ذُكر انه اشترىٰ بئر رومة بعشرين ألف درهم[3].

ولما قال عثمان ﷺ: "يا رسول الله، عَليَّ ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله". فنزل ﷺ عن المنبر وهو يقول: ((ما علىٰ عثمان ما عمل بعد هذه، ما علىٰ عثمان ما عمل بعد هذه))[4].

وجاء عثمان ﷺ بألف دينار، حين جهَّزَ جيشَ العسرة، فنثرها في حجره، فجعل رسول الله ﷺ يقلِّبُها في حجره، ويقول: ((ما ضرَّ عثمانَ ما عمل بعد اليوم)) مرتين[5]. وقد ذُكر أنه تبرع زيادة عن الأطعمة بتسعمائة بعير، وخمسين فرسًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٧٨).

(٢) المستدرك للحاكم (٤٥٧٠).

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٩/ ٢٠).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٧٠٠). مسند أحمد (١٦٦٩٦).

(٥) أخرجه الترمذي (٣٧٠١) وقال "حديث حسن". المستدرك للحاكم (٤٥٥٣) وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي.

ومن دعاء النبي ﷺ له في تجهيزه جيش العسرة:

((اللهمَّ قد رضيتُ عن عثمان، فارضَ عنه)) ثلاثًا[1].

وقد روتْ السيدةُ عائشةُ ﷺ وأبو سعيدٍ الخدريُّ ﷺ: رأيتُ رسول الله ﷺ من أوَّلِ الليل إلىٰ أن طلعَ الفجرُ، رافعًا يديه يدعو لعثمان، وقال يومًا لعثمان[2]: ((غفر الله لك ما قدَّمتَ وما أخَّرتَ، وما أسررتَ وما أعلنت، وما أخفيتَ وما أبديت، وما هو كائن إلىٰ يوم القيامة))[3].

حالُ الأُمّةِ في عهد عثمان ﷺ:

عن الحسن البصري ﷺ قال: أدركت عثمان ﷺ –علىٰ ما نقموا عليه– وقلَّ ما يأتي الناسَ يومٌ إلا وهم يقتسمون فيه خيرًا؛ يقال لهم: "يا معشرَ الناس، اغدوا علىٰ أعطياتكم"، فيَغْدُون فيأخذونها وافرة، ثم يقال لهم: "اغدوا علىٰ كسوتكم"، فَيُجَاءُ بالحُللِ فتقسم بينهم. قال الحسن: والعدو مَنْفي، والعطيات دارَّة، وذاتُ البين حسنٌ، والخيرُ كثيرٌ، وما علىٰ الأرض مؤمن يخاف مؤمنًا[4].

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٩/ ٥٣). الرياض النضرة للمحب الطبري (٣/ ٢٣).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٢١٢). تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٩/ ٥٤).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٣٢٠٥٩)، تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٩/ ٥٧).

(٤) المعجم الكبير للطبراني (١٣١). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٥٥٠): "إسناده حسن". تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٩/ ٢٢٧). البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٢١٣).

وأما ما افتراه الحاقدون، وروَّجَهُ المُغرضون من ضعفِ عثمان ﷺ لكبَرِ سِنِّهِ، ومحاباتِهِ لأقاربه، ومن تَرِفِ الصحابة ﷺ وبنائهم القصورَ، وغير ذلك، فما هو إلا خيال من مرضٍ في النفوس وحقدٍ في القلوب.

كيف تمَّ انتخاب عثمان ﷺ:

ومن احتياطات عمرَ بن الخطاب ﷺ: إشراكُ مجموعةٍ من الصحابة ﷺ لحمايةِ الشورىٰ، وتعجيل نتائجها.

فعمارٌ والمقدادُ في ثلاثين من المهاجرين، وأبو طلحةَ الأنصاريُّ في خمسين من قومه.

يقول عمرو بن ميمون: فقالوا: أوصِ يا أميرَ المؤمنين، استخلفْ. قال: ما أجدُ أحقَّ بهذا الأمر من هؤلاء النفرِ، أو الرَّهطِ الذين تُوفي عنهم رسولُ الله ﷺ، وهو عنهم راضٍ، فسمَّىٰ: عليًا وعثمانَ وطلحةَ وسعدًا وعبدَ الرحمن والزبيرَ ﷺ، وقال: يَشهدُكُم عبدُ الله بنُ عمر، وليس له من الأمر شيءٌ -كهيئة التعزيةِ له- فإن أصابت الإمرةُ سعدًا فهو ذاك، وإلا فليستعنِ به أيّكم ما أُمِّر، فإني لم أعزلْهُ عن عجْزٍ ولا خيانةٍ....

فلما فُرغ من دفنه اجتمعَ هؤلاء الرَّهطُ، فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلىٰ ثلاثةٍ منكم، فقال الزبيرُ: قد جعلت أمري إلىٰ علي، فقال طلحةُ: قد جعلتُ أمري إلىٰ عثمان، وقال سعدٌ: قد جعلتُ أمري إلىٰ عبد الرحمنِ بن عوف.

فقال عبدُ الرحمن: أيكم تبرَّأ من هذا الأمر فنجعله إليه، واللهُ عليه والإسلام، لينظرن أفضلهم في نفسه؟ فأُسكت الشيخان.

فقال عبدُ الرحمن: أفتجعلونها إلي، واللهُ عليَّ أن لا آلوَ عن أفضلكم؟ قالا: نعم. ثم يأمر مسورَ بن مخرمة أن يدعو له عليًا وعثمانَ، وينفرد بكلِّ واحدٍ منهما، ويأخذَ الميثاق عليهما، فمن ولاّه لَيَعْدِلنَّ، ومن ولي غيره لَيَسْمَعَنَّ ولَيُطِيعَنَّ، فلما أخذَ الميثاق، قال: ارفع يدك يا عثمان، فبايعه، فبايع له عليٌّ، وولجَ أهلُ الدَّارِ، فبايعوه[1].

وأما سعيدُ بنُ زيدِ بنِ عمر بنِ نفيل ﷺ أحدُ العشرة المبشرين بالجنة، فينصُّ عليه، ويستثنيه من بينهم، ويقولُ: لست مُدخِلَهُ فيهم[2]؛ كل ذلك خشيةَ أن تُراعىٰ قرابتُهُ من عمر ﷺ، فيولِّيْه المسلمون مع أحقيَّةِ غيره، وكذلك عبدُ الله بنُ عمر ﷺ، وقال: حَسْبُ آلِ الخطَّاب أن يُحاسَبَ واحدٌ منهم عن أمورِ المسلمين[3].

وقد بُويع ﷺ بالخلافةِ بعد دفن عمر ﷺ بثلاثِ ليالٍ، واستمرَّتْ خلافة عمر اثنتي عشرة سنة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٠٠).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ١٤٥).

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه (٢/ ٨٢).

شهادتُه:

عن أنسِ بن مالك ﷺ أنّ النّبي ﷺ صعد أُحدًا وأبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ ﷺ، فرجفَ بهم، فقال: ((اُثبُتْ أحدُ؛ فإنّما عليكَ نبيٌّ أو صِدِّيقٌ أو شهيدان))[1].

وعن ابن عمر ﷺ قال: ذَكَرَ رسولُ الله ﷺ فتنةً، فقال: ((يُقْتَلُ هذا فيها مظلومًا))، لعثمان.[2] وعن عائشة ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال: ((يا عثمان، إنه لعلَّ الله يُقَمِّصك قميصًا، فإن أرادوك علىٰ خَلْعِهِ فلا تَخْلَعْهُ لهم))[3].

وعن عثمان ﷺ أنَّه قال يومَ الدَّارِ: "إنَّ رسول الله ﷺ قد عَهِدَ إليَّ عهدًا، فانا صابرٌ عليه".[4]

وسيأتي تفصيلُ قصَّةِ حصارِ الدّارِ، وقد استُشْهِدَ ﷺ بعدَ أن قتله السبئيون كما سيأتي.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٠٨)، وقال: "حديث حسن". مسند أحمد (٥٩٥٣).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٧٠٥)، وقال: "حديث حسن". وأحمد (٢٥١٦٢). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٩٤٣): "فيه فرج بن فضالة وقد وُثق، وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح". مصنف ابن أبي شيبة (٣٢٠٤٥).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٧١١)، وقال: "حديث حسن صحيح". وأحمد (٤٥٧). مصنف ابن أبي شيبة (٣٢٠٣٧).

السبئيون قتلة عثمان ﷺ

أسلمَ عبدُ الله بن سبأ مع كعب الأحبار ووهبِ بن منبِّه، وكان إسلامهم في أواخر عهد عمر ﷺ، وأوائلِ عهد عثمان ﷺ، وقد وثَّقَ علماءُ المسلمين كعبًا، ووهبًا، وروىٰ عنهما المحدِّثون.

وأمّا عبدُ الله بنُ سبأ فلم يوثقوه، وكان يتظاهر بالزُّهْدِ وكثرةِ الذكر، ولا يتكلَّمُ أمام الصحابة وأهلِ العلم إلا قليلًا، وبما يُناسِبُ المقام، وفي الجوِّ الجاهل يتحدَّثُ بطلاقةٍ وراحةٍ. وقد أنشأ تنظيمًا سرِّيًّا ضمَّ إليه الناقمين علىٰ عثمانَ من اليهودِ والمنافقين والمتجاوبين حقيقةً مع مبدأ ضربِ الإسلامِ من الداخل والقضاءِ عليه، وكانت هناك مجموعةٌ تُخَطِّطُ، وكانوا يرتِّبون الإشاعاتِ، ويهيِّجون النَّاسَ علىٰ عثمان ﷺ.

وكانوا يبثُّون أمورًا، ويَرَوْنَ تجاوبَ النَّاس معها، ويركِّزون علىٰ عثمان كثيرًا بتولية أقاربه، وإعطائه الأموال لأقاربه، وإرجاعه الحَكَمَ ابن أبي العاص وقد نفاه النَّبيُّ ﷺ إلىٰ الطائف، وإذا عاقبَ عثمانُ شخصًا جاءوا إليه يتباكون حوله، ويظهرون له نقمتَهُم علىٰ معاقبته، ويلحُّون أنَّه مظلومٌ، ويتربَّصُون الفُرص للنَّيل من شخصيةِ عثمان أوّلًا، وتأليبِ النَّاس عليه ثانيًا. وكانوا يضعون الأحاديث في موضوعين هامَّين: الرجعةُ، والوصيةُ، ويضعون الأحاديث في

محبَّةِ آل البيت، وهذه أمورٌ يمكن أن يتجاوب معها العامَّةُ والجهلةُ، وخاصة المسلمينَ الجُدُد.

ومن هذه الأحاديث المكذوبةِ:

(عجيبٌ لقوم فيهم آلُ نبيِّهم يُقْصُونهم عن الخلافةِ، ويولُّون غيرَهم).

(محمَّدٌ خاتَمُ الأنبياء، وعليٌّ خاتمُ الأوصياء).

(لكلِّ نبيٍّ وصيٌّ، ووصيُّ مُحمَّدٍ عليٌّ).

(عجيبٌ لمن يؤمنُ برجعةِ عيسىٰ، ولا يؤمنُ برجعةِ محمّدٍ).

وفي الجماعاتِ الواعيةِ يتحدَّثونَ بما يتفق مع الجلساء.

فيتحدثونَ أمام أبي ذرٍّ ﷺ بالزهد في الدنيا، ويسيرون مع أبي ذرٍّ في الأحاديث التي يرويها ﷺ. وأبو ذرٍّ ﷺ يرىٰ وجوب التَّصدُّقِ بالفضل، وأنَّه لا يجوز أن يخبِّئَ المسلم ما زاد علىٰ حاجته وحاجةِ أهله. وبَالغَ حتىٰ أوصل الأمر إلىٰ أنَّه يجب علىٰ وُلاةِ الأمور أن ينفقوا كل ما في بيت المال، ولا يجوز حبسُهُ عن المسلمين. وقد ناقشه سيِّدُنا معاويةُ ﷺ، فلم يستطعْ إقناعه ﷺ.

وعاقبَ عثمانُ ﷺ عمَّارَ بن ياسر ﷺ، فالتفُّوا حوله يهيِّجُونه علىٰ عثمان، واكتشف معاويةُ ﷺ مجموعةً منهم تعبثُ بالكلام.. فناقشهم، وأقام عليهم

الحجَّةَ، وطردهُمْ من الشام عندما رأىٰ انحرافَهُمْ، وكلَّف عبد الرحمن بنَ خالدِ بنِ الوليدِ بسوقهم إلىٰ الكوفةِ مَشْيًا علىٰ الأقدام، وضرْبِهم، وإهانتِهم[1].

وكانوا يؤلِّبون النَّاس علىٰ وُلاةِ عثمان ﷺ بكثرةِ الإشاعات، وإلصاق التُّهم، حتىٰ صارت كلُّ بلد تقولُ من كثرة الإشاعات: (إنَّا لفي عافيةٍ مما فيه الناس)، وتأتي الأخبار إلىٰ الصحابة ﷺ في المدينة ويزداد الجو توترًا[2].

ويأتي الصحابة إلىٰ عثمان ﷺ، ويتداولون الأمور، ويميلون علىٰ استعمال الشدة ويطلبون منه ﷺ أن يشتد، فيأبىٰ ويقول: إن باب الفتنة مفتوح، وأعوذ بالله أن يكون فتحه علىٰ يد عثمان.

ويرسل إلىٰ الولاة في كافة الأمصار كتبًا يدعوهم للاجتماع ويشرحون له الحقيقة، ويتحدث معهم ويشير أكثرهم بالشدة، فيأبىٰ ﷺ ويقول: لو طلبوا مني أن أغير كل يوم وليًا لفعلت.

يعرف عثمان ﷺ أن وراء الشائعات أمرًا مدبرًا، ويسألهم عن الحل؟ فأجاب سعيد بن العاص ﷺ والي الكوفة باستعمال الشدة أيضًا.

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٣٢١).

(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٣٤١). تاريخ دمشق لابن عساكر (٤/ ٢٩).

وأرسل إلىٰ الأمصار من يكشف الحقيقة، فأرسل إلىٰ الكوفة محمد بن مسلمة، وإلىٰ البصرة أسامة بن زيد، وإلىٰ الشام عبد الله بن عمر، وإلىٰ مصر عمار بن ياسر، فرجع الجميع ﷺ وبقي عمار بن ياسر ﷺ في مصر[1].

(١) تاريخ الطبري. تاريخ دمشق لابن عساكر.

وكان ترتيب السبئيين:

في مصر: الغافقي بن حرب العكي، يمني، وهناك قبائل يمنية نزلت مصر، وكنانة بن بشر التجيبي، وسودان بن حمران، وفتيرة بن فلان، والأخيران سكونيان (وقبيلة السكون من مرة حضرموت)، وعبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي.

في البصرة: حكيم بن جَبَلَة من قبائل عبد القيس، وكان قد طرده ابن عامر من البصرة.

في الكوفة: مالك (الأشتر) بن الحارث النخعي، (والنخَع قبيلة يمنية من مذحج، وهي من مرتدة حضرموت)[1].

وقد زور السبئيون كتبًا علىٰ لسان علي ﷺ لأهل مصر، (هناك محمد بن أبي بكر المتربي في بيت علي ﷺ وانضم إليهم عمار ﷺ)، وليس لعلي بها أي علم. وكتبًا علىٰ لسان الزبير ﷺ لأهل الكوفة، وليس للزبير بها أي علم. وكتبًا علىٰ لسان طلحة ﷺ لأهل البصرة، وليس لطلحة بها أي علم[2].

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٣٤٨-٣٤٩). تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٩/ ٣١٧). البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ١٧٣).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ١٧٣).

وأخيرًا تداعىٰ السبئيون لأداء فريضة الحج، فجاء خمسمائة من مصر وخمسمائة من الكوفة، وخمسمائة من البصرة، وبعد فريضة الحج، وذهاب الناس حاصروا عثمان في بيته، فأراد أبناء الصحابة الدفاعَ عن عثمان ﷺ، فعزمَ علىٰ كلِّ من له في عنقه بيعةٌ أن يُغْمِدَ سيفه، ويَذْهَبَ إلىٰ ببيته، وخرجَ عليهم ففنَّدَ أقوالهم، وردَّ علىٰ كلِّ قضيةٍ من قضاياهم، وتظاهروا بالاقتناع، وطلبوا منه تغييرَ الولاة، فأجابهم[1].

وتظاهروا بالخروج، وظنَّ الصحابةُ أن الأمر قد انتهىٰ، ولكنَّهم بعد ثلاثٍ عادوا، فقال المصريون: وجدنا كتابًا بخطِّ عثمان، يحمله شخصٌ مرسلٌ من قبل عثمان علىٰ بعير من إبلِ الصدقة، والكتابُ ممهور بخاتم عثمان علىٰ لسانه، عليه خاتمه إلىٰ عامله بمصر أن يصلبهم أو يقتلهم أو يقطع أيدهم وأرجلهم من خلاف. فأقبلوا حتىٰ يقدموا المدينة، فأتوا عليًّا، فقالو: ألم تر إلىٰ عدوّ الله! إنه كتب فينا بكذا وكذا؛ وإن الله قد أحل دمه، قم معنا إليه، قال: والله لا أقوم معكم؛ إلىٰ أن قالوا: فلمَ كتبت إلينا؟ فقال: والله ما كتبت إليكم كتابًا قط؛ قال: فنظر بعضهم إلىٰ بعض، ثم قال بعضهم لبعض: ألهذا تقاتلون، أو لهذا تغضبون!

فانطلقوا حتىٰ دخلوا علىٰ عثمان، فقالوا: كتبت فينا بكذا وكذا! فقال: إنما هما اثنتان: أن تقيموا عليَّ رجلين من المسلمين، أو يميني بالله الذي لا إله إلا

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٣٧٦٩١). تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٩/ ٣٩٩).

هو ما كتبت ولا أمللت ولا علمت. قال: وقد تعلمون أن الكتاب يُكتَب علىٰ لسان الرَّجل وقد يُنقش الخاتم علىٰ الخاتم. قال: فقالوا: فقد والله أحلَّ الله دمك، ونقضتَ العهد والميثاق. فحاصروه[1].

أقولُ: لا شكَّ أنه مزوَّرٌ قبل الذهاب، وقد اكتشف ذلك عليٌّ ﷺ فقال: أنتم يا أهلَ مصر وجدتُمْ كتابًا بقتلِ واليكم، فرجعْتُم، وأنتُمْ يا أهلَ الكوفةِ، ويا أهلَ البصرة: ما الذي أرجعكم؟ وكيف علمتم؟ قالوا: قُلْ ما شئت، فإنَّا قاتلو الرجل[2].

وتمَّ الحصارُ علىٰ عثمان ﷺ، ولم يكن أحدٌ من الصحابةِ ﷺ يظنُّ أن عثمانَ سيُقْتَلُ. وتمَّ منعُهُ من الصَّلاة، ومَنْعُهُ من الطَّعامِ والشَّراب، ولقد تعرَّض سيِّدنا عليٌّ وأمُّ حبيبةَ ﷺ لأذىٰ من أجل هذا[3].

وقد خرج عليهم عثمانُ ﷺ فوعظهم، وخوَّفهم من الله، والقومُ مُصمِّمُون علىٰ أن يخلعَ عثمانُ نفسه[4]. ورفضَ عثمانُ ذلك؛ لوصيَّةِ النبي ﷺ له. وقد ودَّعَ

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٣٥٥). تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٩/ ٣٢٤).

(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٣٥١). تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٩/ ٣١٩).

(٣) تاريخ الطبري (٤/ ٣٨٥-٣٨٦).

(٤) تاريخ الطبري (٤/ ٣٩٥). تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٩/ ٤٣٣).

عثمانُ أهل المدينة بقوله: (يا أهل المدينة: أستودعكم الله، وأسأل الله أن يُحْسِنَ عليكم الخلافةَ من بعدي)[1].

وقد بحث السبئيون عن مبرِّرٍ لدخول الدَّارِ. فلم يجدوا، وخرج عثمان عليهم مرَّةً أخرىٰ محذِّرًا، ثمَّ رجع إلىٰ البيت، واستسلم للقتلِ[2]، وعُمُرُه حينئذٍ اثنان وثمانون سنة[3].

وأمرُ عثمان ﷺ كلُّه سنَّةٌ ماضيةٌ، وسيرةٌ راضيةٌ، فإنَّه تحقق أنَّه مقتول بخبرِ الصادق له ذلك، وأنَّه بشره بالجنَّة علىٰ بلوىٰ تُصيبه، وأنَّه شهيدٌ.

وعن أبي سعيد مولىٰ عثمان ﷺ: أن عثمان أعتق عشرين مملوكًا، ودعا بسراويل، فشدَّها عليه، ولم يلْبَسْها في جاهليةٍ، ولا في إسلامٍ، وقال: إنِّي رأيتُ رسولَ الله ﷺ البارحةَ في المنامِ، ورأيتُ أبا بكرٍ وعمرَ ﷺ، وأنَّهم قالوا لي: (اصبر فإنَّك تُفْطِرُ عندنا القابلةَ)، ثم دعا بمُصْحَفٍ فنشره بين يديه، فقُتِلَ وهو بين يديه[4].

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٣٨٥). تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٩/ ٤٣٣).

(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٣٨٥). تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٩/ ٤٣٣).

(٣) تاريخ الطبري (٤/ ٤١٥). تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٩/ ١٢).

(٤) أخرجه أحمد (٥٢٦). مصنف ابن أبي شيبة (٣٠٥١٠).

وقد حاول السبئيون أن يكونَ القتلةُ من المخدوعين بدلًا من السبئيين، وأرسلوا الواحدَ بعد الآخر، حتىٰ بلغَ العددُ أربعةً، فلم يفعلوا، فعلمَ السبئيون أنه لن يقتُلَه أحدٌ إلا منهم، فأُرسِلَ:

قتيرة بن فلان وسودان بن حمران السكونيان، والغافقي بن حرب العكي، فضربه الغافقي بمشقص في ترقوته، وضرب المصحف برجله، وضربه سودان بن حمران، فأكبت عليه زوجته فقطع أصبعها، ثم قتله أغلمة عثمان (قتلوا سودان) فوثب قتيرة فقتل قاتل سودان، فوثب واحد علىٰ قتيرة فقتله.

وقيل: القاتل: كنانة بن بشر بن عتاب التُّجَيْبِي، وقد قتل في في المعركة التي نشبت في مصر[1].

بقيت المدينة بعد مقتل عثمان خمسة أيام وأميرها الغافقي بن حرب العكي، يلتمس هؤلاء من يجيبهم إلىٰ القيام بالأمر فلا يجدونه.

يأتي المصريون عليًّا ﷺ فيختبئ منهم، ويلوذ بحيطان المدينة، فإذا لقوه باعدهم وتبرأ منهم ومن مقالتهم مرة بعد مرة.

ويطلب الكوفيون الزبير ﷺ.

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٣٩٣-٣٩٤). الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٣/ ٧٤). تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٩/ ٤٠٩). البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ١٨٥).

ويطلب البصريون طلحة ﷺ.

فبعثوا إلىٰ سعد بن أبي وقاص ﷺ، وأتوا عبد الله بن عمر ﷺ[1].

يأتي الناس عليًّا وهو في سوق المدينة وقالوا له: ابسط يدك نبايعك. قالوا لا تعجلوا، فإن عمر كان رجلًا مباركًا، وقد أوصىٰ بها بها شورىٰ، فأمهلوا، يجتمع الناس، ويتشاورون، فارتدَّ النَّاسُ عن عليٍّ ﷺ.

ثم قالَ بعضهم: إنْ رَجَعَ النَّاسُ إلىٰ أمصارهم بقتلِ عثمان، ولم يَقُمْ بعده قائمٌ بهذا الأمر؛ لم نأمنِ اختلافَ النَّاسِ وفسادَ الأمَّةِ.

فعادوا إلىٰ عليٍّ، فأخذ الأشترُ بيده، فقبضها عليٌّ، فقال: أَبَعْدَ ثلاثةٍ؟ أما والله لئن تركتها لتعصُرَنَّ عينك عليها حينًا، فبايعته العامة، وأهلُ الكوفة يقولون: أَوّلُ من بايعه الأشتر.

ويومَ الخميس علىٰ رأس خمسةِ أيام، جمعوا أهل المدينة، فوجدوا سعدًا والزبير خارجين ووجدوا طلحةَ في حائطٍ له فلما اجتمع لهم أهل المدينة تمَّ الاتفاقُ علىٰ توليةِ عليٍّ ﷺ[2].

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٢٢٦). تاريخ الطبري (٤/ ٤٣٢-٤٣٣).

(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٤٣٣).

فكانتْ بيعةُ عليٍّ ﷺ كبيعة إخوانه، جاءت علىٰ قدرها وفي إبّانها، وإنها مستمدةٌ من رضا الأمة في حينها، لا من وصيةٍ مزعومةٍ أو رموزٍ خياليَّةٍ موهومةٍ.

وعَقَدَ له البيعةَ طلحةُ ﷺ، فقال قائِلُهُمْ: بايع عليًا يد شلاء.

وواضح أن اختيارهم لسيدنا علي ﷺ؛ ليغطوا جريمتهم مؤقَّتًا، وليُسْكِتوا النَّاس علىٰ أكبرِ جريمة ارتكبوها، وهي قتلُ ثالثِ الخلفاء الراشدين ذي النورين عثمانَ بن عفان ﷺ في مدينة رسول الله ﷺ.

وواضح جدًا أنه لم يتخلف عن بيعة علي ﷺ أحد، وأنها تمت بإجماع أهل الحَلِّ والعقد من المسلمين.

أهم الضلالات التي نادىٰ بها ابن سبأ[1]:

١- القول بالوصية: وهو أول من قال بوصية رسول الله ﷺ لعلي، وأنه خليفته علىٰ أمته من بعده بالنص[2]. وكان يقول -وهو علىٰ يهوديته- في يوشع بن نون: وصيٌّ بعد موسىٰ عليهما السلام.

٢- أول من أظهر البراءة من أعداء علي ﷺ بزعمه، وكاشَف مخالفيه، وحكم بكفرهم.

٣- أول من قال بألوهية وربوبية علي ﷺ.

٤- أول من ادعىٰ النبوة من فرق الشيعة الغلاة، وزعم أن أمير المؤمنين عليًّا هو الله -تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا-، فبلغ ذلك أمير المؤمنين فدعاه وسأله فأقرَّ بذلك وقال نعم أنت هو، فقد كان ألقي في روعي أنك أنت الله، وأني نبي. فقال له أمير المؤمنين علي ﷺ: ويلك قد سخر منك الشيطان، فارجع عن هذا ثكلتك امك وتُبْ. فأبىٰ، فحبسه واستتابه ثلاثة أيام فلم

(١) كتاب "ابن سبأ حقيقة لا خيال" لمؤلفه د. سعدي الهاشمي ص (٥٠).

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٩/ ٤).

يتب، فقيل: إنه أحرقه بالنار، والصواب أنه نفاه إلىٰ المدائن بعد أن شُفع له[1]، كما سيأتي بيانه.

٥- كان ابن سبأ أوَّلَ من أحدثَ القولَ برجعةِ علي ﷺ إلىٰ الدنيا بعد موته، وبرجعةِ رسول الله ﷺ. وأوّلُ مكان أظهر فيه ابن سبأ مقالته هذه في مصر، فكان يقولُ: العجب ممن يزعمُ أنَّ عيسىٰ يرجعُ، ويُكذِّبُ برجوع محمَّد ﷺ، وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[2] فمحمّدٌ أحقُّ بالرجوعِ من عيسىٰ، فقُبِلَ ذلك عنه، وَوَضَعَ لهم الرجعة، فتكلَّمُوا فيها[3].

قالت السبئيَّةُ لمن أخبرهم بمقتلِ سيدنا علي ﷺ، ونعاه: كذبتَ يا عدوَّ الله، لو جئتنا -واللهِ- بدماغِهِ ضربة، فأقمتَ علىٰ قتلِهِ سبعين عدلًا، ما

(١) نفْي علي ﷺ لابن سبأ ذكره ابن عساكر في تاريخه (٢٩/ ٩)، وابن تيمية في منهاج السنة (١/ ٣٠)، وكذا ذكر البغدادي في الفرق بين الفرق (١/ ٢٣) أن عليًا نفىٰ ابن سبأ إلىٰ المدائن إذ نهاه ابن عباس ﷺ عن قتله خشية أن يختلف عليه أصحابه، لا سيما أنه عازم علىٰ العودة إلىٰ قتال أهل الشام.

لكن قال الذهبي في الميزان (٢/ ٤٣٦): "أحسب أن عليا حرقه بالنار". وابن حزم في الفصل في الملل والنحل (٢/ ٩١) ذكر أن عليا أحرق طوائف من جماعة ابن سبأ كانوا يقولون بألوهية علي، ولم يصرح بتحريق ابن سبأ ولا بنفيه.

(٢) القصص: ٨٥.

(٣) تاريخ الطبري (٤/ ٣٤٠). تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٩/ ٤) (٦٨/ ١٠١).

صدَّقناك، لِعِلْمنا أنَّه لم يَمُتْ ولم يُقْتَل، وأنَّه لا يموت، حتىٰ يسوق العربَ بعصاه[1].

٦- ادَّعىٰ ابنُ سبأ اليهوديُّ أن عليًا ﷺ هو دابَّةُ الأرض، وأنه هو الذي خلق الخلقَ وبسط الرزقَ[2].

٧- وقالتْ السبئيَّةُ: إنهم لا يموتون، وإنما يطيرون بعد مماتهم، وسمِّيتْ بالطَّيَّارة[3].

٨- وقالَ قومٌ من السبئية بانتقال روحِ القُدُسِ في الأئمة. وقالوا: بتناسخِ الأرواحِ.

يقول ابن طاهرٍ المقدسيُّ: "ومن الطيَّارة -أي السبئية- قومٌ يزعمون أنَّ روح القُدُسِ كانتْ في النَّبيِّ كما كانتْ في عيسىٰ، ثم انتقلتْ إلىٰ علي، ثم إلىٰ الحسن، ثم إلىٰ الحسين، ثم كذلك في الأئمة. وعامَّةُ هؤلاء يقولون بالتناسخِ والرَّجْعَةِ"[4].

٩- وقالتِ السبئيَّةُ: هُدينا لوحيٍ ضَلَّ عنه النَّاسُ، وعلمٍ خَفِيَ عنهم.

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٨/ ٤٤٤). البدء والتأريخ لابن طاهر المقدسي ص (٤٤٩).

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٩/ ٩).

(٣) البدء والتأريخ لابن طاهر المقدسي ص (٤٤٩).

(٤) البدء والتأريخ لابن طاهر المقدسي ص (٤٤٩).

١٠- وقالوا: إنَّ رسول الله ﷺ كَتَمَ تسعةَ أعشارِ الوحيِ[١].

وقد ردَّ علىٰ مقالتهم هذه أحدُ أئمَّةِ أهلِ البيت، وهو: الحسن بنُ محمد بنِ الحنفية، وقال: ولو كتم شيئًا مما أنزلَ اللهُ عليه لكتم شأن امرأةِ زيدٍ[٢].

١١- وقالوا: إن عليًا في السَّحاب، وإنَّ الرعدَ صوتُهُ، والبَرْقَ سوطُهُ. ومن سَمِعَ من هؤلاء صوتَ الرَّعد قال: عليك السلامُ يا أمير المؤمنين[٣].

وقال ابنُ عساكر: "عن جابرٍ ﷺ قال: لما بويع عليٌّ ﷺ خطب الناس، فقام إليه عبدُ الله بنُ سبأ، فقال له: أنت دابّةُ الأرض. فقال له: "اتقِ اللهَ". فقال له: أنت الملك. فقال له: "اتق الله". فقال له: أنتَ خلقتَ الخلقَ، وبسطتَ الرِّزق. فأمر بقتله. فاجتمعتِ الرَّافضةُ، فقالت: دَعْهُ، وانْفِه إلىٰ ساباط المدائن؛ فإنَّك إن قتلته بالمدينة -أي الكوفة- خرجَت أصحابُهُ علينا وشيعته. فنفاه إلىٰ ساباط المدائن، فَثَمَّ[٤] القرامطة والرافضة[٥].

---

(١) ميزان الاعتدال للذهبي (٢/ ٤٢٦).

(٢) روىٰ هذه الكلمة عن ابن الحنفية ابن أبي الحديد في شرحه علىٰ نهج البلاغة (٢/ ٣٩)، والعدني في كتاب الإيمان ص (١٤٥). وقالتها أم المؤمنين عائشة ﵂ كما في صحيح مسلم (٢٨٨) قالت: "لو كان محمد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كاتمًا شيئًا مما أنزل عليه لكتم هذه الآية". ورواها البيهقي في سننه عن أنس بن مالك ﷺ (١٣٣٦١).

(٣) الفَرْق بين الفِرَق للبغدادي ص (٢٢٤). والقائلون به بعض السبئية كما نبه البغدادي إليه.

(٤) ثَمَّ: هناك.

(٥) أي: كانت بعد ذلك، -وبجهود ابن سبأ- مركزًا يتجمعون فيه.

قال (أي جابر): ثم قامتْ إليه طائفةٌ، وهم السبئيَّةُ وكانوا أحدَ عشرَ رجلًا فقال: "ارجعوا؛ فإنِّي عليُّ بنُ أبي طالب، أبي مشهورٌ وأمي مشهورةٌ وأنا ابنُ عمِّ محمد ﷺ". فقالوا: لا نرجع، ادْعُ داعيك، فأحرقهم بالنار، وقبورُهُم في صحراءَ (أحدَ عشرَ) مشهورةٌ[1]. فقال من بقي ممن لم يكشف رأسه منهم: علمنا أنه إلهٌ، واحتجوا بقول ابن عباس ﷺ: "لا يُعذِّب بالنَّارِ إلا خالِقُها"[2].

(وأُتِيَ علي ﷺ بزنادقة، فأحرقهم)[3].

وعن عبد الله بن شريك العامري عن أبيه قال: قيل لعليٍّ ﷺ: إن هاهنا قومًا علىٰ باب المسجد يدَّعون أنَّك ربُّهُم، فدعاهم فقال لهم: "ويلكم، ما تقولون؟" قالوا: أنت ربُّنا وخالِقُنا ورازِقُنا. فقال: "ويلَكُم، إنَّما أنا عبدٌ مثلكم، آكلُ الطعام كما تأكلون، وأشربُ كما تشربون، إن أطعتُ الله أثابني إن شاءَ، وإن عصيتُه خشيتُ أن يُعذِّبني، فاتقوا الله وارجعوا". فأبوا.

---

(١) أي أحد عشر قبرًا.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٩/ ١٠). كلام ابن ابن عباس روي مرفوعًا في سنن أبي داود (٣/ ٢٦٧)، ومسند أحمد (١٦٣٤) بلفظ: ((لا يعذِّب بالنار إلا رب النار))، لكن كل الروايات المرفوعة ليست من طريق ابن عباس ﷺ. والقصة ذكرها ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٩/ ١٠).

(٣) ونصه في صحيح البخاري (برقم ٦٩٢٢): عن عكرمة ﷺ: أتي علي ﷺ بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس ﷺ فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم، لنهي رسول الله ﷺ ((لا تعذبوا بعذاب الله))، ولقتلتهم لقول رسول الله ﷺ: ((من بدَّل دينه فاقتلوه)).

فلما كان الغد غدوا عليه، فجاءَ قنبر فقال: قد -والله- رجعوا يقولون ذلك الكلام، فقال: "أدخلهم". فقالوا كذلك.

فلما كان الثالثُ، قال: "لئن قلتم ذلك لأقتلنَّكُم بأخبثِ قتلة". فأبوا إلا ذلك. فقال: "يا قنبر، ائتني بِفَعَلَةٍ معهم مرورهم[1]، فَخُدَّ لهم أخدودًا بين باب المسجد والقصر"، وقال: "احفروا فأبعِدوا في الأرض". وجاء بالحطب فطرحه بالنار في الأخدود، وقال: إني طارحكم فيها أو ترجعوا، فأبوا أن يرجعوا، فقذف بهم فيها، حتىٰ إذا احترقوا قال:

إني إذا رأيتُ أمرًا منكرًا ... أوقدتُ ناري ودعوتُ قنبرا[2]

وروىٰ الطوسي في كتابه (اختيار معرفة أخبار الرجال)[3] بعد ترجمة عبد الله بن سبأ تحت عنوان: (في سبعين رجلا من الزط الذين ادعوا الربوبية في أمير المؤمنين عليه السلام):

"إن عليًا عليه السلام لما فرغ من قتال أهل البصرة، أتاه سبعون رجلًا من الزط، فسلموا عليه وكلموه بلسانهم، فرد عليهم بلسانهم وقال لهم: إني لست

---

(١) مرورهم: جمع مُرّ، والمُرُّ: المسحاة.

(٢) قال ابن حجر في فتح الباري (١٢/ ٢٧٠) بعد هذه الرواية: "هذا سند حسن". وساق هذه القصة أيضا ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٢/ ٤٧٥). وهذه الروايات تدل بمجموعها أن عليًا ﷺ حرَّق بعض أولئك الزنادقة ونفىٰ بعضهم.

(٣) يعرف أيضًا باسم "رجال الكشي"، والقصة فيه في (٢/ ١٠٣) رقم الترجمة (١٧٥).

كما قلتم، أنا عبد الله مخلوق. قال: فأبوا عليه وقالوا له: أنت أنت هو. فقال لهم: لئن لم ترجعوا عما قلتم في وتتوبوا إلىٰ الله تعالىٰ لأقتلنكم. قال: فأبوا أن يرجعوا ويتوبوا، فأمر أن يحفر لهم آبار فحفرت، ثم خرق بعضها إلىٰ بعض، ثم فرّقهم فيها، ثم طم رؤوسها، ثم ألهب النار في بئر منها ليس فيها أحد، فدخل الدخان عليهم فماتوا"

الأباطيل المفتراة على عثمان ﷺ والرد عليها

من الأباطيل التي رواها الكذابون وعدُّوها مآخذ علىٰ عثمان ﷺ ما يأتي[1]:

١- تركه القصاص من عبيد الله بن عمر ﷺ في قتله للهرمزان (الذي أعطىٰ السكين إلىٰ أبي لؤلؤة، وحرضه علىٰ عمر حتىٰ قتله).

٢- مخالفته من سبقه، ومن ذلك: إتمام الصلاة بمنىٰ، واتخاذ الحمىٰ، وجمع القرآن في مصحف واحد، وعلوه علىٰ درجة رسول الله ﷺ في المنبر.

٣- إيثاره أقرباؤه في جوانب منها: توليتهم، والأعطيات، ورد الحكم بعد أن نفاه الرسول ﷺ، فقد ولىٰ معاوية، وعبد الله بن عامر بن كريز، ومروان والوليد بن عقبة وهو فاسق ليس من أهل الولاية، كما أنه أعطىٰ مروان خمس إفريقية.

٤- معاملته ومعاقبته لبعض الصحابة ﷺ: فقد ضرب عمار بن ياسر حتىٰ فتق أمعاءه، وابنَ مسعود حتىٰ كسر أضلاعه، ومنع عطاءه، وأجلىٰ أبا ذر إلىٰ الرَّبذة، وأخرج أبا الدرداء من الشام.

٥- تغيبه عن بدر وبيعة الرضوان، وفراره يوم أحد، ويوم حنين.

---

(١) نوردها بتصرف من العواصم من القواصم للقاضي أبي بكر العربي، ص (٧٦ فما بعد).

وكل ذلك من الأباطيل التي لم تثبت سندًا ومتنًا، وبيان ذلك علىٰ النحو الآتي:

فتركه القصاص من عبيد الله بن عمر ﷺ كان لأن عثمان ﷺ لا يرىٰ علىٰ عبيد الله حقًا، لما ثبت عنده من حال الهرمزان وفعله، فقد قيل إن الهرمزان سعىٰ في قتل عمر ﷺ، وحمل الخنجر وظهر تحت ثيابه، ثم إن عثمان لم يقم بالقصاص والصحابة متوافرون ولم يعترضوا عليه.

وإتمامه الصلاة بمنىٰ كان عن اجتهاد، وقد قال جماعة من العلماء: المسافر مخير بين القصر والإتمام فالقصر ليس بواجب. وأما اتخاذه الحمىٰ: فإن الحمىٰ كان قديمًا وزاد فيه لزيادة الراعية، وإذا جاز أصله للحاجة إليه جازت الزيادة فيه لزيادة الحاجة. وأما جمعه القرآن فتلك حسنته العظمىٰ، وبفعله كان حسم مادة الخلاف، ونفوذ وعد الله بحفظ القرآن. وعلوّه علىٰ درجة رسول الله في المنبر لم يصح.

وأما إيثاره لأقربائه بتوليتهم، فإنه لم يولّ إلا من وثق بدينه وكان معروفًا بالصدق والأمانة والعلم والفطانة، وإعطاؤه لأقربائه كان من ماله الخاص صلة للرحم. وردُّ الحكم لم يصح[1].

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٦/ ١٣٣-١٣٤)، والعواصم من القواصم لابن العربي مع تعليق محب الدين الخطيب عليه ص (٨٩).

"وأما معاوية فعمر ولاه، وجمع له الشامات كلها، وأقره عثمان، بل إنما ولاه أبو بكر الصديق ﷺ، لأنه ولىٰ أخاه يزيدًا، واستخلفه يزيد، فأقره عمر لتعلقه بولاية أبي بكر لأجل استخلاف واليه له، فتعلق عثمان بعمر وأقره"[1]، ومعاوية ﷺ دعا له ﷺ فقال: ((اللهم اجعله هاديًا مهديًا واهد به))[2]. ولما أسلم أوصاه بالعدل إذا ولي، فكانت إشارة واضحة بأنه سيكون خليفة، وولاه رسول الله ﷺ كتابة الوحي بوحي من الله تعالىٰ.

وأما عبد الله بن عامر فولاه لأنه كريم فاضل موثوق به عند الأكثرين، فكيف لا يثق به عثمان ﷺ.

وتولية مروان لأنه رجل عدل من كبار الأمة عند الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين. وتولية الوليد لأنه كان أهلًا، وقد قيل لعثمان: إنك وليت الوليد لأنه أخوك لأمك أروىٰ بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، فقال: بل لأنه ابن عمة رسول الله ﷺ أمِّ حكيم البيضاء[3]. وأم حكيم هي جدة عثمان وجدة

---

(١) العواصم من القواصم ص (٩٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٨٤٢) وقال: "هذا حديث حسن غريب". مسند أحمد (١٧٨٩٥). معجم الأوسط للطبراني (٦٥٦).

(٣) العواصم من القواصم ص (٩٩) قال ابن عبد البر في الاستيعاب (٤/ ١٧٨٠) عن البيضاء: "يقال إنها توأمة عبد الله بن عبد المطلب وقد اختلف في ذلك، ولم يختلف في أنها شقيقة عبد الله وأبي طالب والزبير بني عبد المطلب".

الوليد لأمهما أروىٰ المذكورة، وأم حكيم توأمة عبد الله والد رسول الله ﷺ، وأي حرج علىٰ المرء أن يولي أخاه أو قريبه؟

أما ما رواه بعض المفسرين بشأن الوليد من أن الله سماه فاسقًا في قوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ﴾[1] فإنها -في قولهم- نزلت فيه، أرسله النبي إلىٰ بني المصطلق، فأخبر عنهم أنهم ارتدوا، فأرسل رسول الله ﷺ إليهم خالد بن الوليد فتثبت في أمرهم فبين بطلان قوله. وقد اختلف فيه، فقيل: نزلت في ذلك[2].

---

(١) الحجرات: ٦.

(٢) قال المحب الخطيب في تعليقه علىٰ العواصم ص (١٠٢- ١٠٣) في مناقشة الأخبار الواردة في كون الوليد بن عقبة هو المقصود بالآية كلاما ملخصه:

أن الوليد كان موضع السر في الرسائل الحربية التي دارت بين الخليفة أبي بكر وقائده خالد بن الوليد ﷺ في وقعة المذار مع الفرس، ثم وجهه مددا إلىٰ قائده عياض بن غنم الفهري، ثم كان يلي لأبي بكر ﷺ صدقات قضاعة، ثم لما عزم الصديق علىٰ فتح الشام سير الوليد بن عقبة قائداً إلىٰ شرق الأردن.

ثم كان في عهد عمر ﷺ أميراً علىٰ بلاد بني تغلب وعرب الجزيرة يحمي ظهور المجاهدين في شمال الشام لئلا يؤتوا من خلفهم، فكانت تحت قيادته ربيعة وتنوخ مسلمهم وكافرهم، فكان يبذل كل جهده لنشر الإسلام هناك بالدعوة.

ثم لما تولىٰ الكوفة لعثمان ﷺ كان من خير ولاتها عدلاً ورفقًا وإحسانًا، وكانت جيوشه مدة ولايته علىٰ الكوفة تسير في آفاق الشرق فاتحة ظافرة موفقة.

فكيف تكون هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة ويسميه الله فاسقا، ثم تبقىٰ له في نفس خليفتي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أبي بكر وعمر ﷺ المكانة التي سجلها له التاريخ.

وقيل: في علي والوليد في قصة أخرىٰ[1].

وقيل: إن الوليد سبق يوم الفتح في جملة الصبيان إلىٰ رسول الله ﷺ فمسح رؤوسهم وبرّك عليهم، إلا هو فقال: إنه كان علىٰ رأسي خَلوق، فامتنع ﷺ من مسِّه[2].

فمن يكون في مثل هذه السن يرسل مصدقًا[3]؟! وهل بهذا الاختلاف يسقط العلماء الأحاديث القوية؟! وكيف يفسق رجل بمثل هذا الكلام؟! فكيف برجل من أصحاب محمد ﷺ[4]؟!

أما إعطاؤه خمس أفريقية لواحد فلم يصح[5]. علىٰ أنه قد ذهب مالك[6] وجماعة إلىٰ أن الإمام يرىٰ رأيه في الخمس، وينفذ فيه ما أداه إليه اجتهاده، وقد كان إعطاؤه لأقاربه من ماله -كما أسلفنا- صلة للرحم، وقد أعطىٰ سيدَنا

(١) وفيها آية السجدة: ١٨. تفسير البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٤٣٨).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٦٣٧٩) عن الوليد بن عقبة. وأخرجه ابن حبان أيضًا في الثقات (١٤٠٩)، والحاكم في المستدرك (٤٥٤٦)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢٦٨٥).

(٣) أي في قصة بني المصطلق، والمصّدّق: هو الذي يأخذ زكاة الأنعام ممن وجبت عليهم بأمر الحاكم.

(٤) العواصم من القواصم ص ١٠٣ فما بعد.

(٥) العواصم من القواصم ص (١١) وعلق محب الدين الخطيب علىٰ ذلك فقال في الموضع نفسه: "والذي صح هو إعطاؤه خمس الخمس لعبد الله بن أبي سرح جزاء جهاده المشكور، ثم عاد فاسترده منه". ثم ساق الخطيب برهان ذلك نصًا من تاريخ الطبري (٢/ ٤٣١).

(٦) البيان والتحصيل لابن رشد الجد (٣/ ٨٠). الذخيرة للقرافي (٣/ ٤٣١).

الحسن وسيدنا الحسين من ماله رضي الله عنه وعنهم، وكان الحسن والحسين يزورانه فيستقبلهما أحسن استقبال، ويقدم إليهما أعظم العطاء. وسأله أحد الصحابة عن هذا، فقال: أما إذا أعطيت الحسن والحسين فإنما أعطي أهل المدينة لأنهما سينفقان هذا المال علىٰ أهل المدينة.. رضي الله عنهم أجمعين.

وأما ضربه لعمار بن ياسر، ولابن مسعود، ومنعه عطاءه فكله كذب[1].

وأما نفيه أبا ذر ﷺ إلىٰ الربذة فلم يفعل كان أبو ذر زاهدًا، وكان يقرّع عمال عثمان ﷺ، ويتلو عليهم ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[2]، ويراهم يتسعون في المراكب والملابس حين وجدوا، فينكر ذلك عليهم، ويريد تفريق جميع ذلك من بين أيديهم، وهو غير لازم. قال ابن عمر ﷺ وغيره من الصحابة ﷺ: "إن ما أديت زكاته فليس بكنز"[3]. فوقع بين أبي ذر ومعاوية ﷺ كلام بالشام.. فخرج إلىٰ المدينة،

(١) العواصم من القواصم لابن العربي مع تعليق محب الدين الخطيب عليه ص (٨٠)، والطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٣/ ٦٣)، ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية (٦/ ١٢٨)، والرياض النضرة للمحب الطبري (٣/ ٨٥-٩٧)، وتاريخ الطبري (٤/ ٣٩٩)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦/ ٢٩).

(٢) التوبة: ٣٤.

(٣) سنن البيهقي (٧٢٣٥) وقد ورد مرفوعًا لكن الصحيح المحفوظ وقفه علىٰ ابن عمر ﷺ كما نبه إلىٰ ذلك البيهقي في الموضع المذكور. وينظر مجمع الزوائد للبيهقي (٤٣٣٨). لكن ورد معناه مرفوعًا عن ام سلمة ﷺ كما في سنن أبي داود (١٥٦٤) والمستدرك للحاكم (١٤٣٨) وقال: صحيح علىٰ شرط البخاري ولم يخرجاه.

فاجتمع إليه الناس، فجعل يسلك تلك الطرق، فقال له عثمان ﷺ: "لو اعتزلت"[1]. معناه: إنك علىٰ مذهب لا يصلح لمخالطة الناس، فإن للخلطة شروطًا وللعزلة مثلها، ومن كان علىٰ طريق أبي ذر ﷺ فحاله يقتضي أن ينفرد بنفسه، أو يخالط ويسلم لكل أحد حاله مما ليس بحرام في الشريعة، فخرج إلىٰ الربذة زاهدًا فاضلًا.

وأما أبو الدرداء ﷺ فقد وقع بينه وبين معاوية ﷺ كلام، وكان أبو الدرداء زاهدًا فاضلًا قاضيًا لهم، فلما اشتد في الحق عزلوه، أي في دمشق، فخرج إلىٰ المدينة. قال ابن العربي: "وهذه كلها مصالح لا تقدح في الدين، ولا تؤثر في منزلة أحد من المسلمين بحال، وأبو الدرداء وأبو ذر بريئان من كل عيب، وعثمان بريء أعظم براءة وأكثر نزاهة، فمن روىٰ أنه نفىٰ وروىٰ سببًا فهو كله باطل"[2].

وأما انهزامه يوم حنين، وفراره يوم أحد، ومغيبه عن بدر وبيعة الرضوان، فقد بين عبد الله بن عمر ﷺ في وجه الحكم في شأن البيعة وبدر وأحد. وأما يوم حنين فلم يبق إلا نفر يسير مع رسول الله ﷺ، ولكن لم يجر في الأمر تفسير من بقي ممن مضىٰ في الصحيح، وإنما هي أقوال، منها أنه ما بقي إلا العباس وابناه

(١) ينظر مصنف ابن أبي شيبة (٣٠٦١٠).

(٢) العواصم من القواصم ص (٩٣). وابن تيمية في منهاج السنة النبوية (٦/ ١٢٨)، والكامل لابن أثير (٣/ ١٠)، وتاريخ الطبري (٢/ ٤٤٦).

عبد الله وقثم ﷺ، فناهيك بهذا الاختلاف، وهو أمر قد اشترك فيه الصحابة ﷺ، وقد عفا الله عنه ورسوله ﷺ، فلا يحل ذكر ما أسقطه الله ورسوله والمؤمنون.

أخرج البخاري من حديث عثمان بن عبد الله بن موهب قال: جاء رجل من أهل مصر يريد حج البيت فرأىٰ قومًا جلوسًا، فقال: من هؤلاء القوم؟ فقالوا: هؤلاء قريش. قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمر. قال: يا ابن عمر، إني سائلك عن شيء فحدثني: هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟ قال: نعم. فقال: تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد؟ قال: نعم. قال: هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم، قال: الله أكبر! قال ابن عمر: تعال أبين لك: أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا وغفر له. وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة، فقال له رسول الله: إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه. وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلىٰ مكة، فقال رسول الله بيده اليمنىٰ: ((هذه يد عثمان)) فضرب بها علىٰ يده فقال: ((هذه لعثمان)). فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك[1].

(١) صحيح البخاري (٣٦٩٨).

# الفصل الرابع

# الخليفة الراشدي الرابع

# علي بن أبي طالب رضي الله عنه

# الخليفة الراشدي الرابع
# علي بن أبي طالب ﷺ

نسبه ومكانته:

هو: عليُّ بنُ أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي، ابنُ عم النبي ﷺ، وزوجُ فاطمة الزهراء سيدةِ نساء العالمين، بَضعةِ سيد المرسلين رضي الله تعالىٰ عنها، أحدُ العشرة المبشرين بالجنة[1].

وُلِدَ قبل البعثة بعشرة أعوام علىٰ الصحيح[2].

ولمَّا كان أبوه (أبو طالب) قليلَ المال، كثيرَ العيال، أراد النّبيُّ ﷺ أن يخفِّفَ عن عمِّه شيئًا من الأعباء، فطلب إلىٰ عمِّه أن يعطيه عليًّا ليتربَّىٰ في بيته، وأجابه أبو طالب إلىٰ طلبه[3].

فنشأ عليٌّ منذ صغره تحت سمع النَّبي ﷺ وبصره، يستضيءُ بهديه، ويقبِس من خلقه، ويتأدَّبُ بأدبه، ولم يفارقه.

وحينما كُلِّفَ النَّبيُّ ﷺ بالنُّبوة والرسالة كان علي ﷺ أوَّلَ من أسلم من الصبيان[4].

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٢/ ١٠)، البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٢٢٢)، الإصابة في تمييز الصحابة (٥٧٠٤).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (٥٧٠٤).

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٢٢٢).

(٤) البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٢٢٢).

وكان شديدَ الحبِّ لرسول الله ﷺ.

شهد المشاهد كلَّها مع النَّبيِّ ﷺ إلا غزوة تبوك[1]، ولما قال المنافقون ما قالوا وتأثَّر عليٌّ ﷺ من مقالتهم، قال له النَّبيُّ ﷺ: (أما ترضىٰ أن تكون منِّي بمنزلة هارون من موسىٰ)[2].

ولمَّا آخىٰ النَّبيُّ ﷺ بين أصحابه، قال لعليٍّ: (أنت أخي في الدنيا والآخرة)[3]. وقال فيه أيضًا: (عليّ مني وأنا من علي)[4].

مناقبُهُ كثيرةٌ، حتىٰ قال الإمامُ أحمد: لم يُنْقل لأحد من الصحابة ما نقل لعلي ﷺ. وتتبَّعَ النَّسائيُّ ما خُصَّ به من دون الصحابة فجمع من ذلك شيئًا كثيرًا بأسانيد أكثرها جياد[5].

وفي ليلةِ الهجرة نام في فراش النبيِّ ﷺ، وتغطىٰ ببردته[6].

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٢/ ١٦)، الإصابة في تمييز الصحابة (٥٧٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٧٢٠)، وقال "حديث حسن غريب"، المستدرك للحاكم (٤٢٨٨).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٧٢٠)، وقال "حديث حسن غريب صحيح"، وابن ماجه (١١٩)، وأحمد في مسنده (١٧٥٠٥).

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٤٧٦).

(٦) البداية والنهاية لابن كثير (٥/ ٢٩٣)، دلائل النبوة لابي نعيم (١/ ٢٠٠).

ومن خصائصه: عن سهل بن سعد ﷺ أن النبي ﷺ قال يوم خيبر: ((لأعطين الراية غدًا رجلًا يفتح علىٰ يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله)). فبات الناس ليلتهم: أيهم يُعطىٰ؟ فغدوا كلهم يرجوه، فقال: ((أين علي؟)) فقيل: يشتكي عينيه، فبصق في عينيه ودعا له، فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه فقال: "أقاتلهم حتىٰ يكونوا مثلنا؟" فقال: ((انفذ علىٰ رسلك حتىٰ تنزل بساحتهم ثم ادعُهم إلىٰ الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم فوالله لأن يهدي الله بك رجلا خير لك من أن يكون لك حُمْر النَّعَم))[1].

فقال عمر ﷺ: "ما أحببت الإمارة إلا يومئذ"[2].

وفي غزوة الأحزاب برز عمرو بن عبد ودٍّ العامري، وأخذ ينادي: من يبارز؟ ويتحدىٰ المسلمين، فبرز علي ﷺ وقتله. والقصة مشهورة[3].

وعن إياس بن سلمة عن أبيه ﷺ في حديث خيبر: وخرج مَرْحَب، فقال:

قد علمت خيبرُ أنِّي مرحب ... شاكي السِّلاح بطلٌ مجرَّب

إذا الحروب ... أقبلت تلَهَّبُ

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٩)، وأخرجه مسلم بنحوه (٢٤٠٧) عن سلمة بن الأكوع.

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٠٥) من حديث أبي هريرة.

(٣) سنن البيهقي (٣٠/ ١٨)، والمستدرك للحاكم (٤٣٢٩)، ودلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٤٣٨).

فقال عليٌّ:

أنا الذي سمَّتْني أُمِّي حيدره[1] كَلَيْثِ غاباتٍ كَريهِ المنظَره

أُوفيهم بالصاع كيل السَّندرة[2]

فضربَ رأس مرحب فقتله، ثم كان الفتح علىٰ يديه[3].

وعن عليٍّ ﷺ قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة؛ إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إليَّ: أن لا يحبُّني إلا مؤمنٌ، ولا يبغضُني إلا منافقٌ[4].

وكان عمرُ ﷺ يتعوَّذُ من معضلةٍ ليس لها أبو الحسن[5].

وكان عليٌّ ﷺ أحدَ رجال الشُّورىٰ الذين نصَّ عليهم عمر ﷺ وهم: عثمانُ، وعليٌّ، وطلحةُ، والزبيرُ، وسعدُ بنُ أبي وقاص، وعبدُ الرحمن بنُ عوف ﷺ[6].

---

(١) حيدرة: أسد، سمته أمه بذلك، ولما جاء أبوه سماه عليًا، وقيل: لقب به في صغره؛ لأن الحيدرة: الممتلئ لحمًا مع عظم بطن، وكان كذلك ﷺ.

(٢) السندرة: مكيال واسع، والمعنىٰ: أقتل الأعداء قتلًا واسعًا ذريعًا.

(٣) أخرجه مسلم (١٨٠٧).

(٤) أخرجه مسلم (٧٨).

(٥) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٢/ ٣٣٩)، تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٢/ ٤٠٦).

(٦) الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٤٧٦).

بيعةُ عليٍّ بالخلافة:

نقل بعض العلماء اتفاق العصر الثاني من بعد الصحابة علىٰ انعقاد بيعة علي ﷺ، ولزومها لجماعة المسلمين أجمعين.

وأوَّلُ من بايع طلحةُ ﷺ[1].

قال عليٌّ لطلحة والزبير ﷺ: إن شئتما بايعا، وإلا بايعتكما؟ قالا: بل نبايعك[2].

قال علي ﷺ: وَلَّوني وأنا كاره، ولولا خشية علىٰ الدين لم أجبهم[3].

ولكنَّ المسلمين كانوا يدركون خطورة الوضع، والحاجة إلىٰ تعيين خليفة يتولىٰ أمر المسلمين، فيجتمع إليه وجوه المهاجرين والأنصار، ويقسمون عليه، ويناشدونه في حفظ بقية الأمة، وصيانة دار الهجرة، فيدخل في ذلك بعد شدة مغلبًا المصلحة[4].

وكان عليٌّ ﷺ يتوخَّىٰ أن تكون بيعته عن رضا وإجماع المسلمين، ولا سيِّما أهل السابقة، وأصحابِ الحل والعقد، فقد ذكرَ ابنُ حبَّان أنَّ الناس هرعوا

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٢٢٥).

(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٤٢٩).

(٣) تاريخ الطبري (٤/ ٤٩١).

(٤) تمهيد الأوائل للباقلاني ص (٥٤٩)

إلىٰ علي بعد مقتل عثمان لمبايعته، فقال: "ليس ذلك إليكم، وإنما ذلك لأهل بدر، فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة"، فلم يبق أحدٌ من أهل بدر إلا أتىٰ عليًا يطلبون البيعة وهو يأبىٰ عليهم، ثم رضي إن كانت علىٰ ملأ وشورىٰ، فخرج إلىٰ المسجد، فبايعوه[1].

ونقل ابن كثير مبايعةَ الأنصار كلهم، وعدم تخلف أحد منهم عن البيعة[2].

فبعد أن استتب الأمرُ لعليّ ﷺ في البيعة خطبَ في الناس، وكان من جملة الأشياء التي أبانها: حرماتُ الله التي حرَّمها، ولاسيِّما حرمة المسلم، وأنَّ المسلم من سلم الناس من لسانه ويده إلا بالحق، وأن أذىٰ المسلم لا يحلُّ إلا بما يجب[3].

وأمر الأعراب أن يلتحقوا بمياههم، فأبت السبئية، وأطاعهم الأعراب[4].

أما معاويةُ ﷺ ومن كان حوله من أهل الشام، فكان رأيهم أن يقتص من قَتَلةِ عثمان ﷺ أولًا، ثم يكون اختيار الخليفة من بعد ذلك. وندب معاوية الناس للأخذ بالثأر والقصاص من قتلةِ عثمان، وقام معه جماعةٌ من الصحابة في هذا.

---

(١) الثقات لابن حبان (٢/ ٢٦٨).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٢٢٦)

(٣) تاريخ الطبري (٤/ ٤٣٦)، البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٢٢٦).

(٤) تاريخ الطبري (٤/ ٤٣٨).

وأمْرُ طلحة والزبير ومن لحق بهما مهم جدًا[1]:

فقد اجتمع بعض الصحابة بسيدنا عليٍّ ﷺ، وتحادثوا معه في شأن القاتلين:

قال عليٌّ ﷺ: "يا إخوتاه، إني لستُ أجهل ما تعلمون، ولكن كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم، ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم، وثابت إليهم أعرابكم، وهم خلالكم يسومونكم ما شاءوا، فهل ترون موضعًا لقدرة علىٰ شيء مما تريدون؟" قالوا: لا.

قال: "فلا والله، لا أرىٰ إلا رأيًا ترونه إن شاء الله؛ إنَّ هذا الأمر أمر جاهلية، وإنَّ لهؤلاء القوم مادة، وذلك أن الشيطان لم يشرع شريعة قط فيبرح الأرضَ مَنْ أخذَ بها أبدًا. إن النَّاس من هذا الأمر (وكأنه يشير إلىٰ القصاص من قتلة عثمان) إن حُرِّكَ؛ علىٰ أمور: فرقةٌ ترىٰ ما ترون، وفرقةٌ ترىٰ ما لا ترون، وفرقةٌ لا ترىٰ هذا ولا هذا، حتىٰ يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق، فاهدءوا عنِّي وانظروا ماذا يأتيكم ثم عودوا".

لم يكن هذا مقنعًا لجميع من حضر الحوار، ولذلك قال بعضهم: نقضي الذي علينا ولا نؤخره، ووالله إنَّ عليًا لمستغن برأيه وأمره عنا[2].

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٤٣٧).

(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٤٣٨).

موقفُ عليٍّ ﷺ واضح: تنزله لرأيهم، وإقناعهم عمليًا بأنه لا يستطيع هو وإياهم أن يصنعوا شيئًا.

رأيُ طلحةَ ﷺ: أن يأتي بأهل البصرة.

رأيُ الزبير ﷺ: أن يأتي بأهل الكوفة.

طلبَ عليٌّ ﷺ: الإمهال.

علىٰ إثر ذلك خرج طلحةُ والزبيرُ والسيدةُ عائشةُ ﷺ إلىٰ البصرةِ، وكانت معركة الجمل كما سيأتي.

معركة الجمل

خرج طلحةُ والزبيرُ ﷺ إلىٰ مكة، والتقيا بالسيدةِ عائشة ﷺ، ثم ساروا جميعًا إلىٰ البصرة.

والأمرُ الجامع لهؤلاء: شعورهم بالتفريط في حقِّ عثمان ﷺ. ولمَّا سُئِل طلحةُ والزبيرُ وأمُّ المؤمنين عن سبب مسيرهم ذكروا أنهم خرجوا غضبًا لعثمان وتوبةً مما صنعوا من خذلانه. ونادىٰ مناديهم: إنَّ أمَّ المؤمنين وطلحةَ والزبيرَ شاخصون إلىٰ البصرة، فمن كان يريد إعزاز الإسلامِ وقتال المحلِّين، والطلب بثأر عثمان.. فليخرج، ومن لم يكن عنده جهاز فهذا جهاز وهذه نفقة. فحملوا ستمائة رجل علىٰ ستمائة ناقة، سوىٰ من كان له مركب[1].

وساروا حتىٰ نزلوا بالزابوقة[2]، فخرج إليهم والي البصرة عثمان بن حنيف (أنصاري أوسي) ﷺ، فتواقفوا حتىٰ زالت الشمس، ثم اصطلحوا، وكتبوا بينهم كتابًا بالكف عن القتال، ولعثمان دار الإمارة والمسجد وبيت المال، وأن ينزل طلحةُ والزبيرُ من البصرة حيث شاءوا، ولا يعرض بعضهم لبعض حتىٰ يقدمَ عليٌّ.

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٤٥١).

(٢) الزابوقة: موضع قريب من البصرة.

وفي الزابوقة جاء حكيم بن جبلة العبدي في سبعمائة من بني عبد القيس، وبكر بن وائل، فاقتتلوا، وقتلوا حكيمًا فيمن قتل[1].

ويذكر سليمان العودة أن عاملين أساسيين كان لهما الأثر في خروجِ طلحةَ والزبيرِ وأمِّ المؤمنين ﷺ إلىٰ البصرة:

أحدهما:

شعورهم بالتقصير في حقِّ عثمان، فخرجوا يطلبون دمه بدون إذن أمير المؤمنين علي، لاسيما أنهم رأوا قتلةَ عثمان في جيش عليٍّ، وصاروا من رؤوس الملأ، وكان طلحةُ يقول: اللهم خُذْ لعثمان منِّي اليوم حتىٰ ترضىٰ ... إلخ.

وكان ﷺ يؤكِّد طلبهم هذا؛ فقد سأله أحدُ الأفراد: ألا ترىٰ لهؤلاء القوم حجَّةً فيما طلبوا من هذا اللوم؟ قال: نعم. ثم يقول له: وترىٰ لك حجَّةً بتأخيرك ذلك؟ فيقول: نعم.

والآخر:

قَصْدُ الصُّلْحِ، وتُصَرِّحُ عائشةُ ﷺ بذلك في أخبارٍ صحيحةٍ، والزبيرُ وطلحةُ ﷺ كذلك[2]:

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٤٦٦)، العواصم من القواصم لابن العربي ص (١٥٦).

(٢) ينظر كتاب عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة لسليمان بن حمد العودة (١٨١).

١. نقل ابنُ شهابٍ الزهريُّ عن عائشةَ ﷺ قولها: "إنِّما أُريد أن يحجزَ بين النَّاسِ مكاني، ولم أحسب أن يكون بين الناس قتالٌ، ولو علمت ذلك لم أقف ذلك الموقفَ أبدًا"[١].

٢. ويقول ابن العربي[٢]: "وأمَّا خروجها إلىٰ حربِ الجمل؛ فما خرجتْ لحَرْبٍ، ولكن تعلَّق الناس بها، وشكوا إليها ما صاروا إليه من عظيم الفتنة، وتهارج الناس، ورجوا بركَتَها في الإصلاحِ، وطمِعُوا في الاستحياء منها إذا وقفت إلىٰ الخلق، وظنَّتْ هي ذلك، فخرجت مقتديةً بأمر الله تعالىٰ في قوله: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٣]، ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾[٤].

٣. ثم تتجهَّزُ للخروج إلىٰ البصرة، وتمرُّ في طريقها بالحوأب، فتسمع كلابَ الحوأبِ فتقول: ما أظنُّني إلا راجعةٌ، إن رسول الله ﷺ قال: ((أيتكن تنبح

(١) المغازي النبوية للزهري ص (١٥٤).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٥٦٩).

(٣) النساء: ١١٤.

(٤) الحجرات: ٩.

عليها كلاب الحوأب؟)) فقال لها الزبير ﷺ: ترجعين؟! عَسىٰ الله عز وجل أن يصلح بك بين الناس[1].

٤. ولما قدمتْ البصرةَ بلغ عثمانَ بن حنيف (والي البصرة من قِبَل علي ﷺ) قدومُها ومن معها، فأرسل إليها من يأتيه بخبرها وسببِ خروجها، فكان من جوابها (كلامٌ طويل) وقرأت ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[2] ننهضُ في الإصلاح ممَّن أمرَ الله عز وجل وأمر رسول الله ﷺ بالصغير والكبير والذكر والأنثىٰ، فهذا شأننا إلىٰ معروف نأمرُكُم به ونحضُّكُم عليه، ومنكرٍ ننهاكُم عنه ونحثُّكم علىٰ تغييره[3].

٥. وحينما قابلها عليٌّ ﷺ، وسألها: غَفَرَ اللهُ لكِ، فقالت: ولكَ، ما أردتُ إلاَّ الإصلاح[4].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٦/ ٢١١)، والحديث بهذا اللفظ رواه أحمد في مسنده (٢٤٦٥٤)، والحاكم في المستدرك (٤٦١٣)، وأبو يعلىٰ في مسنده (٤٨٦٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٧٧٧١)، وصححه ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٥٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٠٢٥).

(٢) النساء: ١١٤.

(٣) تاريخ الطبري (٣/ ٢٨).

(٤) شذرات الذهب لابن العماد (١/ ٢٠٦).

٦. ولما انتدب القعقاع للإصلاح، سألها عن سبب خروجها، فأجابت: الإصلاح بين الناس[١].

وكذلك طلحةُ والزبيرُ ﷺ ومن معهم خرجوا للإصلاح.

وإنَّ عليًّا ﷺ لما دنا هو وأصحابُه من طلحةَ والزبيرِ نادىٰ الزبيرَ، فجاء إليه، فذكَّرهُ حديثَ رسول الله ﷺ مخاطبًا له: ((لتقاتلنَّهُ وأنت له ظالمٌ))، فذكَرَهُ الزبيرُ وقال: لقد نَسيتُهُ، ثم عزم علىٰ الرجوع، فعرض له ابنُهُ عبدُ الله، فقال: مالك؟ قال: ذكَّرني عليٌّ حديثًا سمعتُه من رسولِ الله ﷺ، وإنِّي راجعٌ. فقال له ابنه: للقتال جئت؟ إنما جئتَ تُصْلِحَ بين النَّاسِ، ويصلح الله هذا الأمر[٢].

ويقول أبو بكر بن العربي: "يمكنُ أنهم خرجوا لينظروا في جمعِ طوائف المسلمين، وضمِّ تشردهم، وردِّهم إلىٰ قانونٍ واحد، حتىٰ لا يضطربوا فيقتتلوا، وهذا هو الصحيح، لا شيء سواه. بذلك وردت صحاح الأخبار"[٣].

وكذلك عليٌّ ﷺ ومن كان علىٰ رأيه من جيشه لم يكن يهدف بمسيره إليهم إلا الإصلاحَ وجمعَ الكلمة.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٢٣٧).

(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٢٧٠٩)، والحاكم بنحوه في المستدرك (٥٥٧٥).

(٣) ينظر العواصم من القواصم ص (١٥٥).

وما ذُكِرَ من أنَّ عليًا استنفَرَ الكوفة بعمارِ بن ياسر، وابنه الحسن، وأنَّ عمَّارًا قال: إن عائشة قد سارت إلىٰ البصرة، ووالله إنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة، ولكنَّ الله ابتلاكم ليعلم إياه تطيعون أم هي[1]، فهذا[2] مبني علىٰ دسِّ السبئيين أنَّها خرجت للحرب هي وطلحةُ والزبيرُ[3]، ولذلك خرج عليٌّ ﷺ بمن قدم معه من المدينة ومن أهل الكوفة إلىٰ البصرة، وهم زهاءُ عشرة آلاف.

والذي يتأمَّلُ الأخبارَ الصحيحةَ التالية، يتَّضِحُ له موقف الخليفة الراشديِّ الإمامُ علي ﷺ:

١. لمَّا خرج عليٌّ ﷺ إلىٰ البصرة، قام له ابنٌ لرفاعة بن رافع، فقال: يا أميرَ المؤمنين، أيَّ شيء تريد؟ وإلىٰ أين تذهبُ بنا؟ فقال عليٌّ: أمَّا الذي نريدُ وننوي فالإصلاحُ، إن قبلوا منَّا وأجابونا إليه[4].

٢. ولمَّا قدم علىٰ عليٍّ ﷺ عامرُ بن مطرٍ الشيباني، قادمًا من الكوفة سأله عليٌّ عمَّا وراءه، فأخبره، ثمَّ سأله عن أبي موسىٰ ﷺ، فقال: إن أردت الصلح

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٠٠) ورويت هذه الكلمة علىٰ لسان علي ﷺ كما في تاريخ الطبري (٤/ ٥٤٤)، والبداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٢٤٥).

(٢) استنفار علي وكلام عمار ﷺ.

(٣) سيأتي بعد قليل إن شاء الله ما يؤكد أنها ما خرجت للحرب هي وطلحة والزبير.

(٤) تاريخ الطبري (٤/ ٤٧٩)، البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٢٣٤).

فأبو موسىٰ أهلٌ لذلك، وإن أردت القتال فهو ليس بصاحب ذاك. فقال عليٌّ عند ذلك: واللهِ ما أُرِيدُ إلا الإصلاحَ حتىٰ يُردَ علينا[1].

وفي الثِّقاتِ: أن عائشة ﷺ كتبتْ إلىٰ أبي موسىٰ ﷺ وهو بالكوفة: "إنه كان مِن قتْل عثمان ما قد علمت، وقد خَرَجْتُ مُصلحةً بين الناس، فَمُرْ مَنْ قِبلَك بالقرار في منازلهم والرضا بالعافية حتىٰ يأتيهم ما يحبون من صلاح أمر المسلمين"[2].

٣. كان الحسنُ بنُ عليٍّ ﷺ يقسم: "والله ما أردنا إلا الإصلاحَ"[3].

٤. وأهلُ البصرة اجتمعوا إلىٰ عليٍّ ﷺ، فحاولَ صلحَهُمْ واجتماع الكلمة، فسعىٰ السَّاعون بذلك.

وإنَّ من أكبر العلامات علىٰ أنَّ عليًا وأمَّ المؤمنين وطلحةَ والزبيرَ ﷺ يريدون الإصلاحَ: ما أورده الطبريُّ وابنُ كثير من خبر القعقاع ﷺ: بعث عليٌّ القعقاعَ إلىٰ البصرة، فبدأ بعائشةَ ﷺ، فقال: أي أُمَّاه، ما أقدمَك هذا البلد؟ فقالت: "أيْ بُنيَّ، الإصلاحُ بين الناس".

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٤٨٠)، البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٢٣٤).

(٢) الثقات لابن حبان (٢/ ٢٨٢).

(٣) تاريخ الطبري (٤/ ٤٨٣).

فسألها أن تبعثَ إلىٰ طلحةَ والزبيرِ ليحضرا عندها، فحضرا، فقال القعقاع: إنِّي سألت أمَّ المؤمنين ما أقدمها؟ فقالت: الإصلاحُ. فقالا: ونحن كذلك.

قال: فأخبراني ما وجهُ هذا الإصلاح؟ وعلىٰ أيِّ شيءٍ يكون؟ فوالله لئن عرفناه لنصطلحن، ولئن أنكرناه لا نصطلح.

قالا: قتلة عثمان، فإن هذا إن تُرِك كان تركًا للقرآن.

فقال: قتلتما قَتَلَتَهُ من أهل البصرة، وأنتم قبل قتلكم أقرب منكم إلىٰ الاستقامة منكم اليوم؛ قتلتم ستمائة رجل فغضب لهم ستة آلاف ... –يعني: أن الذي تريدونه من قتل قتلة عثمان مصلحة، ولكنه يترتب عليه مفسدةٌ هي أربىٰ منها –... فعليٌ أَعْذر في تركه الآن قتل قتلة عثمان، وإنما أَخَّر قتل قتلة عثمان إلىٰ أن يتمكن منهم، فإن الكلمة في جميع الأمصار مختلفة...

فقالت له عائشةُ أم المؤمنين: فماذا تقولُ أنت؟

قال: أقول: إنَّ هذا الأمر الذي وقع دواؤه التسكين، فآثِروا العافيةَ تُرزقوها، وكونوا مفاتيحَ خيرٍ كما كنتم أولًا، ولا تُعرِّضونا للبلاء، فتَعرَّضوا له، فيصرعنا الله وإياكم.

وبعد أن فرغ القعقاعُ من كلامه قالوا: قد أصبتَ وأحسنتَ، فارجع، فإن قدم عليٌّ وهو علىٰ مثل رأيك صلح الأمر.

فرجعَ إلىٰ عليٍّ ﷺ، فأخبره، فأعجبه ذلك، وأشرف القومُ علىٰ الصلح، كَرِهَ ذلك من كَرِهَهُ، ورَضيَهُ من رضيَهُ. وأرسلت عائشة إلىٰ علي تعلمه أنها إنما جاءت للصلح، ففرح هؤلاء وهؤلاء[1].

وباتَ المسلمون بخير ليلة.

وبات الذين يكرهون الصُّلحَ بشرٍّ ليلة، وهم:

عبدُ الله بن سبأ، وجماعتُه، وكان في عسكر علي ﷺ من أولئك الطغام الذي خرجوا علىٰ عثمان وقتلوه، ومنهم من لم يُعْرَفْ نسبُهُ، ومنهم من تنتصِرُ له قبيلتُهُ، ومنهم من لم تقمْ له حُجَّةٌ بما فعله، ومنهم من كان في قلبه نفاقٌ لم يتمكن من إظهاره كله.

والخلاصةُ: أعداءُ الصلح: قسم: كفرةٌ زنادقةٌ مدسوسون علىٰ الإسلام، وقسمٌ: مخدوعون بالدسائس، وقسمٌ: ينتصرون لهم عصبية.

اجتمع أعداءُ الإصلاح، وابنُ سبأ المشير فيهم كالشيخ النجدي، وقال أحدُهُم: اصطَلَحُوا علىٰ دمائنا، فليس لنا إلا أن نُلحِقَ عليًا بعثمان.

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٢٣٧)، تاريخ الطبري (٤/ ٤٦٢).

فاعترضَ ابنُ سبأ، وقال: بئس ما رأيت؛ لو قتلناه قُتِلْنَا، وهم إنِّما يريدوننا. فقام آخر وقال: بل دعوهم، وارجعوا بنا حتىٰ نتعلق ببعض البلاد، فنمتنع بها. فرد عليه ابن سبأ، وقال: إذن يتخطَّفَكُمُ الناس.

وأخيرًا كان الرأيُ لابن سبأ حيثُ قال: إنَّ عزَّكُمْ في خلطة الناس، فصانعوهم، وإذا التقىٰ الناس غدًا فأنشبوا القتال، ولا تفرغوهم للنظر فإذا من أنتم معه لا يجد بدًا من أن يمتنع، ويشغل الله عليًا وطلحة والزبير ومن رأىٰ رأيهم عما تكرهون.

فأبصروا الرأيَ وتفرَّقوا عليه والناسُ لا يشعرون. اهـ.[1].

وقدم عليٌّ البصرةَ، وتدانوا ليتراءوا، الخميس في النصف من جمادىٰ الآخرة سنة ٣٦هـ[2].

وكانَ الصَّحابيُّ الجليلُ القعقاع بن عمرو التميمي ﷺ قد قام بين الفريقين بالوساطة الحكيمة المعقولة، فاستجاب له الطرفان.

فبعث عليٌّ إلىٰ طلحةَ والزبيرِ يقول: "إن كنتم علىٰ ما فارقتم عليه القعقاعَ بن عمرو فكُفُّوا، وأقِرّونا ننزلْ وننظرَ في هذا الأمر". فأرسلا إليه: "إنَّا علىٰ ما فارقنا عليه القعقاعَ بنَ عمروٍ من الصلحِ بين الناس".

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٤٩٤-٤٩٥)، البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٢٣٨).

(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٥٠١)، العواصم من القواصم لابن العربي ص (١٥٩).

فاطمأنَّتْ النُّفوسُ وسكنت، واجتمع كلُّ فريق بأصحابه من الجيشين، فلما أمسوا بعث عليٌّ عبد الله بن عباس إليهم، وبعثوا محمَّدَ بن طلحة السَّجَّاد إلىٰ عليٍّ، وعوَّلوا جميعًا علىٰ الصلح، وبات الناس بخير ليلة، وبات قتلة عثمان بِشرّ ليلة، وباتوا يتشاورون، وأجمعوا علىٰ أن يثيروا الحرب من الغلَس، فنهضوا من قبل طلوع الفجر، وهم قريب من ألفي رجل، فانصرف كل فريق إلىٰ قراباتهم فهجموا عليهم بالسيوف، فثارت كل طائفة إلىٰ قومهم ليمنعوهم، وقام الناس من منامهم إلىٰ السلاح، فقالوا: طرقتنا أهل الكوفة ليلًا، وبيتونا وغدروا بنا، وظنوا أن هذا عن ملأ من أصحاب علي، فبلغ الأمر عليًا فقال: ما للناس؟ فقالوا، بيّتنا أهل البصرة، فثار كل فريق إلىٰ سلاحه ولبسوا اللأمة وركبوا الخيول، ولا يشعر أحد منهم بما وقع الأمر عليه في نفس الأمر، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا[1].

وهكذا أنشبوا الحربَ بين عليٍّ وأخويه طلحةَ والزبيرِ، فظنَّ أصحاب الجمل[2] أن عليًّا غَدَرَ بهم، وظنَّ أنَّ إخوانَهُ غدروا به، وكلٌّ منهم أتقىٰ لله من أن يفعل ذلك في الجاهلية، فكيف بعد أن بلغوا أعلىٰ المنازل من أخلاق القرآن.

أعداءُ الصُّلحِ بادروا بإراقةِ الدماء، واشتجرت الحربُ، وكثرت الغوغاء.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٢٣٩).

(٢) أصحاب الجمل: طلحة والزبير والسيدة عائشة، وسبب التسمية أن السيدة عائشة كانت علىٰ جمل، فسميت المعركة كلها باسم معركة الجمل.

قال ابن حجر: "خشي من نسب إليهم القتل أن يصطلحوا علىٰ قتلهم، فأنشبوا الحرب بينهم، إلىٰ أن كان ما كان"[1].

ينادي طلحةُ ﷺ: "أيُّها النَّاسُ، أنصتوا." فجعلوا يرجمونه ولا ينصتون[2]. وقُتِلَ طلحةُ.

ثمَّ خرجَ الزبيرُ ﷺ لمَّا عجز عن الفصل بين الناس من المعركة، ووقف يصلِّي ويلتجئُ إلىٰ الله، فقُتِلَ في الصلاة، قتله ابن جرموز، وجاء يقول للإمام علي ﷺ: أنا قاتل الزبير، فيجيبه أمير المؤمنين: أتقتل ابن صفية؟! فليُبشر بالنّار، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لكلّ نبي حواريّ وإنّ حواريّ الزُبير)[3].

وسيدنا عليٌّ ﷺ يناشد الناس، ولا مجيب.

وقالت عائشةُ ﷺ لكعب بن سَور الأزدي[4]: "خَلِّ يا كعب عن البعير، وتقدم بكتاب الله، فادعهم إليه". ودفعت إليه مصحفًا، وأقبل القوم وأمامهم السبئية يخافون أن يجري الصلح، فاستقبلهم كعب بالمصحف، وعلي ﷺ من

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٥٦).

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٥/ ١٠٩).

(٣) أخرجه ابن ماجة (١٢٢)، مسند أحمد (٨١٣)، والحاكم في المستدرك (٥٥٧٨) و(٥٥٨٠)، ورواه أحمد في مسنده عن ابن الزبير (٣/ ١٦١) قال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٨٣٥): "رجاله رجال الصحيح".

(٤) وهو أول قضاة المسلمين علىٰ البصرة، ولاه أمير المؤمنين عمر. قال الحافظ ابن عبد البر في الاستيعاب (٣/ ١٣١٨): كان مسلمًا في زمن النبي صلىٰ الله عليه وسلم معدود في كبار التابعين.

خلفهم يَزَعُهُمْ ويأبون إلا إقدامًا، فلما دعاهم كعب رشقوه رشقًا واحدًا فقتلوه، ثم رمَوا أم المؤمنين...

فكان أول شيء أحدثته حين أبوا أن قالت: "يا أيها الناس، العنوا قتلةَ عثمان وأشياعهم"، وأقبلتْ تدعو، وضجَّ أهلُ البصرةِ بالدعاء، وسمع عليٌّ الدعاءَ فقال: ما هذه الضجَّةُ؟ فقالوا: عائشةُ تدعو، ويدعون معها علىٰ قتلة عثمان وأشياعهم، فأقبل يدعو ويقول: "اللهم العن قتلةَ عثمان وأشياعهم"[1].

قال محبُّ الدِّين الخطيب: "وهكذا اشترك صالحو الفريقين في لعن قتلةِ أمير المؤمنين عثمان الشهيد المظلوم، في الساعة التي كان فيه قتلةُ عثمان ينشبون الحرب بين صالحي المسلمين"[2].

وقال ابن أبي العز: "جرت فتنة الجمل علىٰ غير اختيارٍ من عليٍّ، ولا من طلحةَ والزبيرِ، وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين"[3].

ورأىٰ عليُّ بن أبي طالب طلحةَ مُلقىً في بعضِ الأودية، فنزل فمسح التُّرابَ عن وجهه، ثم قال: (عزيزٌ عليَّ أبا مُحمَّدٍ أن أراك مُجدَّلًا[4] في الأودية

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٥١٣)، تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٥/ ١١١)، ورواية لعن علي لقتلة عثمان أخرجها سعيد بن منصور في السنن (٢٩٤٣).

(٢) من تعليقه علىٰ العواصم من القواصم ص(١٦١).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٧٢٣).

(٤) مجدلًا: صريعًا علىٰ الأرض.

وتحت نجوم السماء، إلىٰ الله أشكو عُجَرِي وبُجَرِي[1]، ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة)[2].

وقال أبو حبيبة مولىٰ طلحة: دخلت أنا وعمران بن طلحة علىٰ عليٍّ بعدما فرغ من أصحاب الجمل، فرحَّبَ به وأدناه وقال: "إنِّي لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[3]، فقال رجلان جالسان إلىٰ ناحية، أحدهما الحارثُ الأعورُ[4]: اللهُ أعدلُ من ذلك: أن نقتلهم ويكونوا إخواننا في الجنة. فقال لهما علي ﷺ: "قُوما أبعدَ أرض الله وأسحَقها، فمن هو إذا لم أكن أنا وطلحةُ في الجنة؟"[5].

وذكر محمَّدُ بنُ علي ﷺ أنّ عليًا تناول دواة، فحذف بها الأعور يريده بها، فأخطأه[6].

(١) قال الأصمعي: أي سرائري وأحزاني التي تجول في جوفي، نقله عنه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٥/ ١١٥).

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٥/ ١١٥)، البداية والنهاية (٧/ ٢٤٧).

(٣) الحجر: ٤٧.

(٤) شيعي قال عنه الشعبي وابن المديني: كذاب.

(٥) المستدك للحاكم (٥٦١٣) وقال: هو "صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي. سنن البيهقي (١٦٤٩٢)، تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٥/ ١١٦)، الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٣/ ٢٢٤).

(٦) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٥/ ١١٩).

وقال له ابن الكواء[1]: اللهُ أعدل من ذلك، فقام إليه بِدِرتِهِ فضربه، وقال له: "أنت – لا أمَّ لك – وأصحابك تنكرون هذا؟"[2].

قال أبو بكر بن العربي: "ومعلومٌ أنَّهُ عند الفتنة وفي ملحمةِ القتال يتمكن أولو الإحن والحقود من حل العرىٰ ونقضِ العهود، وكانت آجالًا حضرت، ومواعيد انتجزت"[3] اهـ. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولعلَّ الحديث: ((لا تقومُ السَّاعةُ حتىٰ تقتتل فئتان عظيمتان، تَكون بينهما مقتلةٌ عظيمةٌ، دعوتهما واحدة))[4] ينطبق علىٰ هذه الحرب (فتنة الجمل)، وقد قُتِلَ فيها عددٌ كبيرٌ من الطرفين، وفيهم كثيرٌ من الصحابةِ الكرام، وكانت السيدةُ عائشةُ ﵂ إذا قرأت ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾[5] تبكي حتىٰ تَبُلَّ خمارها[6].

(١) من رؤوس الفتنة علىٰ عثمان﵁ ، وبعد صفين، والتحكيم كان علىٰ رأس الخوارج علىٰ علي، فلما حاجَّهم علي وابن عباس ﵄ رجع إلىٰ علي قبل وقعة النهروان.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٥/ ١١٩).

(٣) العواصم من القواصم لابن العربي ص (١٦١).

(٤) أخرجه البخاري (٧١٢١) ومسلم (١٥٧).

(٥) الأحزاب: ٣٣.

(٦) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٨/ ٨١)، حلية الأولياء لأبي نعيم (٢/ ٤٨)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/ ١٧٧).

معركة صفين

صِفِّين: منطقة قربَ الرَّقَّةِ علىٰ شاطئ الفرات آخرَ تخوم العراق وأوَّلَ أرضِ الشام.

لمَّا انتهىٰ عليٌّ ﷺ من معركةِ الجمل، وسارَ من البصرة إلىٰ الكوفة، فدخلها يوم الاثنين ١٢ رجب ٣٦هـ أرسل جريرَ بن عبد الله البجلي ﷺ إلىٰ معاوية ﷺ في دمشق يدعوه إلىٰ طاعته، فجمع معاويةُ رؤوس الصحابة وقادةَ الجيوش وأعيانَ أهلِ الشام، واستشارهم فيما يطلبُ عليٌّ ﷺ، فقالوا: لا نبايعُهُ حتىٰ يقتل قتلة عثمان أو يسلِّمهم إلينا.

فرجع جريرٌ إلىٰ عليٍّ بذلك[1].

فاستخلف عليٌّ علىٰ الكوفة أبا مسعود عقبةَ بن عامر ﷺ، وخرج منها، فعسكر بالنُّخَيلة[2] أول طريق الشام إلىٰ العراق، وقد أشار عليه ناس بأن يبقىٰ في الكوفة، ويبعث غيره إلىٰ الشام فأبىٰ.

وبلغَ معاويةَ أنَّ عليًّا تجهَّز، وخرج بنفسه لقتاله، فأشار عليه رجالُه أن يخرجَ هو أيضًا بنفسه، فخرج الشاميون نحو الفرات من ناحية صفين، وتقدَّمَ عليٌّ ﷺ بجيوشه إلىٰ تلك الجهة، وذلك في أواخر ذي القعدة ٣٦هـ.

---

(١) ينظر تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٧/ ٤٤١).

(٢) النُّخَيْلة – تصغير نخلة –: موضع قرب الكوفة علىٰ سمت الشام (معجم البلدان).

وبدأ القتالُ في ذي الحجة بمناوشات ومبارزات.

ثم تهادنوا في المحرم سنة ٣٧هـ.

واستؤنف القتال بعده، وقتل في هذه الحرب سبعون ألفًا، وكانت الوقائع تسعين وقعة في عشرة أيام.

وامتازت هذه الحرب بنُبْلِ الشَّجَاعةِ في القتال، ونُبْلِ الاتِّصال عند التهادن والراحة، ثم كُتب التحكيم يوم ١٣ صفر ٣٧هـ، علىٰ أن يعلن الحكمان حكمهما في رمضان بدومة الجندل، بمكان منها اسمه أذرح[1].

وموقفُ معاوية ومن معه من عليٍّ بسبب ما أحاط بيعته من غموض وظروف الفتنة، وكون المدينة تحت سلطة المجرمين واحتلالهم، ووجود قتلة عثمان ﷺ في معسكر عليٍّ: حقيقةٌ لا يماري فيها أحد، بل إنَّ الأشتر –وهو من رؤوس البغاة علىٰ عثمان ﷺ– كان أكبر مُسعِرٍ للحرب بين أصحاب رسول الله ﷺ الذين في معسكر عليٍّ ﷺ والذين في معسكر معاوية ﷺ.

فمعاويةُ ومن معه من الصحابة رضوان الله عليهم ومن التابعين يطالبون عليًّا بالقصاصِ من قتلة عثمان وإقامةِ حدِّ الله عليهم، أو أن يسلمهم إليهم فيقيموا عليهم حد الله.

---

(١) من كلام محب الدين الخطيب في تعليقه علىٰ العواصم من القواصم ص (١٦٦). وأَذْرُح -بالفتح ثم السكون وضم الراء والحاء المهملة-: اسم بلد في أطراف الشام (معجم البلدان).

وسيِّدُنَا عليٌّ ﷺ موقِفُهُ واضحٌ من قتلةِ عثمان: أنهم يسيطرون علىٰ زمامِ الأمر في المدينة، وفي حالةِ الإرهاب السائدة يومئذٍ لم يكن باستطاعةِ عليٍّ، ولا غيره القصاص منهم[1].

ولما انتقل علي ﷺ من المدينة إلىٰ العراق، أصبحوا في معقل قوتهم وعنجهية قبائلهم، ولا شكَّ أن عليًّا أعلن البراءة منهم، ولكنه يرىٰ أنَّ قتلهم يفتحُ عليهم بابًا لا يستطيع سده بعد ذلك.

وقد انتبه لذلك الصحابيُّ الجليل القعقاعُ بن عمرو التميمي ﷺ، وتحدث به مع أم المؤمنين عائشة ﷺ، وصاحبي رسول الله ﷺ طلحةَ والزبير ﷺ، فأذعنوا له وعذروا عليًّا ﷺ، ووافقوا علىٰ التَّفاهم معه علىٰ ما يوصلهم إلىٰ الخروج من هذه الفتنة، فما لبثَ قتلةُ عثمان أن أنشبوا الحربَ بين الفريقين[2].

فالمطالبونَ بإقامة حدِّ الله علىٰ قتلة عثمان معذورون؛ لأنَّهم يطالبون بحقٍّ، سواءٌ كانوا من أصحاب الجمل، أو من أهل الشام، وتقصيرُ علي في إقامةِ حدِّ الله كان عن ضرورةٍ قائمةٍ ومعلومةٍ.

---

(١) لتفاصيل المعركة ينظر البداية والنهاية (٧/ ٢٥٣ فما بعد)، تاريخ الطبري (٤/ ٥٦٣ فما بعد).

(٢) ينظر تفصيل الحوار في البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٢٣٧).

ولكن إذا كانت حربُ البصرة ناشئةً عن إنشاب قتلة عثمان الحرب بين الفريقين الأولين، فقد كان من مصلحةِ الإسلام أن لا تنشب حربُ صفين بين الفريقين الآخرين.

وقد اختُرِعَتْ كتبٌ ورسائلُ علىٰ لسان معاوية ﷺ، موجَّهَةٌ لسيدنا علي ﷺ أهاجتْ الفتنة، ودفعته إلىٰ الحرب.

ولو أنَّ عليًّا ﷺ لم يتحرَّك من الكوفة استعدادًا لهذا القتال لما حرَّك معاويةُ ساكنًا[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ولم يكن معاوية ممن يختار الحرب ابتداءً، بل كان من أشدِّ النَّاسِ حرصًا علىٰ أن لا يكون قتالٌ، وكان غيرُهُ أحرصَ علىٰ القتال منه. وقتالُ صفين للناسِ فيه أقوالٌ:

١. كلاهما كان مجتهدًا مصيبًا، كما يقولُ ذلك كثيرٌ من أهل الكلامِ والفقهِ والحديثِ ممن يقول: كُلُّ مجتهدٍ مصيبٌ، ويقول هؤلاء: (كانا مجتهدَين). وهذا قولُ كثيرٍ من الأشعرية وطائفة من أصحاب أبي حنيفة والشافعي وأحمد وغيرهم.

٢. ومنهم من يقول: المصيبُ أحدُهُمَا لا بعينه، وهذا قولُ طائفةٍ منهم.

---

(١) الكلام السابق مأخوذ من كلام محب الدين الخطيب في تعليقه علىٰ العواصم من القواصم ص (١٦٨).

٣. ومنهم من يقول: عليٌّ هو المصيبُ وحْدَهُ، ومعاويةُ مجتهدٌ مخطئٌ، وهو قولُ طوائفَ من أهل الكلام والفقهاء أهل المذاهب الأربعة.

٤. ومنهم من يقول: كان الصواب أن لا يكون قتالٌ وكان تركُ القتال خيرًا للطائفتين، فليس في الاقتتال صوابٌ، ولكنْ عليٌّ أقربُ إلىٰ الحق من معاويةَ، والقتالُ قتالُ فتنة ليس بواجبٍ ولا مستحبٍّ، وهذا قولُ أحمدَ وأكثرِ أهل الحديث وأكثرِ أئمة الفقهاء، وهو قولُ أكابرِ الصحابة والتابعين لهم بإحسانٍ، وهو قولُ عمران بن حصين ﷺ، وكان ينهىٰ عن بيع السلاح في ذلك القتال، ويقول: هو بيع السلاح في الفتنة. وهو قولُ أسامةَ بن زيد ومحمدِ بنِ مسلمة وابنِ عمر وسعد بن أبي وقاص، وأكثر من بقي من السابقين الأولين والمهاجرين والأنصار ﷺ".

ثم يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "ولهذا كان من مذهب أهل السنة الإمساكُ عما شجر بين الصحابة، فإنه قد ثبتت فضائلهم، ووجبت موالاتهم ومحبتهم" اهـ. مختصرًا[1].

وقال أبو بكر بن العربي: "والذي تُثْلَج به صدروكم أن النبي ﷺ ذكر في الفتن، وأشار، وبيَّن، وأنذر بالخوارج، وقال: ((تقتلهم أدنىٰ الطائفتين إلىٰ

(١) منهاج السنة النبوية (٤/ ٢١٨-٢١٩)

الحق))، فبين أنَّ كلَّ طائفةٍ منهما تتعلَّقُ بالحق، ولكن طائفةُ عليٍّ أدنىٰ إليه"[1]. وأصل الحديث: ((تمرُقُ مارقةٌ عند فرقةٍ من المسلمين، يقتلُها أولىٰ الطائفتين بالحق))[2].

وقال محبُّ الدين الخطيب: "أهلُ السنَّةِ المحمَّديَّةِ يدينون لله علىٰ أن عليًا ومعاويةَ ومن معهما من أصحابِ رسول الله ﷺ كانوا جميعًا من أهلِ الحقِّ، وكانوا مخلصين في ذلك. والذي اختلفوا فيه إنما اختلفوا عن اجتهادٍ، كما يختلف المجتهدون في كل ما يختلفون فيه. وهم -لإخلاصهم في اجتهادهم- مثابون عليه في حالتي الإصابة والخطأ، وثوابُ المصيب أضعاف ثوابِ المخطئ، وليس بعد رسول الله ﷺ بشرٌ معصومٌ عن أن يخطئ، وقد يخطئُ بعضهم في أمور ويصيبُ في أخرىٰ، وكذلك الآخرون.

وأمَّا من مرق عن الحقِّ في إثارة الفتنة الأولىٰ علىٰ عثمان، فلا يُعَدُّ من إحدىٰ الطائفتين اللتين علىٰ الحقِّ، وإنْ قاتلَ معها والتحقَ بها؛ لأنَّ الذين تلوَّثت أيديهم ونياتُهم وقلوبُهم بالبغي الظالم علىٰ أمير المؤمنين عثمان – كائنًا من كانوا – استحقُّوا إقامة الحدِّ الشرعيِّ عليهم، سواءٌ استطاع وليُّ الأمرِ أن يقيم عليهم هذا الحد أو لم يستطع. وفي حالة عدم استطاعته، فإنَّ مواصلتهم تسعيرَ القتال بين صالحي المسلمين كلَّمَا أحسُّوا منهم بالعزم علىٰ الإصلاح والتآخي،

(١) العواصم من القواصم ص(١٧١).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٦٤).

-كما فعلوا في وقعة الجمل، وبعدها-، يُعَدُّ إصرارًا منهم علىٰ الاستمرار في الإجرام ما داموا علىٰ ذلك.

فإن قلنا: إنَّ الطائفتين كانتا علىٰ الحق؛ فإنِّما نريدُ أصحابَ رسول الله ﷺ الذين كانوا من الطائفتين، ومن سار معهم علىٰ سنَّتِهِ ﷺ من التابعين.

ونرىٰ أنَّ عليًّا المبشَّرَ بالجنَّةِ أعلىٰ مقامًا عند الله من معاويةَ خال المؤمنين وصاحبِ رسول الله رب العالمين، وكلاهما من أهل الخير. وإذا اندسَّ فيهم طوائف من أهل الشر، فإنَّ من يعملْ مثقالَ ذرة خيرًا يره، ومن يعملْ مثقالَ ذرة شرًا يره"[1].

قال أبو بكر بن العربي: "قال تعالىٰ: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[2]، فلم يخرجهم عن الإيمان البغيُ والتأويلُ، ولا سلبهم اسمَ الأخوَّةِ"، وقال ﷺ في عمار ﷺ: ((تقتله الفئة الباغية))[3].

قال محب الدين الخطيب: "وقد كان معاويةُ يعرف من نفسه أنه لم يكن منه البغي في حرب صفين؛ لأنه لم يُرِدها ولم يبتدئها، ولم يأت لها إلا بعد أن

(١) كلام الخطيب هو من تعليقه علىٰ العواصم من القواصم ص(١٧٢-١٧٣).

(٢) الحجرات: ٩.

(٣) الحديث أخرجه مسلم (٢٩١٦). وكلام ابن العربي في العواصم من القواصم ص(١٧٢).

خرج عليٌّ من الكوفة وضرب معسكره في النخيلة ليسير إلىٰ الشام، ولذلك لمَّا قُتِلَ عمارٌ قال معاوية: إنما قتله من أخرجه".

ثم قال الخطيب: "وفي اعتقادي الشخصي أنَّ كلَّ من قُتِل من المسلمين بأيدي المسلمين منذ قتل عثمان؛ فإنِّما إثمه علىٰ قَتَلة عثمان؛ لأنَّهم فتحوا باب الفتنة، ولأنهم واصلوا تسعيرَ نارِها، ولأنَّهم الذين أوغروا صدورَ المسلمين بعضهم علىٰ بعض، فكما كانوا قتلة عثمان فإنهم كانوا القاتلين لكلِّ من قُتِل بعده، ومنهم عمار، ومنهم من هو أفضل من عَمَّارٍ كطلحةَ والزبيرِ، إلىٰ أن انتهت فتنتُهْم بقتلهم عليًّا نفسه، وقد كانوا من جنده وفي الطائفةِ التي كان قائمًا عليها.

فالحديثُ من أعلام النبوة، والطائفتان المتقاتلتان في صفين كانتا طائفتين من المؤمنين، وعليٌّ أفضلُ من معاوية، وعليٌّ ومعاويةُ من صحابِة رسول الله ﷺ ومن دعائمِ دولةِ الإسلام. وكلُّ ما وقع من الفتنة، فإثمه علىٰ مُوْرِئي نارها[1]؛ لأنهم السبُبُ الأول فيها، فهم الفئةُ الباغيةُ التي قُتل بسببها كلُّ مقتول في وقعتي الجمل وصفين وما تفرع عنهما"[2].

وقال بعضُهُم: الفئةُ الباغيةُ بالإجماع هي الفئةَ السبئية، وهم قتلوا عمَّارًا مع كونه في صفهم ليقيموا بذلك حجة علىٰ المسلمين.

---

(١) أي مُوقِدي نارها.

(٢) كلام الخطيب هو من تعليقه علىٰ العواصم من القواصم ص(١٧٣).

فضل أهل الشام:

قال ابن الكوا أحد زعماء الفتنة، وهو يصف أشياعه في الأمصار الكبرىٰ:

(وأمَّا أهل الأحداث من أهل الشام، فأطوعُ الناس لمرشدهم، وأعصاهم لِمُغويهم)[1]. هذه شهادة ابن الكوا في أهل الأحداث في الشام، فإن أهل العافية والإيمان منهم، قد شهد لهم أمير المؤمنين علي ﷺ، فقد قال رجل يوم صفين: اللهم العن أهل الشام. فقال له علي: "لا تسب أهل الشام جمًّا غفيرًا؛ فإن بها الأبدال، فإن بها الأبدال، فإن بها الأبدال"[2].

وروىٰ أبو إدريس الخولاني[3] أن أبا الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "بينا أنا نائم إذْ رأيت عَمُودَ الكتاب احتُمل من تحت رأسي، فظننت أنه مذهوبٌ به، فأتبعته بصري، فعُمِدَ به إلىٰ الشام، ألا وإنّ الإيمان حين تقع الفتن بالشام"[4].

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٣٢٩)، تاريخ دمشق لابن عساكر (١/ ٣١٩) (٢٧/ ٩٨).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢٠٤٥٥)، ومن طريقه أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢٧٧٧) ومن نفس طريق البيهقي أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ٣٣٨)، وابن كثير في البداية والنهاية (٦/ ٢٢١).

(٣) هو من أعلام حملة السنة والشريعة، ومن شيوخِ الحسنِ البصري وابنِ سيرين ومكحولٍ وأضرابهم.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٢١٧٣٣)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٦٤٠): "رجال أحمد رجال الصحيح"، البزار (٤١١١) وفي مجمع الزوائد (١٢٢٥٩) قال الحافظ الهيثمي: "رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عامر الأنطاكي، وهو ثقة"، وذكره ابن حجر في الفتح (١٢/ ٤٠٣) وقال "سنده صحيح".

وروىٰ هذا الحديث من الصحابة ﷺ أبو أمامة وعبد الله بن عمرو بن العاص وغيرهما[1].

قصَّةُ التحكيم:

معركةُ صفين تُسيطرُ عليها آدابُ الإسلام: معاويةُ يعترفُ بفضل عليٍّ، ويقدِّمُهُ علىٰ نفسه، وصرَّحَ بذلك كثيرًا، وهذا هو الظنُّ به ﷺ، ولكنَّهُ يشترط القصاص من قتلة عثمان حتىٰ يبايعَ عليًّا بالخلافة.

وسيِّدُنا عليٌّ ﷺ يرىٰ أنَّ معاويةَ ومَن معه يجبُ أن يخضعوا للخليفةِ ويتعاونوا معه علىٰ تحقيقِ حُكْمِ الله، وقد قال عمرو بن العاص ﷺ عنه يومئذ "ليس من النَّصَف أن نكون ريَّانيين وهم عطاش"[2].

وقد تمثلت آدابُ الحرب في الإسلام في هذه المعركة: "لا تقتلوا مدبرًا، ولا تُجْهزوا علىٰ جريح، ولا تكشفوا عورةً، ولا تُمثِّلوا بقتيلٍ، فإذا وصلتم إلىٰ رحال القوم فلا تهتكوا سترًا، ولا تدخلوا دارًا إلا بإذن، ولا تهيجوا امرأةً بأذىٰ،

(١) ينظر مجمع الزوائد (٧٧١٤) (١٦٦٤١) (١٦٦٤٣) (١٦٦٤٤)، وفتح الباري لابن حجر (١٢/ ٤٠٢-٤٠٣)، دلائل النبوة للبيهقي (٢٧٦٥) (٢٧٦٦).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٢٥٦).

وإن شتمْنَ أعراضَكُمْ وسَبَبْن أمراءكم وصلحاءكم؛ فإنَّهنَّ ضعاف القوىٰ والأنفس"[1]. وتقف الحرب مساءً في الليل، وعند سماع الأذان.

خاف المسلمون أن يُفْنِيَ المسلمون بعضهم بعضًا، فتمنَّوا ما ينقذهم، ويوقفُ القتال، وكان عمرو بن العاص ﷺ يفكِّرُ مليًّا بذلك حتىٰ اهتدىٰ إلىٰ فكرةِ التحكيم ليوقِفَ تلك المقتلةَ الكبرىٰ، عند ذلك أبدىٰ الفكرةَ لمعاويةَ ﷺ، ففرح بها، ورفع جيشُ الشَّام المصاحف، فهاب جيشُ عليٍّ قتالهم، وتوقَّفَ القتالُ، والحمد لله[2].

واختارَ عليٌّ ومن معه أبا موسىٰ الأشعري، واختار معاويةُ ومن معه عمرو بن العاص، وسببُ اختيارِ أبي موسىٰ لفقهه وحرصه علىٰ الإصلاح، وكان قد اعتزل الناس بعيدًا عن الفتنة تقيًّا، ثَقِفًا فقيهًا عالمًا، أرسله النبي ﷺ إلىٰ اليمن مع معاذ، وقدَّمه عمر وأثنىٰ عليه بالفهم.

(١) بهذه الصيغة ساق الطبري في تاريخه (٥/ ١١)، ووردت بصيغة مختصرة في سنن البيهقي (٨/ ١٨١)، ومصنف عبد الرزاق (١٨٥٩١)، ومصنف ابن أبي شيبة (٣٧٧٧٨)، والطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٥/ ٩٣) قال علي ﷺ ذلك قبيل معركة الجمل، وذكر الطبري أنه كان يقول ذلك في كل معركة.

(٢) ينظر البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٢٧٣)، تاريخ الطبري (٥/ ٤٨)، مصنف ابن أبي شيبة (٣٧٩١٤).

ولمّا اجتمع الحكمان اتفقا علىٰ إبقاء عليٍّ علىٰ ما بيده، وإبقاء معاوية أيضًا علىٰ ما بيده، واتفقا علىٰ خلع علي، وردّ الأمر إلىٰ الموجودين علىٰ قيد الحياة من أعيان الصحابة الذين توفي ﷺ وهو عنهم راض[1].

واتفاق الحكمين ﷺ علىٰ ذلك لا يتناول معاوية؛ لأنه ليس بخليفة، ولم يقاتل علىٰ الخلافة، وإنما كان يطالب بإقامة الحدِّ الشرعيِّ علىٰ الذين اشتركوا في قتل عثمان، وخلافة معاوية لم تبدأ إلا بعد الصلح مع الحسن بن علي ﷺ.

فعمرو لم يغالط أبا موسىٰ ولم يخدعه؛ لانه لم يعط معاوية شيئًا جديدًا، ولم يقرر في التحكيم غير الذي قرره أبو موسىٰ من قبل، فبقيت الحجاز والشام بيد معاوية ومصر أيضًا، وبقيت العراق بيد علي ﷺ.

وتعلقت الإمامة بما سيكون عليه اتفاق أعيان الصحابة عليها.

وإذا كانت هذه الخطوة الثانية لم تتم فما في ذلك تقصير من أبي موسىٰ ولا من عمرو ﷺ، فهما قد قاما بمهمتهما بحسب ما أدىٰ إليه اجتهادهما

(١) ينظر البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٢٨٣)، تاريخ الطبري (٥/ ٧٠)، وروايتهما تتضمن الاتفاق علىٰ خلع علي ومعاوية ﷺ، وترك الأمر شورىٰ، لكن هذه الرواية فيها عدة مطاعن ذكر المؤلف بعضها. وينظر فتاوىٰ ابن تيمية (٣٥/ ٦٢)، والعواصم من القواصم لابن العربي مع تعليق محب الدين الخطيب عليه ص(١٦٦)، والفصل في الملل والنحل لابن حزم (٤/ ٩٥)، والتاريخ الكبير للبخاري (٢٤٧٥)، ومصنف عبد الرزاق (٩٧٧٠)، وتاريخ الطبري (٥/ ٥٣).

واقتناعهما، ولو لم تكلفهما الطائفتان معًا بأداء هذه المهمة لما تعرضا لها ولا أبديا رأيًا فيها.

وقصة التحكيم علىٰ ما تروىٰ كذب صراح ما جرىٰ منه حرف قط، وإنما هو شيء أخبر عنه المبتدعة[1].

وعن حُضين بن المنذر (وهو من خواص علي ﷺ الذين حاربوا معه) قال: لما عزل عمرو معاويةَ (يقصد منها ما يذكر بعد)، جاء حضين فضرب فسطاطه قريبا من فسطاط معاوية، فبلغ نبأه معاوية فأرسل إليه –أي إلىٰ حضين– فقال: إني بلغني عن عمرو كذا وكذا (أي أنهما لم يعزلا ولم يوليا ولكن تركا الأمر لأعيان الصحابة)، فاذهب فانظر ما هذا الذي بلغني عنه. قال: فأتيته فقلت: أخبرني عن الأمر الذي اجتمعتما فيه أنت وأبو موسىٰ: كيف صنعتما فيه؟

قال: قد قال الناس في ذلك ما قالوا، والله ما كان الأمر علىٰ ما قالوا، ولكن لما اجتمعت أنا وأبو موسىٰ، قلت له: ما ترىٰ في هذا الأمر؟ قال أرىٰ أنه في النفر الذي توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض. قال: فقلت: فأين تجعلني من هذا الأمر أنا ومعاوية؟ وقال إن يُستعَن بكما ففيكما معونة، وإن يُستَغنَ عنكما فطالما استغنىٰ أمر الله عنكما. قال: فكانت هذه هي فتل منها معاوية نفسه[2].

(١) العواصم من القواصم ص (١٧٠).

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٦/ ١٧٥). العواصم من القواصم ص (١٨٠).

الخوارج والقضاء عليهم في يوم النهروان

هم الذين خرجوا علىٰ عليٍّ ﷺ بعد قبوله التحكيم، وكانوا من شيعتِهِ الذين اشتركوا معه في موقعة الجمل، ومعركة صفِّين، فلما قَبِلَ عليٌّ التحكيمَ تمرَّدوا عليه وخرجوا عن طاعته.

كان الخوارجُ من أخطر الأعداء الذين واجههم عليٌّ ﷺ في حياته، ولم تكن خطورتُهم في كثرةِ عددهم، إذ كانوا قِلَّةً ضئيلةً، وإنما كانت الخطورةُ في مفاجأتِهم لعليٍّ بالعداء، وهم الذين خاضوا معه موقعةَ الجمل وموقعةَ صِفِّين، وكانت الخطورةُ في خروجهم عليه في وقتٍ عصيبٍ، وهو الوقتُ الذي انتهت فيه موقعةُ صفين، وظنَّ عليٌّ وبقيةُ جيشه أن هناك فترة سلامٍ طويلةٍ ستُظِلُّ المجتمعَ الإسلاميَّ.

وكان من العجب أن الحُجَّةَ التي تذرعوا بها في الخروج علىٰ عليٍّ ﷺ هي قبولُهُ التحكيمَ، مع أنَّهم كانوا موافقين علىٰ قبوله بل متحمِّسين له.

وأَعجبُ من ذلك أنَّهم يُكَفِّرون عليًّا ﷺ؛ لأنَّه حكَّم فيهم الرجال، وهم علىٰ حدِّ قولهم يريدون تحكيم كتاب الله، بل كانوا يكفِّرون كلَّ من قَبِلَ التَّحكيمَ ومن لا يَرَىٰ رأيَهُم، وكانوا كأنَّهم ينتظرون أنَّ المصحفَ سينطق بالحكم ويتكلَّمُ وحده دون حاجةٍ إلىٰ مثل هذين الحكمين.

وكانوا يُكفِّرون الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ، ويكفِّرون سيدنا معاويةَ بن أبي سفيان وسيدنا عمرو بن العاص ﷺ، ويستبيحون دماءَ المسلمين. وإنَّهم عندما خرجوا علىٰ عليٍّ ﷺ أشاعوا الرُّعبَ والفزعَ في النفوس. وكان مما فعله هؤلاء الخوارج أنهم لقوا عبد الله بن خباب ﷺ، وهو من أصحاب رسول الله ﷺ، فسألوه عن أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعلي ﷺ، فأثنىٰ عليهم، فلم يعجِبْهُم ذلك؛ لأنَّه لا يتَّفِقُ مع مبادئهم، وحينئذٍ ذبحوه، وبقروا بطن امرأته، ثم قتلوا ثلاث نسوةٍ من طيئ، فتألَّمَ عليٌّ ﷺ من هذه الأعمال المُنْكَرَةِ، وبعثَ إليهم رسولًا لينظر فيما بلغه عنهم، ولكنَّهم قتلوا هذا الرسول.

ولمَّا رأىٰ أصحابُ عليٍّ ﷺ ذلك قالوا: كيف ندعُ هؤلاء ونأمن غائلتهم في أموالنا وعيالنا؟! وجيشُ عليٍّ لا يزال في عُدَدِه، وعَدَدِه، والعَدَدُ سبعون ألفًا، والخوارجُ لا يزيدون علىٰ أربعةِ آلاف، فطلبَ إليهم سيدنا علي ﷺ أن يدفعوا القتلة الذين قتلوا عبد الله بن خباب، وبقروا بطن امرأته، وقتلوا نسوةَ طيئ، بل وقتلوا الرسول الذي أرسل إليهم.

فأجابوه إجابةً باغيةً متحدِّيةً، وقالوا: كلُّنا قتلهم وكلُّنا يستحلُّ دماءَكم ودماءهم[1].

ومع ذلك فتح لهم باب الرجوع مرة ثانية، وأمر أن تنصب راية، ثم قال: من تقدَّم إلىٰ هذه الراية فهو آمن، ومن دخل الكوفةَ فهو آمن، ومن رجعَ إلىٰ المدائن فهو آمن، فانصرف منهم ما يقرب من نصف العدد، ووقف النصف الآخر، فكان لعلي ﷺ موقفٌ رهيب في يوم عصيب (يوم النهروان)، فهلكوا جميعًا في ساعةٍ واحدةٍ، وكان ذلك سنةَ سبعٍ وثلاثين أو ثمان وثلاثين، ورجَّحَ أكثرُ أهل السير أنه كان سنة ثمان وثلاثين، وصححه ابن جرير[2].

وفي قصَّةِ هؤلاء الخوارج آيةٌ عظيمة لرسول الله ﷺ حيث قال في ذي الخويصرة وهو أحد المنافقين: (إنَّ له أصحابًا يحقِرُ أحدُكُم صلاتَه مع صلاتِهم، وصيامَه مع صيامِهم، يقرؤون القرآن لا يتجاوز تراقِيَهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميَّة ... آيتُهُم رجلٌ أسود، إحدىٰ عضديه مثلُ ثدي المرأة، أو مثل البَضْعَة تَدَرْدَرُ، ويخرجون علىٰ حين فُرقةٍ من الناس). قال أبو سعيد ﷺ: فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ، وأشهد أن عليًا

(١) القصة مفصلة في تاريخ الطبري (٥/ ٨١-٨٢)، والطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٥/ ٢٤٥)، والبداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٢٨٧) ووردت مختصرة في مسند أحمد (٢١٠٦٤)، والمعجم الكبير للطبراني (٣٦٣٠)، ومصنف ابن أبي شيبة (٣٧٨٩٦) (٣٧٩٢٣).

(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٩١)، البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٢٨٧-٢٨٨) وقال: "وهو الأشبه".

بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، فأُمِرَ بذلك الرَّجُلِ، فالتُمِسَ، فأُتِيَ به، حتىٰ نظرتُ إليه علىٰ نعتِ رسول الله ﷺ الذي نعته[1].

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤).

## استشهادُ عليٍّ ﷺ

ذكر المؤرِّخون أنَّ عبدَ الرحمنِ بن ملجم، والبُرَكَ بن عبد الله، وعمرو بن بكر التميمي –وثلاثتهم من الخوارج– تلاقوا في موسم الحجِّ، فتذاكروا أمر الناس، وعابوا أعمال ولاتهم، وما هم فيه من تفرُّقٍ واختلافٍ، وذكروا مصارعَ إخوانهم الذين قُتلوا في يوم النهروان، فترحَّموا عليهم وقالوا: ما نصنعُ بالبقاء بعدهم؟ فيا ليتنا نقتلُ أئمَّةَ الضلالةِ ونُرِيحُ منهم البلادَ، فقال ابنُ ملجم: أنا أكفيكُمْ عليًّا، وقال البُرَك: وأنا أكفيْكُمْ معاوية، وقال عمرو بن بكر: وأنا أكفيكُم عمرو بن العاص، ثم تعاهدوا أن لا ينكص أحدٌ منهم عن صاحبه الذي توجَّه إليه، حتىٰ يقتُلَه أو يموتَ دونه. وأخذوا سيوفهم فَسَمُّوها، وحدَّدوا موعدهم لتنفيذ مؤامراتهم في الليلة السابعة عشر من شهر رمضان.

ثم قصدَ كلٌّ منهم إلىٰ الجهة التي يُريد، فقصدَ ابنُ ملجم إلىٰ الكوفةِ، وقصدَ البُرَك إلىٰ الشام، وقصد عمرو بن بكر إلىٰ مصرَ، وكان سنةَ تسعٍ وثلاثين أو أربعين.

فلمَّا كانت تلك اللَّيلةُ المقدَّرةُ، وخرج عليٌّ ﷺ لصلاةِ الفجر، وكان ينادي أيُّها النَّاس: الصلاةَ الصلاةَ، قابله عبدُ الرَّحمن بنُ ملجم، فضربه بالسَّيفِ علىٰ مُقدَّمِ رأسه، وقال: الحُكْمُ لله لا لك يا علي ولا لأصحابك، فوقع عليٌّ بعد هذه الضربة، وقال: لا يفوتنَّكُم الرجلُ، فشدَّ النَّاسُ عليه فأخذوه، وحُمِلَ عليٌّ ﷺ

إلىٰ بيتِهِ، ثُمَّ أُدخِلَ ابنُ مُلْجِمٍ علىٰ عليٍّ ﷺ وهو مكتوفٌ، فلمَّا رآه عليٌّ ﷺ قال: النَّفسُ بالنَّفسِ، إن هلكتُ فاقتلوه كما قتلني، وإن بقيتُ رأيتُ فيه رأيي. ثم نظر إلىٰ ابنه الحسن، وقال: انظر يا حسن إن أنا متُّ من ضربتي هذه، فاضربه ضربةً بضربةٍ، ولا تمثِّلنَّ بالرَّجُلِ، فإنِّي سمعتُ رسول الله ﷺ ينهىٰ عن المثلة، ولو بالكلب العقور. ثم دخل جندب ابن عبد الله، فقال لعليٍّ ﷺ: إن فقدناك –ولا نفقدك– أنبايعُ الحسن؟ فقال: ما آمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر.

ثم وصَّىٰ ولديه الحسنَ والحسين ﷺ بتقوىٰ الله، والعمل بما في كتابه، ووصَّىٰ ولده محمَّدَ بن الحنفية بتوقير أخويه، ثم وصَّىٰ ولديه الحسن والحسين بأخيهما من أبيهما محمد بن الحنفية خيرًا.

ثم كتبَ وصيَّتَهُ العامَّةَ، وهي دستورٌ شاملٌ لمبادئ الإسلام وآدابه، وقال في نهايتها: "أستودعكم الله، وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله"، ثم لم ينطق بعدها إلا بلا إله إلا الله حتىٰ لقيَ الله، فرضي الله عنه، وأرضاه.

وأما البُرَك فإنَّه قصدَ إلىٰ معاوية ﷺ في تلك الليلة، فضربَهُ ضربةً لم تُصِبْ منه مقتلًا، وقد أمر به معاوية فَقُتِلَ، ثم أُحضِرَ الطبيبُ لمعاوية، وأُسرِعَ بعلاجه، فَبِرأ من جُرْحِهِ.

وأمّا عمرو بن بكر التميمي، فإنَّه جلس لعمرو ﷺ في تلك الليلة، ولكنَّ عمرًا لم يخرج للصلاة لمرضٍ طرأَ عليه، وأناب عنه صاحبَ الشرطة خارجةَ

بنَ حُذافةَ، فقتله الخارِجِيُّ، وهو يعتقد أنَّه عمرو بن العاص، فلمّا أخذوه، وأدخلوه علىٰ عمرو عَجِبَ، وقال: فمن قتلتُ إذن؟ قالوا: خارجةَ. فقال لعمرو بن العاص: والله ما ظننتُهُ غيرَك. فقال له عمرو: أردتَ عمرًا وأراد الله خارجة. فذهب مثلًا. وأَمَرَ بقتله[1].

وهكذا ينتهي الأمرُ باستشهاد العالِم العظيمِ والصحابيِّ الجليلِ والمجاهدِ الزاهدِ ابنِ عمِّ الرسول ﷺ وزوجِ ابنة الرسول ﷺ فاطمةَ الزهراءِ سيدةِ نساء العالمين ﷺ، ووالدِ السِّبْطين الحسن والحسين ﷺ، سيدَي شباب أهل الجنّةِ في الجنّةِ، وريحانتي نبيِّ هذه الأمّةِ، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

موقفُ السبئيين من استشهاد علي ﷺ

قالت السبئيةُ لمنْ أخبرهم بمقتلِ سيِّدنا علي ﷺ ونعاه قالوا له: كذبتَ يا عدوَّ الله، لو جئتنا –والله– بدماغه ضربة، فأقمت علىٰ قتله سبعين عدلًا ما صدَّقْنَاك، ولعلمنا أنَّه لم يَمُتْ ولم يُقْتَل، وأنَّه لا يموت حتىٰ يسوقَ العربَ بعصاه[2]. ثم مضوا من يومهم حتىٰ أناخوا بباب عليٍّ، فاستأذنوا عليه استئذان الواثِق بحياته الطامع في الوصول إليه، فقال لهم من حضره من أهله وأصحابه

(١) جاءت القصة كاملة في حديث طويل في المعجم الكبير للطبراني (١٦٨). قال الهيثمي (١٤٧٩١) "رواه الطبراني، وهو مرسل، وإسناده حسن". تاريخ الطبري (٥/ ١٤٣ فما بعد). البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٣٢٦).

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٨/ ٤٤٤). البدء والتأريخ لابن طاهر المقدسي ص(٤٤٩) وقد تقدم.

وولده: سبحان الله، ما علمتم أنَّ أمير المؤمنين قد استُشْهِدَ؟ قالوا: إنَّا لنعلم أنَّه لم يُقْتَل، ولا يموتُ حتىٰ يسوقَ العربَ بسيفه وسوطِه كما قادهم بحجَّتِهِ وبُرْهانِهِ، وإنَّه ليسمعُ النَّجوىٰ، ويعرفُ تحت الدِثار الثقيل، ويلمعُ في الظلام، كما يلمعُ السيفُ الصَّقيلُ الحسام[1].

قال عليٌّ ﷺ: "يهلكُ فيَّ رجلان: محبٌّ مفْرطٌ، ومبغضٌ مفرِّطٌ"[2].

القسم الأول: أفرطَ في حُبِّه، وذهب به الإفراطُ إلىٰ الغلوِّ، حتىٰ جعلوه بمنزلةِ النَّبيِّ، بل ازدادوا في غيهم، فقالوا بألوهيَّتِه.

والقسم الثاني: مُبغضٌ مُفَرِّط، وهؤلاء الذين تكلَّموا فيه، بل غالىٰ بعضهم، فقالوا بكفرِه كالخوارج.

وأمّا السوادُ الأعظمُ فهم أهل السُنَّةِ والجماعةِ الذين أحبُّوا عليًّا وآل بيته المحبَّةَ الشرعيَّةَ، أحبُّوهم لمكانتهم من النَّبيِّ ﷺ.

ولمَّا أعلن ابنُ سبأ إسلامَه، وأخذ يُظْهِرُ الأمرَ بالمعروفِ والنَّهيَ عن المُنْكرِ، ويكسبَ قلوبَ فريقٍ من النَّاسِ إليه، أَخَذَ يتقرَّبُ من عليِّ بن أبي طالب، ويُظْهِرُ محبَّتَهُ له، فلما اطمأنَّ لذلك أخذ يكذِبُ ويفتري علىٰ علي بن أبي طالب نَفْسِهِ.

---

(١) المقاولات والفرق للقمي، ص (٢١).

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٢/ ٣٠١). أنساب الأشراف للبلاذري (١/ ٢٠٢).

قال عامر الشعبي[1] "أول من كذب عبد الله بن سبأ"[2]. وكان عليٌّ ﷺ يقول: "من يعذرني من هذا الحميت[3] الأسود الذي يكذب علىٰ الله ورسوله؟![4]" يعني: ابنَ سبأ، وكان يقعُ في أبي بكرٍ وعمر ﷺ.

ولما بلغ عليَّ بن أبي طالب أنَّ ابنَ السوداء ينتقصُ أبا بكر وعمرَ ﷺ دعا به، ودعا بالسَّيْفِ، وَهَمَّ بقتله، فشفع فيه أناسٌ، فقال: واللهِ لا يساكِنُني ببلدٍ أنا فيه. فسيَّرَهُ إلىٰ المدائنِ[5].

وعن جابر قال: لمَّا بُويع عليٌّ ﷺ خطب الناس، فقام إليه عبدُ الله بن سبأ فقال له: أنتَ دابّةُ الأرض. فقال له: اتَّقِ اللهَ. فقال له: أنت الملك. فقال له: اتق الله. فقال له: أنت خلقت الخلقَ، وبسطت الرِّزقَ، فأمر بقتله. فاجتمعت الرّافِضَةُ، فقالت: دَعْهُ، وأنْفِهِ إلىٰ ساباط المدائن، فإنَّك إن قتلته بالمدينة –يعني: الكوفةَ– خرج أصحابهُ علينا وشيعَتُهُ، فنفاهُ إلىٰ ساباط المدائن، فثَمَّ القرامطةُ والرَّافِضَةُ[6].

---

(١) وهو أحد كبار التابعين، توفي ١٠٣هـ.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٩/ ٧).

(٣) الحميت: المتين.

(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٩/ ٨).

(٥) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٩/ ٩).

(٦) أي كانت بعد ذلك بجهود ابن سبأ مركزًا يتجمعون فيه.

قال –أي جابر–: ثم قام إليه طائفةٌ وهم السبئيةُ، وكانوا أحدَ عشر رجلًا، فقال: ارجعوا؛ فإنّي عليُّ بنُ أبي طالب، أبي مشهورٌ وأُمِّيْ مشهورةٌ وأنا ابنُ عمِّ محمَّدٍ ﷺ. فقالوا: لا نرجِعُ، ادعُ داعيك. فأحرقهم بالنار، وقبورُهُمْ في صحراء (أحد عشر)، مشهورةٌ، فقال من بقيَ مِمَّن لم يَكْشِفْ رَأْسَهُ منهم: علمنا أنَّه إلهٌ. واحتجُّوا بقول ابن عبَّاس ﷺ: "لا يُعذِّب بالنَّار إلا خالِقُهُا"[1].

(١) كلام ابن عباس رُوِيَ مرفوعًا في سنن أبي داود (٢٦٧٣)، ومسند أحمد (١٦٠٣٤) بلفظ: ((لا يعذّب بالنّار إلا ربُّ النّار))، لكن كل الروايات المرفوعة ليست من طريق ابن عباس. والقصة ذكرها ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٩/ ١٠)، وقد سبق ذكرها.

# الفصل الخامس

## استخلاف الحسن بن علي رضي الله عنهما

## وتنازله لمعاوية رضي الله عنه في عام الجماعة

## استخلاف الحسن بن علي ﷺ
## وتنازله لمعاوية ﷺ في عام الجماعة

عن عبد الله بن سبع قال: سمعتُ عليًا يقولُ –وقد ذكرَ أنه سيُقتل– قالوا: فاستخلفْ علينا. قال: لا، ولكن أترُكُكُمْ إلىٰ ما تركَكُمْ إليه رسولُ الله ﷺ. فقال: فما تقولُ لربِّك إذا أتيتَهُ؟ قال: أقولُ: اللهمَّ تركتني فيهم ما بدا لك، ثم قبضتني إليك وأنتَ فيهم، فإن شئتَ أصلحتَهُم، وإن شئت أفسدتهم[1].

وقيل لعلي ﷺ: ألا تستخلفُ علينا؟ قال: ما استخلفَ رسول الله ﷺ فأستخلفُ، ولكن إن يُردِ اللهُ بالنَّاس خيرًا فسيجمَعُهُم بعدي علىٰ خيرهم، كما جمعهم بعد نبيِّهم علىٰ خيرِهم[2].

بعد استشهاد الخليفة الراشد علي ﷺ حصلت بيعتان: بيعةٌ لمعاوية ﷺ، وبيعةٌ للحسن بن علي ﷺ.

عن الإمام الحسن البصري قال: استقبل –والله– الحسنُ بن علي معاويةَ بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: إنِّي لأرىٰ كتائبَ لا تُولِّي حتَّىٰ تقتلَ أقرَانَها، فقال له معاويةُ –وكان والله خيرَ الرجلين–: أي عمرو: إنْ قَتَلَ

---

(١) مسند أحمد (١٠٧٨). مسند أبي يعلىٰ (٥٩٠). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٧٨٢): "رواه أحمد وأبو يعلىٰ، ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن سبع. وهو ثقة، ورواه البزار بإسناد حسن".

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٤٦٧)، وصححه، ووافقه الذهبي، والبيهقي في دلائل النبوة (٣١٥٥)، والبزار في مسنده (٨٧١).

هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء؛ مَن لي بأمور المسلمين؟ من لي بنسائهم؟ من لي بضيعتهم؟

فبعثَ إليه رجلين من قريشٍ من بني عبد شمس –عبدَ الرحمن بن سمرة، وعبدَ الله بن عامر بن كريز– فقال: اذهبا إلىٰ هذا الرجل (أي الحسن بن عليٍّ)، فاعرضا عليه (أي: ما يشاء)، وقولا له (أي: ما يُرْضيه)، واطلبا إليه (أي: ما تريان فيه المصلحةَ فأنتما مفوَّضان).

فأَتياه فدخلا عليه فتكلَّما وقالا له وطلبا إليه، فقال لهما الحسنُ بن علي: إنَّا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال، وإنَّ هذه الأمَّةَ قد عاثت في دمائها (أي: فيحتاجُ إرضاؤُها في دمائها إلىٰ مالٍ كثير). قالا: فإنَّه يعرضُ عليك كذا وكذا، ويطلبُ إليك ويسألُكَ. قال: فمن لي بهذا؟ قالا: نحن لك به. فما سألهما شيئًا إلا قالا: نحن لك به. فصالحه.

فقال الحسن: ولقد سمعت أبا بكرة ﷺ يقول: رأيت رسول الله ﷺ علىٰ المنبر، والحسنُ بن عليٍّ إلىٰ جنبه، وهو يقول علىٰ الناس مرة، وعليه أخرىٰ، ويقول: ((إن ابني هذا سيِّدٌ، ولعلَّ اللهَ أن يُصْلِحَ به بين فئتين عظيمتين من المسلمين))[1].

فنفذ الميعادُ، وصحَّتِ البيعةُ لمعاويةَ، وذلك لتحقيق رجاء النّبي ﷺ.

(١) أخرجه البخاري (٢٧٠٤).

وسيدنا الحسنُ بنُ عليٍّ ﷺ تخلَّىٰ عن الأمر صيانةً لحقنِ دماء الأمة، وتصديقًا للنبي ﷺ. وتمَّ الاتِّفاقُ أن يكون الحسنُ بنُ عليٍّ خليفةً بعده، وأن تُدْفَعَ دياتُ القتلىٰ من الطرفين من بيت المال.

وسُمِّي العامُ الذي بايعَ فيه الحسنُ معاويةَ ﷺ عامَ الجماعة، لاجتماع الكلمةِ علىٰ إمامٍ واحدٍ. وكان ذلك سنةَ إحدىٰ وأربعين، في شهر ربيعٍ الأول[1].

* * *

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٣٢٤)، تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٩/ ١٤٨)، البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٦).

## خصالُ معاوية ﷺ واستخلافُه لابنه يزيد

قال ابن العربي: "فإن قيل: ألم يكن في الصحابة أقعدُ بالأمر من معاوية؟ قلنا: كثيرٌ"(١).

"لكنَّ معاوية اجتمعت فيه خصالٌ: وهي أنَّ عمر ﷺ جَمَعَ له الشَّاماتِ كلَّها(٢)، وأفردَه بها(٣)؛ لِمَا رأىٰ من حُسْنِ سيرته"(٤).

قال سعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ ﷺ: "ما رأيتُ أحدًا بعد عثمان أقضىٰ بحقٍّ من معاويةَ"(٥).

---

(١) قال محب الدين الخطيب معلقًا: "كسعدِ بن أبي وقَّاصٍ، وعبدِ الله بن عمرَ، وغيرهما من هذه الطبقة وقريب منها. وهؤلاء هم الذين ترك لهم الحكمان (أبو موسىٰ وعمرو) أمرَ الإمامةِ بعد حرب صفِّين؛ ليَرَوا فيها رأيَهُم. فلمَّا رأوا اجتماعُ الأمَّة كلِّها علىٰ معاويةَ دخلوا كلُّهم في إمامته، وبايعوه بعد أن كانوا معتزلين الفتنةَ من بعد عثمان.

ومعاويةُ نفسه يَعرِفُ للنَّاسِ أقدارَهُم، فقد جاء أنَّ معاويةَ خطب فقال: يا أيُّها النَّاس، ما أنا بخيركم، وإنَّ منكم لمن هو خيرٌ منِّي: عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، وغيرهما من الأفاضل، ولكن عسىٰ أن أكون أنفَعَكم ولايةً، وأنكاكم في عدوِّكم، وأدرَّكم حلبًا". وهذه الخطبة رواها ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٩/ ١٦٣)، وابن كثير في البداية والنهاية (٨/ ١٣٤).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٢٤) عن محمد ابن إسحاق،

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٢٤) عن إسماعيل بن أمية.

(٤) العواصم من القواصم ص(٢٠٩). وقال ابن كثير: "الصواب أن الذي جمع الشام كلها لمعاوية: عثمان بن عفان، وأما عمر فإنه إنما ولاه بعض أعمالها".

(٥) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٣٣)، تاريخ الإسلام للذهبي (٤/ ٣١٣).

وقال ابن عباس ﷺ: "ما رأيت رجلًا كان أخلق بالملك من معاوية"[1].

وقد ولاَّه أبو بكر ﷺ لأنَّه ولَّىٰ أخاه يزيدَ من قبل، واستخلفه يزيدُ فأقرَّهُ عمرُ لتعلُّقِه بولاية أبي بكرٍ لأجل استخلاف واليه له، فتعلَّقَ عثمانُ بعمرَ وأقرَّهُ.

وقد استعمَلُهُ رسولُ الله ﷺ بكتابةِ الوَحْيِ.

ولما عَزَلَ عمرُ ﷺ عُمير بن سعد الأنصاري الأوسيَّ ﷺ عن حمصَ وَلَّىٰ معاويةَ، فقال النَّاسُ: عزل عميرًا وولَّىٰ معاويةَ؟![2] فقال عميرٌ: لا تذكروا معاويةَ إلا بخيرٍ، فإنِّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: ((اللهمَّ اهدِ به))[3]. ويُروىٰ ذلك عن عمر ﷺ[4].

قال ابن تيمية: "كانت سيرةُ معاويةَ مع رعيَّتِهِ من خيار سير الولاة، وكان رعيَّتُهُ يُحبُّونه، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ: ((خيارُ أئمَّتِكُم الذين تُحبُّونهم ويحبُّونكم، ويُصلُّون عليكم وتصلون عليهم. وشرارُ أئمَّتِكُم الذين تُبغِضُونهم ويُبْغِضُونكم، وتَلْعَنُونهم، وَيلْعنونَكم))[5].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٣٥).

(٢) كان عمير يقال له: نسيج وحدِه، وقال حديث غريب، وعمرو بن واقد يضعف.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٨٤٢).

(٤) ذكر ذلك ابن كثير في البداية والنهاية (٨/ ١٢٢) ورجح أنه من كلام عمر لا عمير ﷺ.

(٥) الحديث أخرجه مسلم (١٨٥٥). وكلام ابن تيمية في منهاج السنة النبوية (٦/ ١٢٤).

وقال قَبيصةُ بنُ جابرٍ الأسديُّ: "ألا أُخبِرُكُم من صحبتُ؟ صحبتُ عمرَ بنَ الخَطَّاب فما رأيتُ رجلًا أفقه فقهًا ولا أحسن مدارسةً منه. ثُمَّ صحبتُ طلحةَ بن عبيد الله، فما رأيتُ أحدًا أعطىٰ للجزيل من غير مسألةٍ منه. ثم صحبتُ معاويةَ فما رأيتُ رجلًا أحبَّ رفيقًا ولا أشبهَ سريرةً بعلانيةٍ منه"[1].

وقال عبدُ الله بنُ عمر ﷺ: "ما رأيتُ أحدًا أسودَ من معاوية". قال جبلةُ بن سحيمٍ: ولا عمر؟ قال: "كان عمرُ خيرًا منه، وكان معاويةُ أسودَ منه"[2].

وقال قتادةُ: "لو أصبحتم في مثلِ عملِ معاويةَ لقال أكثَرُكُم: هذا المهديُّ"[3].

وعن مجاهدٍ: "لو رأيتم معاويةَ لقلتم: المهديُّ"[4].

وقد ذُكِرَ عند الأعمش عمرُ بن عبد العزيز، وعدلُه، فقال الأعمشُ: "فكيف لو أدركتم معاويةَ؟" قالوا: في حلمه؟ قال: "لا –والله–؛ بل في عَدْلِهِ"[5].

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٢٢٧)، تاريخ دمشق لابن عساكر (١٩/ ١٨٢).

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٩/ ١٧٣)، البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٣٥)، وقد وردت أول جملة منه فقط عن ابن عمر في المعجم الكبير للطبراني (١٣٤٣٢)، والمعجم الأوسط له (٦٧٥٩). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٩٢١): "وفي رجاله خلاف".

(٣) نقله ابن تيمية في منهاج السنة النبوية (٦/ ١١٧) عن أبي بكر الأثرم بإسناده، وابن بطة عن طريق الأثرم.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٣٥).

(٥) نقله ابن تيمية في منهاج السنة النبوية (٦/ ١١٧) عن الأثرم بإسناده.

وقد قال ﷺ: ((اللهم اجعله هاديًا مهديًا، واهد به))[1].

وفي حديث أنسٍ ﷺ، أن النبيَّ ﷺ نامَ عند أم حرام ﷺ[2] -أي القيلولة-، ثم استيقظَ وهو يضحكُ؛ لأنَّه رأىٰ ناسًا من أُمَّتِه غُزَاةً في سبيل الله، يركبون ثبجَ البحر[3]، ملوكًا علىٰ الأسرَّةِ، أو مثل الملوك علىٰ الأسرة. فقالت له: ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها رسول الله ﷺ، ثم وضعَ رأْسَهُ، فنامَ، ثم استيقظَ وهو يضحك وقد رأىٰ مثل الرؤيا الأولىٰ، فقالتْ له أمُّ حرامٍ: ادعُ الله أن يجعلني منهم. قال: أنتِ من الأولين[4].

قال الحافظُ ابن كثير: "يعني جيشَ معاويةَ حين غزا قُبْرُصَ، ففتحها في سنة (٢٧) أيامَ عثمانَ بن عفان". بقيادة معاوية ﷺ عقب إنشائه الأسطول الإسلامي الأول في التاريخ[5].

وكانت معهم أمُّ حرام في صحبةِ زوجها عبادةَ بنِ الصَّامتِ، ومعهم من الصحابة أبو الدرداء، وأبو ذرٍّ، وغيرُهُما، فماتت أم حرام في سبيل الله وقبرها بقبرص إلىٰ اليوم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٤٢) وقال: "هذا حديث حسن غريب". مسند أحمد (١٧٨٩٥).

(٢) وهي صحابيَّةٌ من الأنصار، كان النَّبيُّ ﷺ إذا ذهبَ إلىٰ قباءَ استراحَ عندها، وهي خالةُ أنس بن مالك ﷺ.

(٣) ثبج البحر: أي ظهره ومعظمه.

(٤) أخرجه البخاري (٢٧٨٩)، ومسلم (١٩١٢).

(٥) العواصم من القواصم ص(٢١٥) مع تليق محب الدين الخطيب.

ثُمَّ كان أميرُ الجيش الثاني ابنه يزيد بن معاوية في غزوة القسطنطينية ولم تدرك أم حرام جيش يزيد هذا. قال ابن كثير: "وهذا من أعظمِ دلائل النُّبُوَّةِ"[1].

والدعاءُ لمعاويةَ ثابتٌ من طرقٍ عديدةٍ، ورواتُهُ أكثرُ من أن يُحصَوا منها:

أنَّ النبي ﷺ قال لمعاوية: ((اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب))[2]. وفي حديث ((اللهمَّ اهدِ به))[3].

قال محب الدين الخطيب: "الخلافةُ والملكُ والإمارةُ عناوينُ اصطلاحيَّةٌ، تتكيَّفُ في التَّاريخِ باعتبار مدلولهنّ العمليِّ، والعبرةُ دائمًا بسيرةِ المَرْءِ وعَمَلِهِ".

ومعاويةُ ﷺ قد وَلِي الشَّامَ للخلافةِ الرَّاشِدة مُدَّةَ عشرين سنةً، ثم اضطلع بمهمَّةِ الإسلام كلِّها عشرين سنةً أخرىٰ في الوطن الإسلامي الأكبر بعد بيعةِ الحسنِ بن عليٍّ له، فكان في الحالتين قوَّامًا بالعدل، مُحْسِنًا إلىٰ النَّاس من كلِّ الطَّبقاتِ، يُكْرِمُ أهلَ المواهب، ويُساعِدُهم علىٰ تنميةِ مواهبهم، ويسعُ بحمله جهلَ الجاهلين فيعالجُ بذلك نقائِصَهم، ويلتزمُ في الجميع أحكامَ الشَّريعةِ

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ٢٢٩).

(٢) الإمام أحمد (١٧١٥٢)، وابن خزيمة (١٩٣٨)، والطبراني في مسند الشاميين (٣٣٣)، وابن عساكر في معجم الشيوخ (١٣٤١).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٨٤٣).

الإسلاميَّةِ بحزمٍ ورفقٍ ومثابرةٍ وإيمانٍ. يؤمُّهم في صلواتِهم، ويوجِّهُهُم في مجتَمعِهم ومرافِقِهم، ويقودُهم في حروبهم.

وقد قال الصحابيُّ الجليلُ أبو الدرداء ﷺ لأهلِ الشَّام: "ما رأيتُ أحدًا أشبهَ صلاةً بصلاةِ رسول الله ﷺ من إمامكم هذا يعني: معاوية"[1].

وقد رأيتَ قولَ الأعمش للذين ذكروا عنده عمرَ بن عبد العزيز وعدله: (كيف لو أدركتم معاويةَ؟ قالوا: في حلمه؟ قال: لا –واللهِ–؛ بل في عدله).

وقد بلغ من استقامَتِهِ علىٰ جادة الإسلامِ أن قال فيه أمثالُ قتادةَ، ومجاهدٍ، وأبي إسحاق السبيعي –وكلُّهم من الأئمَّةِ الأعلام–: "كأن معاويةُ هو المهديَّ"[2].

والذي يَتتَبَّعُ سيرةُ معاويةَ ﷺ في حكمه يرىٰ أنَّ حكومَتَهُ في الشَّام كانت حكومةً مثاليَّةً في العدلِ والتَّراحُمِ والتَّأسِّي، لم يُخيَّرْ بين الطيِّبِ والأطيب إلا اختار الأطيبَ علىٰ الطيِّبِ[3].

ونُقِلَ عن معاويةَ ﷺ قولُه: أنا أوَّلُ الملوكِ، وآخرُ خليفةٍ[4].

---

(١) كلام أبي الدرداء في تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٩/ ٣٧٠). ومازال الكلام لمحب الدين الخطيب.

(٢) تقدم قبل قليل كلام الأعمش وقتادة وغيرهما. ومازال الكلام موصولًا للخطيب.

(٣) ينظر العواصم من القواصم، ص١٩١.

(٤) كلام معاوية في البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٣٥). ومازال الكلام للخطيب.

وعن الزُّهريِّ: أنَّ معاوية عملَ سنتين عملَ عمرَ ما يخرِمُ فيه[1].

ولمَّا قدمَ عمرُ الشَّام، وتلقَّاهُ معاويةُ في موكبٍ عظيمٍ، استنكرَ عمرُ ذلك، فاعتذرَ له معاويةُ بقوله: إنَّا بأرضٍ جواسيسُ العدوِّ بها كثيرةٌ، فيجبُ أن نظْهِرَ من عزِّ السُّلطان ما يكونُ فيه عزٌ للإسلام وأهلِهِ، ونُرْهِبَهُم به. فقال عبدُ الرَّحمن بنُ عوف لعمرَ: ما أحسنَ ما صدرَ عمَّا أوردْتَهُ فيه يا أميرَ المؤمنين، فقالَ عمرُ: من أجل ذلك جشَّمْناه ما جشَّمناه[2].

وذكر ابن كثير أنَّ معاويةَ قال ليزيدَ: كيف تُراكَ فاعلًا إن وُلِّيتَ؟ قال: يمتع الله بك يا أمير المؤمنين. قال: لتخبرني، قال: كنتُ –والله يا أبة– عاملًا فيهم عملَ عمرِ بن الخطاب. فقال معاويةُ: سبحان الله يا بُنيَّ، والله لقد جهدتُ علىٰ سيرةِ عثمانَ بن عفان، فما أطقتُها، فكيفَ بك وسيرةَ عمرَ؟[3].

وروىٰ الإمام أحمد في كتاب الزهد عن علي بن أبي حملة عن أبيه قال: رأيت معاوية علىٰ المنبر بدمشق يخطب الناس، وعليه قميص مرقوع[4].

---

(١) كلام الزهري في البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٣١). ومازال الكلام للخطيب.

(٢) قصة عمر ومعاوية في البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٢٤). ورواها بصيغة مقاربة ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٩/ ١١٢). ومازال الكلام للخطيب.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ٢٢٩). ومازال الكلام للخطيب.

(٤) كتاب الزهد للإمام أحمد (٩٦٥).

وعن يونس بن حلبس قال: "رأيتُ معاويةَ في سوقِ دمشقَ علىٰ بغلة له، وخلفه وصيف قد أردفه، عليه قميصٌ مرقوعُ الجيب، وهو يسيرُ في أسواقِ دمشقَ[1]. وكان قوَّادُ معاويةَ وكبارُ أصحابِهِ يستهدُونَه ملابِسَهُ للتبرُّكِ بها، فكان إذا حَضَرَ أحدُهم إلىٰ المدينةِ وعليه هذه الملابِسُ يعرفونَها ويتغالَون في اقتنائِها". انتهىٰ كلام محب الدين الخطيب[2].

قال أبو بكر بن العربي: "فإن قيلَ: قد دَسَّ -أي معاويةُ- علىٰ الحسنِ مَنْ سَمَّه. قلنا: هذا محالٌ من وجهين:

أحدهما: أنَّه ما كان يتقي من الحسنِ بأسًا، وقد سلَّم الأمر.

الثاني: أنَّه أمرٌ مغيَّبٌ لا يعلمُهُ إلا الله"[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "لم يثبت ذلك ببيِّنةٍ شرعيَّةٍ، أو إقرارٍ معتبَرٍ، ولا نقلٍ يُجْزَمُ به، وهذا ممَّا لا يمكن العلمُ به، فالقولُ به قولٌ بلا علم"[4].

---

(١) كلام يونس في تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٩/ ١٧١)، والبداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٣٤). ومازال الكلام للخطيب.

(٢) كلام محب الدين الخطيب هو من تعليقه علىٰ العواصم من القواصم ص (٢١٥ حتىٰ٢١٧).

(٣) العواصم من القواصم ص(٢٢٠).

(٤) منهاج السنة النبوية (٤/ ٢٣٠).

وبعد أن ذكر ابنُ تيميةَ أنَّ الحسنَ ﷺ مات بالمدينة، وأنَّ معاوية ﷺ كان بالشَّام ذكر للخبر احتمالاتٍ –علىٰ فرض صحَّتِهِ– منها: أنَّ الحسنَ كان مطلاقًا لا يدوم مع امرأة ... إلخ[1].

قال أبو بكر بنُ العربي: "فإن قيل: قد عَهِدَ إلىٰ يزيدَ، وليس بأهلٍ؟!"[2].

قال محبَّ الدِّين الخطيبُ: "إنْ كان مقياسُ الأهليَّةِ لذلك أن يبلُغَ مبلغَ أبي بكرٍ وعمرَ في مجموعِ سجاياهما؛ فهذا ما لم يبْلُغْه خليفةٌ في تاريخ الإسلام، ولا عمرُ بنُ عبد العزيز. وإن طمعنا بالمستحيلِ، وقدَّرنا ظهورَ أبي بكر آخرَ، وعمرَ آخر فلن تُتَاح له البيئةُ كالبيئة التي أتاحها اللهُ لأبي بكر وعمر.

وإن كان مقياسُ الأهليَّة الاستقامةَ في السيرة، والقيامَ بحرمةِ الشريعة، والعملَ بأحكامها، والعدلَ بين الناس، والنظرَ في مصالحهم، والجهادَ في عدوِّهم، وتوسيعَ الآفاق لدعوتِهم، والرفقَ بأفرادِهم وجماعاتِهم؛ فإنَّ يزيدَ يوم تمحّصُ أخبارَهُ، ويقفُ النَّاسُ علىٰ حقيقةِ حاله كما كان في حياته، يتبيَّنُ أنَّه لم يكن دونَ كثيرين ممن تغنَّىٰ التاريخُ بأمجادهم ومحامِدِهم، وأجزل الثناءَ عليهم"[3].

---

(١) منهاج السنة النبوية (٤/ ٢٣٠).

(٢) العواصم من القواصم ص (٢٢١).

(٣) كلام الخطيب هو من تعليقه علىٰ العواصم من القواصم ص (٢٢١).

قال الخطيب: "وشبابُ قريشٍ المعاصرون ليزيد –ممن يحدِّثونَ أنفسهم بولايةِ الأمر لبعض الاعتبارات التي يعرفونها لأنفسهم– كثيرون جدًا، حتىٰ سعيد بن عثمان بن عفان ومن هم دون سعيد، كانوا يطمعون بولاية الأمر بعد معاوية. ومبدأُ الشورىٰ في انتخاب الخليفة أفضلُ بكثيرٍ من مبدأ ولاية العهد، لكنَّ معاويةَ كان يعلمُ بينه وبين نفسه أنَّ فتَح باب الشُّورىٰ في انتخاب من يخلُفُه سيُحْدِثُ في الأمَّةِ مجزرة لا ترقأ فيها الدماءُ إلا بفَناء كل ذي أهلية في قريش لولاية شيء من أمور هذه الأمة، ومعاويةُ أحصف من أن يخفىٰ عليه أن المزايا موزَّعةٌ بين هؤلاء الشباب القرشيين، فإذا امتازَ أحد منهم بشيءٍ منها علىٰ أضرابه وَلِداتِهِ، فإنَّ فيها من يمتازُ عليه بشيءٍ آخرَ منها. غير أن يزيد –مع مشاركته لبعضهم في بعض ما يمتازون به– يمتازُ عليهم بأعظم ما تحتاجُ إليه الدولة –أعني: القوَّةَ العسكريَّةَ التي تؤيِّدُهُ– في تولّي الخلافةِ فتكونَ قوَّةً للإسلام، كما تؤيِّدُهُ إذا أوقع الشيطانُ الفتنةَ علىٰ هذا الكرسيِّ بين المتزاحمين عليه، فيكون ما لا يحبُّ كلُّ مُسْلِمٍ أن يكون.

ولو لم يكن ليزيدَ إلا أخواله من قضاعة وأحلافهم من قبائل اليمن لكان منهم ما لا يجوزُ لبعيد النَّظرِ أن يُسْقِطَهُ من قائمةِ الحساب عندما يُفَكِّرُ في هذه الأمور.

وعن ابن عمر ﷺ أنَّ أخته أمَّ المؤمنين حفصةَ ﷺ نصحت له بأن يسرع بالذهاب للبيعةِ (بيعةِ يزيدَ بولاية العهد)، وقالت: "الحقْ؛ فإنهم يتنظرونَكَ، وأخشىٰ أن يكون في احتباسك عنهم فرقةٌ". فلم تَدَعْهُ حتىٰ ذهب[1].

وأمَّا عن العلم فالذي يلزم منه لمثله في مثل مركزه كان فيه موضعَ الرِّضا وفوق الرضا. روىٰ المدائِنيُّ أنَّ عبدالله بن عباس ﷺ وَفَد إلىٰ معاويةَ، فأمر معاوية ابنه يزيد أن يأتيه فيعزيه في الحسن بن علي، فلما دخل علىٰ ابن عباس رحب به وأكرمه، وجلس عنده بين يديه، فأراد ابن عباس أن يرفع مجلسه فأبىٰ وقال: إنما أجلس مجلس المعزي لا المهني ثم عزاه، فدخلَ يزيدُ علىٰ ابن عبَّاس، وجلس منه مجلس المعزِّي، فلما نهضَ من عنده قال ابنُ عباس: إذا ذهب بنو حربٍ ذهب علماءُ النَّاس[2].

وروىٰ البخاريُّ أنَّ أهلَ المدينة لما خلعوا يزيدَ بن معاويةَ جمعَ ابنُ عمر حشَمَهُ ووَلَدَهُ، وقال: إنِّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: ((يُنْصَبُ لكلِّ غادرٍ لواءً يومَ القيامة)). وإنَّا قد بايعنا هذا الرجلَ علىٰ بيع الله ورسوله، وإنِّي لا أعلمُ غدرًا

(١) أخرجه البخاري (٤١٠٨). والكلام مازال للخطيب.

(٢) نقل القصة ابن كثير في البداية والنهاية (٨/ ٢٢٨) عن المدائني. ومازال الكلام للخطيب.

أعظمَ من أن يبايعَ رجل علىٰ بيع الله ورسولِهِ ثم ينصب له القتالَ، وإنِّي لا أعلم أحدًا منكم خَلَعَهُ ولا بايع في هذا الأمر إلا كانت الفيصلَ بيني وبينه[1].

وهذا الخبر المنيرُ الذي يرويه البخاري في صحيحه يَفْضَحُ الذين زوَّروا الأخبارَ المتناقضة.

فقد جاء عبدالله بن عمر إلىٰ عبدالله بن مطيعٍ[2]، فقالَ ابنُ مطيعٍ: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادَةَ. فقال ابنُ عمر: إنِّي لم آتك لأجلس، أتيتُك لأُحَدِّثك حديثًا سمعت رسول الله ﷺ يقوله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((من خَلَعَ يدًا من طاعة لَقِيَ اللهَ يومَ القيامة لا حُجَّةَ له، ومن ماتَ وليس في عنقه بيعةٌ ماتَ ميتةً جاهليةً))[3].

وكان لمحمَّدِ بن الحنفية مثلُ هذا الموقف من داعيةِ الثورة ابنِ مطيعٍ: فقد مشىٰ عبدُ الله بن مطيع داعيةُ ابنِ الزبير المدينة، مشىٰ هو وأصحابه إلىٰ محمَّدِ ابن الحنفية، فأرادوه علىٰ خلعِ يزيدَ فأبىٰ عليهم، فقال ابنُ مُطِيْعٍ: إنَّ يزيد يشربُ الخمرَ، ويتركُ الصلاةَ، ويتعدَّىٰ حكمَ الكتابِ. فقال لهم: ما رأيتُ منه ما تذكرون، وقد حضرتُه وأقمتُ عنده، فرأيته مواظبًا علىٰ الصَّلاة، متحرِّيًا للخير،

(١) أخرجه البخاري (٧١١١)، وأخرجه مسلم (١٧٣٥) عن ابن عمر مقتصرًا علىٰ اللفظ المرفوع قريبًا من لفظ البخاري. ومازال الكلام للخطيب.

(٢) كان ابن مطيع داعية لابن الزبير، يدعو الناس في المدينة المنورة لبيعته وخلع يزيد.

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥١). ومازال الكلام للخطيب.

يسألُ عن الفقه، ملازمًا للسنَّة. قالوا: فإنَّ ذلك كان منه تصنُّعًا لك، فقال: وما الذي خافَ منِّي أو رجا حتىٰ يُظهِر إليَّ الخشوع، أفأطْلَعَكُم علىٰ ما تذكرون من شربِ الخمر؟ فلئن كان أطلَعَكُم علىٰ ذلك إنَّكُم لشركاؤه، وإن لم يكن أطلعكم فما يحلُّ لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا. قالوا: إنَّه عندنا لحق وإن لم نكن رأيناه، فقال لهم: أبىٰ الله ذلك علىٰ أهل الشهادة فقال: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1]، ولستُ من أمركم في شيءٍ[2]. انتهىٰ كلام محب الدين الخطيب[3].

قال ابن العربي: "قال اللَّيْثُ بنُ سعدٍ: توفِّيَ أميرُ المؤمنين يزيدُ في تاريخ كذا، فسمَّاه الليثُ (أميرَ المؤمنين) بعد ذهاب ملكِهِمْ، وانقراضِ دولتهم"[4].

قال ابن العربي: "وهذا أحمدُ بن حنبل –علىٰ تقشُّفه، وعظيمِ منزلتِهِ في الدِّين، وورَعِهِ– قد أدخلَ عن يزيد بن معاوية في كتاب الزهد أنه كان يقول في خطبته: (إذا مَرِضَ أَحَدُكم مرضًا، فأشْفي ثُمَّ تَمَاثل؛ فلينظرْ إلىٰ أفضل عملٍ عنده فليلزمه، ولينظرْ إلىٰ أسوأ عملٍ عنده فليدعْهُ).

---

(١) الزخرف: ٨٦.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ٢٣٣). ومازال الكلام للخطيب.

(٣) كلام الخطيب هو من تعليقه علىٰ العواصم من القواصم ص (٢٢١ حتىٰ ٢٣٣).

(٤) العواصم من القواصم ص (٢٣٣).

قال: وهذا يدلُّ علىٰ عظيمِ منزلَتِهِ عنده، حتىٰ يُدْخِلَهُ في جُمْلةِ الزُّهَّادِ من الصحابة والتابعين الذين يُقتدىٰ بقولهم، ويُرْعوىٰ من وعظهم. وما أدخلَهُ إلا في جملةِ الصحابة قبل أن يخرجَ إلىٰ ذكر التابعين"[1].

(١) العواصم من القواصم ص (٢٤٥).

## ترجمةُ يزيدَ بنِ معاوية ﷺ

هو: يزيدُ ينُ معاويةَ بنِ أبي سفيان، وأمُّهُ ميسون بنت بَحدل من فروعِ قبيلةِ كلبٍ القضاعية. وُلِدَ سنة ٢٥هـ أو ٢٦هـ، وأبوه أميرُ الشَّام لعثمان ﷺ. بُويعَ بالخلافةِ في حياةِ أبيه ليكونَ وليَّ العهدِ من بعده، ثمَّ تأكد ذلك بعدَ موتِ أبيه في رجب سنة ٦٠هـ، واستمرَّ متولِّيًا حتَّىٰ تُوفِّي سنة ٦٤هـ.

روىٰ عن أبيه، وعنه ابنُهُ خالد، وعبدُ الملِكِ بنُ مروان.

وقد ذكره أبو زُرْعةَ الدِّمشقي في الطبقةِ التي تلي الصحابة، وهي العليا، وقال: له أحاديث.

وكان كثيرَ اللَّحم، عظيمَ الجسم، كثيرَ الشَّعر، جميلًا، طويلًا، ضخمَ الهامةِ، محدَّد الأصابعِ غليظها، مجدَّرًا[1].

وهو أوَّلُ من غزا القسطنطينيةَ سنة ٤٩هـ أو ٥٠هـ، ثم خرج في تلك السَّنة، وقد ثبت في الحديث أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: ((أوَّلُ جيشٍ يغزو مدينةَ قيصر مغفورٌ له))[2]. وهو الجيشُ الثَّاني الذي رآه رسولُ اللهِ ﷺ في منامه عند أمِّ حرام، فقالتْ: "ادعُ اللهَ أن يجعلني منهم". فقال: ((أنت من الأوَّلين)) يعني: جيشَ معاويةَ حين غزا قُبْرُصَ ففتحها سنة ٢٧ أيامَ عثمان، وكان معهم أم حرام،

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ٢٢٦-٢٢٧). تاريخ دمشق لابن عساكر (٦٥/ ٣٩٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٢٤).

فماتت هنالك بقبرص، ثم كان أميرُ الجيش الثاني يزيدَ، ولم تُدْرِكْ أمُّ حرامٍ جيشَ يزيدَ هذا، وهذا من أعظم دلائل النبوة[1].

وقال النبي ﷺ: (خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)[2].

وَرُوِيَ أنَّ قرنَ الرسول ﷺ (١٢٠) سنة، وكانَ آخرُهُ موتَ يزيد[3].

وقال ابنُ أبي الدنيا: إنَّ معاويةَ قال ليزيد: كيف تراك فاعلًا إن وليت؟ قال: يمتعُ الله بك يا أميرَ المؤمنين. قال: لَتُخْبِرَنِّي. قال: كنتُ –والله – يا أبتِ عاملًا فيهم عملَ عمر بن الخطاب، فقال لمعاويةَ: سبحانَ الله: يا بُنَيَّ، واللهِ لقد جهدتُ علىٰ سيرةِ عثمان بن عفان، فما أطلقتُها، فكيف بك وسيرةَ عمر؟[4].

بُويعَ يزيدُ وعُمُرُه أربعٌ وثلاثون سنة[5]، فأقرَّ نوَّابَ أبيه علىٰ الأقاليم ولم يعزِلْ واحدًا منهم، وهذا من ذكائه.

تربَّىٰ علىٰ يد والده معاويةَ –كاتبِ الوحي، وخليفة المسلمين بالإجماع– تربيةً عظيمةً، ولمَّا أرادَ معاوية ﷺ غزو القسطنطينية ولاَّه قيادةَ الجيش الذي

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ٢٢٩) وقد تقدم معناه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥).

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ٢٢٩).

(٤) العواصم من القواصمالبداية والنهاية لابن كثير (٨/ ٢٢٩) وقد تقدم معناه، ص٢٢٩-٢٣٠. .

(٥) الثقات لابن حبان (٢/ ٣٠٦).

حاصرَ القسطنطينيةَ، وفي الجيشِ أبو أيّوبَ الأنصاريُّ والحسينُ وعبدُ الله بنُ الزبير وعددٌ من الصحابة ﷺ.

كان فصيحًا بليغًا، قيل لسعيدِ بن المسيب: من أبلغُ النَّاسِ؟ قال: رسولُ الله ﷺ فقيلَ له: ليس عن هذا نسألك. قال: معاويةُ، وابنُه، وسعيدُ بن العاص، وابنُه[1].

كان عالمًا، شهدَ له بذلك عبدُ الله بنُ عبَّاس ﷺ، فقد وفد ابنُ عبَّاس علىٰ معاوية، وجاء يزيدُ وعَزَّاه في سيدنا الحسن ﷺ، فلما نهضَ يزيدُ من عنده قال: إذا ذهب بنو حربٍ ذهبَ علماءُ النّاس[2].

وكان عالمًا، عادلًا، زاهدًا، وكان حريصًا علىٰ الإصلاح. قال عمر فرّوخ: "كان يزيد خليفةً عمرانيًا، وملكًا إداريًا، أتمَّ نظامَ الرِّي في الغوطة، وحفرَ فيها القناةَ التي تُدعىٰ (نهر يزيد)"[3].

وكان كريمًا، قدم عليه عبدُ الله بن جعفر –أحدُ أجواد العرب–، فقال له: كم كان أمير المؤمنين يعطيك كل سنة؟ قال: ألف ألف. قال: قد أضعفناها لك.

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ ص(١٦٦).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ٢٢٨). وقد سبقت القصة معنا بتفصيل أكثر.

(٣) تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية ص(١٣٣).

قال ابن جعفر: فداك أبي وأمي، ما قلتُها لأحدٍ قبلك، ولا أقولها لأحد بعدك، فقال يزيد: ولا أعطاكها أحد قبلي ولا يعطيكها أحد بعدي[1].

وكان سببُ تولية معاويةَ ﷺ ابنَه يزيدَ الخلافة: الفِتَنَ التي تلاحقتْ يتلو بعضُها بعضًا، وكان من الصعوبةِ أن يلتقيَ المسلمون علىٰ خليفةٍ واحدٍ، والقياداتُ المتكافئةُ في الإمكانات قد يضرِبُ بعضُها بعضًا، فتقعُ الفتنُ والملاحمُ بين المسلمين مرَّةً ثانيةً.

ورأىٰ معاويةُ ﷺ أنَّ ابنه قد تمرَّس بالسُّلطةِ، وخَبرَ أساليبها، وقادَ الجيوشَ، وحاصَرَ العدوّ، وعرفَ نكايته وأساليبَه، وهذا كان كافيًا لقناعةِ معاوية ﷺ لاختيار يزيد. ولهذا قال لعبد الله بنِ عمر ﷺ: "إنِّي خفتُ أن أذرَ الرَّعيَّةَ من بعدي كالغنمِ المطيرة ليس لها راعٍ"[2]. ولقد صدَّق الواقعُ حدسَ معاوية وظنَّه ﷺ.

بعد وفاةِ يزيدَ، ماذا كان الأمرُ؟ حصلت بيعتان لعبدِ الله بن الزبير في الحجازِ والعراق، ولمروان بنِ الحكم في الشَّام، وكان ما كان.

وإنَّ معاويةَ استشارَ في يزيدَ كبارَ دولته، وطلبَ من الوُلاة أن يُوفِدوا إليه وفودَ أمصارهم لعقد البيعةِ، فمنهم من أشار بالتَّريُّثِ، ومنهم من أشارَ عليه بأخذِ

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٩/ ٣٣).

(٢) كلمة معاوية ﷺ في البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ٨٠).

البيعة له[1]. فوفَد عليه وفدُ المدينة، وعليه محمَّدُ بنُ عمروِ بنِ حزم، ووفدُ البصرةِ وعليه الأحنفُ بن قيسٍ التميميُّ، ووفدُ الكوفةِ وعليه موسىٰ بنُ المغيرة بنِ شعبةَ، أما مصر فقد اكتفىٰ الوالي هناك بأخذِ البيعةِ من النَّاس.

ولمَّا اجتمعتِ الوفودُ في دمشقَ جلسَ لهم معاويةُ ﷺ، فتكلَّمَ، فعظَّم أمرَ الإسلام، وحُرْمةَ الخلافةِ وحقَّها، وما أَمَرَ اللهُ به طاعةِ ولاةِ الأمر، ثم ذكر يزيدَ وفضلَهُ وعلمَهُ بالسِّياسةِ وعَرَض بيعَتَهُ.

فقام الخطباءُ واحدٌ بعد آخرَ يؤيِّدون اختيارَ يزيد، وتكلَّمَ الأحنفُ ابنُ قيس فقالَ: يا أميرَ المؤمنين، أنتمْ أعلمُ بيزيدَ في ليلِه ونهارِه، وسرِّه وعلانيَّتِه، ومدخلِه ومخرجِه، فإن كنتَ تعلمه لله تعالىٰ وللأمة رضًا فلا تشاوِرِ النَّاسَ فيه، وإن كنتَ تعلمُ فيه غيرَ ذلك فلا تزوِّدْهُ الدنيا وأنت صائر إلىٰ الآخرة[2].

ثُمَّ قامَ معاويةُ فخطبَ خطبته ومنها: اللهمَّ إن كنتُ إنَّما عهدتُ ليزيدَ لما رأيتُ من فضله، فبلّغْهُ ما أمَّلتُ وأعِنْهُ، وإن كنتَ تعلمُ أنّما حملني حبُّ الوالد لولده، وأنَّه ليس لما صنعتُ به أهلًا، فاقبضْهُ قبل أن يبلغَ ذلك[3].

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٣٠٢). تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٨/ ٢١٢).

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير (٣/ ٣٥٢).

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص(١٥٦).

وإنَّ معاوية ضَبَطَ البيعةَ ليزيدَ من أهلِ المدينة، وتمَّتِ البيعةُ له من الجميعِ علىٰ أرجح الأقوال[1]. وقيل: إن الحسينَ وعبدَ الله بنَ الزبير سكتا، فلم يُبايعا[2].

* * *

(١) يأتي في الكلام تحت العنوان التالي مأخذ ترجيح الشيخ رحمه الله.

(٢) قال د. يوسف العش معلقا علىٰ بعض تفاصيل رواية أخذ معاوية ﷺ البيعة لابنه: وإذا قبلناها نراها تخالف طبع معاوية، فهو لم يكن ليجرد ألف فارس يسير بهم ويجبر الصاحبة بهذه الرواية التمثيلية. والذي يبقىٰ أمامنا هو أن نفترض أنه سافر إلىٰ الحجاز، ووجد أسلوبا حكيما يبايع فيه الناس ابنه بمحضر من هؤلاء النفر دون أن يظهروا عدم رضاهم عن بيعته، ودون أن يبايعوه بأنفسهم. الدولة الأموية ص(١٦٤).

أخبارُ الحسينِ بنِ عليٍّ ﷺ

الحسينُ أدركَ من حياةِ النَّبيِّ ﷺ خمسَ سنين، وسيِّدُنا الحسن ستًّا ونيّفًا.

الحسنُ وُلِدَ سنةَ ثلاثٍ من الهجرة، ووُلِدَ الحسينُ بعده، وكان بينهما ﷺ طهرٌ ومدَّةُ حملٍ، ووُلِدَ لخمسٍ من شعبان سنةَ أربعٍ من الهجرة[1].

ولمَّا استقرَّتِ الخلافةُ لمعاويةَ ﷺ، كان الحسينُ يتردَّدُ عليه مع أخيه الحسنِ، فيكرِمُهُمَا إكرامًا زائدًا، ويقولُ لهما: مرحبًا وأهلًا، ويعطيهما عطاءً جزيلًا، وقد أطلقَ لهما في يومٍ واحدٍ مائتي ألف درهم، وقال: خذاها وأنا ابنُ هند، واللهِ لا يعطيكُماها أحدٌ قبلي ولا بعدي. فقالَ الحسينُ: والله لن تعطيَ أنت ولا أحدٌ قبلَكَ ولا بعدَكَ رجلًا أفضلَ منَّا[2].

ولمَّا تُوفِّيَ الحسنُ كان الحسينُ يَفِدُ إلىٰ معاويةَ في كلِّ عامٍ، فيعطيه ويكرِمُه.

وقد كانَ في الجيشِ الذي غزا القسطنطينيةَ مع ابنِ معاوية يزيدُ في سنة ٥١هـ[3].

وقد جاءَ في وصيَّةِ معاويةَ ليزيد بشأنِ الحسين بن علي ﷺ ما يأتي:

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٣/ ٢٨٠).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٥٠). تاريخ دمشق لابن عساكر (١٤/ ١١٣).

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٥١).

انظر حسينَ بنَ علي بنِ فاطمةَ بنتِ رسولِ الله ﷺ، فإنَّهُ أحبُّ النَّاسِ إلىٰ النَّاسِ؛ فَصِلْ رَحِمَه وارفُقْ به يصلح لك أمره، فإن يكن منه شيءٌ فإنِّي أرجو أن يكفيكَه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه[1].

وتُوفِّي معاويةُ ليلةَ النِّصف من رجب سنةَ ستين للهجرة، وبايَع الناسُ يزيدَ.

وقد كانَ معاويةُ ﷺ أخذَ البيعةَ له في حياته من ابنِ عمرَ وابنِ عبَّاسٍ، ويظهر من كتابٍ للحسين أنَّهُ قد بايع هو وابنُ الزبير أيضًا ﷺ.

فقد كتبَ معاويةُ للحسين: إنَّ من أعطىٰ الله صفقة يمينه وعهده لجديرٌ بالوفاء، وقد أُنْبئتُ أنَّ قومًا من أهل الكوفة قد دعوك إلىٰ الشِّقاقِ، وأهلُ العراق مَنْ قد جَرَّبْتَ، قد أفسدوا علىٰ أبيك وأخيك، فاتَّقِ اللهَ واذكرِ الميثاقَ فإنَّكَ متىٰ تَكِدْني أَكِدْكَ.

فكتبَ إليه الحسينُ: أتاني كتابُك، وأنا بغيرِ الذي بلَغَكَ عنِّي جديرٌ، والحسناتُ لا يهدي لها إلا اللهُ، وما أردتُ لك محاربةً، ولا عليكَ خلافًا، وقد جاء أيضًا في هذا الكتاب: (وما أظنُّ لي عند الله عذرًا في ترك جهادك، وما أعلمُ فتنةً أعظمَ من ولايتك أمر هذه الأمة)[2].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٦٢).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٦٢). تاريخ دمشق لابن عساكر (١٤/ ٢٠٥).

ولما بويع يزيدُ كلَّف الوليدَ بن عتبةَ بنِ أبي سفيان بأخذ البيعة وهو علىٰ المدينة، قال لهُ: ادعُ النَّاسَ فبايعهم، وابدأ بوجوه قريشٍ، وليكن أوَّل ما تبدأ به الحسين بن علي؛ فإنَّ أميرَ المؤمنين عهد إليَّ في أمره الرِّفقَ به واستصلاحَه.

فَبَعَثَ الوليدُ من ساعتِهِ نصفَ اللَّيلِ إلىٰ الحُسينِ بنِ عليٍّ وعبدِ الله بن الزبير، فأخبَرَهُما بوفاةِ معاويةَ، ودعاهما إلىٰ البيعةِ ليزيدَ بنِ معاوية، فقالا: إلىٰ أن نُصْبحَ وننظرَ ما يصنعُ النَّاسَ، وخرجا من ليلتهما إلىٰ مكَّةَ، ولقيَهُما عبدُ الله بنُ عمر وعبدُ الله بنُ عباسٍ وابنُ أبي ربيعة بالأبواء منصرفين من العُمْرةِ، فقال لهما عبدُ الله بنُ عمر: أذكِّركُما اللهَ إلاَّ رجعتُما، فدخلتُما في صالحِ ما يَدْخُلُ فيه النَّاسُ، وتنظرا فإن اجتمعَ النَّاسُ عليه فلم تَشُذَّا، وإن افترقوا عليه كان الذي تريدان[1].

خرج الحسينُ ﷺ ومعه من معه، وبعثَ عبيدُ اللهِ بنُ زيادٍ عُمَرَ بن سعدٍ بن أبي وقاص لقتالهم. فقال له الحسينُ: يا عمرُ، اختر بي إحدىٰ ثلاثِ خصالٍ: إما أن تترُكَنِي أرجعُ كما جئتُ، فإن أبيتَ هذه فسيِّرني إلىٰ يزيد، فأضعَ يدي في يده، فيحكم فيَّ ما رأىٰ، فإن أبيت هذه فسيِّرني إلىٰ التُّرك فأقاتلهم حتىٰ أموت.

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٦٢).

فأرسلَ إلىٰ ابنِ زيادٍ بذلك، فهمَّ أن يسيِّرَهُ إلىٰ يزيدَ[1]، فقال شِمْرُ بن ذي الجَوشَن: لا؛ إلاَّ أنْ ينزِل علىٰ حُكْمِكَ[2]، فأرسل إلىٰ الحسين بذلك، فقال الحسينُ: واللهِ لا أفعلُ. وأبطأَ عمرُ عن قتاله، (فأرسلَ ابنُ زيادٍ شِمْرَ بن ذي الجوشن، وقال له: إن تقدَّمَ عمرُ فقاتِلْ، وإلاَّ فاقتلْهُ، وكُنْ مكانَهُ، فقد ولَّيتُكَ الإمرةَ)[3].

وكان مع عمرَ قريبٌ من ثلاثين رجلًا من أعيانِ أهل الكوفةِ، فقالوا له: يعرضُ عليكم ابنُ بنتِ رسولِ الله ﷺ ثلاثَ خصالٍ، فلا تقبلوا منها شيئًا؟ فتحوَّلوا مع الحسين يقاتلون معه[4]. وقُتِل الحسين ﷺ يوم عاشوراء سنة ٦١هـ.

وكذلك الحُرُّ بنُ يزيد انحاز إلىٰ الحسين، وعمرُ بن سعد بقيَ يقاتل، وقَتَلَ الحسينَ جماعةٌ. هكذا رُوِيَ، واللهُ أعلم[5]. بل أكثر الأئمة قديمًا وحديثًا كارهٌ ما

(١) جاء في تاريخ الطبري (٤/ ٤١٤) أن ابن زياد لما قرأ كتاب عمر قال: "هذا كتاب رجل ناصح لأميره، مشفق علىٰ قومه، نعم قد قبلت".

(٢) جاء في تاريخ الطبري (٤/ ٤١٤) أن شمر قال أيضا: "والله لقد بلغني أن حسينا وعمر بن سعد يجلسان بين العسكرين فيتحدثان عامة الليل". فقال له ابن زياد: "نعم ما رأيت! الرأي رأيك".

(٣) تاريخ الطبري (٤/ ٤١٤) عن أبي مخنف عن سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم. قال المؤلف: "ما بين القوسين من الدسِّ وهذا رأيي، وأرجو أن يكونَ صوابًا لأن الناقل هو شمر".

(٤) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٧٠). تاريخ دمشق لابن عساكر (١٤/ ٢٢٠).

(٥) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٨٨).

وقعَ من قتلِهِ وقتلِ أصحابِهِ سوىٰ شرذمة قليلة من أهل الكوفة -قبَّحَهُمُ اللهُ-، وأكثرُهُمْ كانوا كاتَبُوهُ ليتوصَّلوا به إلىٰ أغراضِهِم ومقاصِدِهم الفاسدة.

لم يأمرْ يزيدُ بقتلِ الحسين، ولا حُمِلَ رأسُهُ إليه، ولا نكَتَ بالقضيبِ علىٰ ثناياه، بل الذي جرىٰ ذلك منه هو عُبَيْدُ اللهِ بنُ زيادٍ[1]، ولا طيَّفَ برأسه في الدنيا، ولا سُبِيَ أحدٌ من أهلِ الحسين.

وقال الغزاليُّ: "لا يجوز لعن المسلم أصلًا... ويزيد صح إسلامه، وما صح قتله الحسين ﷺ ولا أمره ولا رضاه بذلك، ومهما لم يصح ذلك منه، فلا يجوز أن يظن ذلك به، وأمَّا الترحُّمُ عليه فجائزٌ، بل هو مستحبٌّ"[2].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "كان بالعراقِ طائفتان: طائفةُ النَّواصبِ تُبْغِضُ عليًّا، وتَشْتُمُهُ، وكان منهم الحجاج بن يوسف، وطائفةٌ من الشيعة تُظْهِرُ موالاةَ أهلِ البيتِ منهم المختارُ بن أبي عبيد الثَّقَفِي.

وكان المختار أظهر أولًا التَّشيُّعَ والانتصار للحسينِ حتىٰ قتلَ الأميرَ الذي أمر بقتل الحسين وأحضرَ رأسَهُ إليه ونكتَ بالقضيبِ علىٰ ثناياه: عبيد الله بن زياد.

---

(١) صحيح البخاري (٣٧٤٨)، والترمذي (٣٧٧٨).

(٢) نقل ذلك عنه ابن خلكان في وفيات الأعيان (٣/ ٢٨٨).

ثم أظهر أنه يوحىٰ إليه، وأن جبريل يأتيه، حتىٰ بعث ابن الزبير إليه أخاه مصعبًا فقتله وقتل خلقًا من أصحابه. ثم جاء عبد الملك بن مروان فقتل مصعب بن الزبير"[1].

نُبَذٌ مُهمَّة منقولةٌ من البدايةِ والنَّهايةِ لابنِ كثيرٍ بشأنِ خروجِ الحسين[2]:

قال ابنُ الزبيرِ للحسين: أينَ تذهبُ؟ إلىٰ قومٍ قتلوا أباك، وأخرجوا أخاك[3]؟

قال عبد الله بنُ مطيع للحسين: إنِّي فداؤُك وأبي وأُمِّي، فأمْتِعْنَا بنفْسِكَ، ولا تسرْ إلىٰ العراق[4].

وقال أبو سعيدٍ الخدريُّ: غلبني الحسينُ بالخروجِ، وقلتُ له: اتَّقِ اللهَ في نَفْسِكَ، والزمْ بيتَكَ، ولا تَخْرُجْ علىٰ إمامِكَ[5].

وقال جابرُ بنُ عبدِ اللهِ: كلَّمْتُ حسينًا فقلتُ: اتَّقِ اللهَ ولا تضربِ النَّاسَ بعضَهُمْ ببعضٍ، فواللهِ ما حمدتُم ما صنعتم. فعصاني[6].

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – المجموعة الخامسة ص(١٥٠).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٦١-١٦٥).

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٦١).

(٤) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٦٢).

(٥) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٦٣).

(٦) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٦٣).

وقال سعيدُ بنُ المسيب: لو أنَّ حُسينًا لم يخرجْ لكان خيرًا له[1].

وكتبَ إليه والي مكَّةَ عمرو بنُ سعيدِ بنِ العاص: إنِّي أسألُ اللهَ أن يلهِمَك رُشْدَكَ، وأن يصرِفَكَ عما يُرْديكَ، بلغني أنَّكَ قد عزمت علىٰ الشخوصِ علىٰ العراق، وإني أعيذُكَ باللهِ من الشِّقاقِ، فإنَّك إن كنتَ خائفًا فلكَ عندي الأمانُ والبرُّ والصلةُ[2].

وكتبَ يزيدُ بنُ معاويةَ إلىٰ ابنِ عبَّاسٍ يخبرُه بخروجِ الحسين إلىٰ مكَّةَ، ويقول: نحسب أنه قد جاءَهُ رجالٌ من أهل المشرقِ فمنَّوه الخلافةَ، وعندك منهم خبرٌ وتجربةٌ، فإن كان قد فعلَ فقد قَطعَ راسخَ القرابةِ، وأنت كبيرُ أهل بيتِكَ والمنظورُ إليه، فاكفُفْهُ عن السَّعيِ في الفُرْقَةِ[3].

وكتبَ مروانُ إلىٰ ابنِ زيادٍ: فإنَّ الحسينَ قد توجَّهَ إليك، وهو الحسينُ بنُ فاطمةَ وفاطمةُ بنتُ رسولِ اللهِ ﷺ. وتاللهِ ما أحدٌ يُسلمُهُ اللهُ أحبَّ إلينا من الحسين، فإيَّاك أن تُهيِّجَ علىٰ نفسِكَ ما لا يسدُّه شيءٌ، ولا تنساهُ العامَّةُ، ولا تدعُ ذكرَهُ آخرَ الدهر، والسلام[4].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٦٣).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٦٤).

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٦٤).

(٤) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٦٥).

ثم قال ابنُ كثيرٍ: "قلتُ: والصَّحيحُ أنَّهُ لم يبعث برأسِ الحسينِ إلىٰ الشَّام"[1].

وكتبَ يزيد إلىٰ ابنِ زياد: قد بلغني أنَّ الحسينَ قد توجَّهَ نحو العراق، فضع المناظِرَ والمسالحَ واحترسْ، واحبس علىٰ الظِّنَّةِ، وخُذْ علىٰ التُّهمةِ، غير أن لا تقتلَ إلا من قاتلك، واكتبْ إليَّ في كلِّ ما يَحْدُثُ من خبرٍ، والسلام[2].

نهضَ عبدُ الله بنُ جعفرٍ إلىٰ عمرو بن سعيد والي زيد علىٰ مكَّةَ، فقالَ له: اكتبْ إلىٰ الحسين كتابًا تجعلُ فيه الأمانَ، وتُمنِّيه في البرِّ والصِّلةِ، وتوثِّق له في كتابك، وتسأله الرجوع، لعله يطمئنُّ إلىٰ ذلك فيرجع. فقالَ له عمرو: اكتبْ عنِّي ما شئتَ، وائتني به حتىٰ أختمَهُ. فكتبَ ابنُ جعفر علىٰ لسان عمرو بن سعيدٍ ما أرادَ عبدُ الله، ثم جاءَ بالكتابِ إلىٰ عمروٍ، فختَمَهُ بخاتمه، وقال عبدُ الله لعمروٍ: ابعث معي أمانَكَ. فبعثَ معه أخاه يحيىٰ، فانصرفا حتىٰ لقيا الحسين، فقرأَ عليه الكتابَ، فأبىٰ أن يرجِعَ. وقال: (إنِّي رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ في المنامِ، وقد أمرني فيها بأمرٍ، وأنا ماضٍ له. فقالا. وما تلك الرؤيا؟ قال: لا أحدِّثُ بها أحدًا حتىٰ ألقىٰ ربي عز وجل)[3].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٦٥)، فصحح هذه الرواية، واعتبر الرواية الأخرىٰ هي الأظهر في (٨/ ١٩٢)، والأشهر عند أهل التاريخ والسير في (٨/ ٢٠٤).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٦٥). تاريخ الطبري (٥/ ٣٨١).

(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٣٨٨). البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٦٧).

والطبريُّ حذفَ الكلماتِ التي بين القوسين، أي لم يذكرها[1].

وقال ابنُ عمر للحسين بعد أن عَمِلَ علىٰ إثنائه، وأبىٰ، فاعتنقَهُ وبكىٰ، وقال: أستودِعُكَ اللهَ من قتيلٍ[2].

وممَّا قال ابنُ عبَّاسٍ للحسين: فإن كنتَ ولا بُدَّ سائرًا، فلا تسرْ بأهلك وأولادِك، فواللهِ إنِّي خائفٌ أن تُقْتَل كما قُتِل عثمانُ، ونساؤه وأولادُه ينظرونَ إليه، فواللهِ الذي لا إله إلا هو لو أعلمُ أنِّي إذا أخذت بشعرِك وناصيتك حتىٰ يجتمعَ عليَّ وعليك النَّاسُ أطعتني وأقمتَ؛ لفعلتُ ذلك[3].

ولمَّا خرجَ الحسينُ من مكَّةَ اعترضَهُ رسلُ عمرو بن سعيد –أميرِ مكة– عليهم أخوه يحيىٰ بنُ سعيد، فقالوا له: انصرفْ أين تُريدُ؟ فأبىٰ عليهم، ومضىٰ، فناداه: يا حسينُ، ألا تتقي اللهَ تخرجُ من الجماعة، وتفرِّقُ بين الأُمَّةِ بعد اجتماع الكلمة؟ فتأوَّلَ الحسينُ هذه الآية ﴿لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾[4].

---

(١) المؤلف ساق رواية الواقدي من ابن كثير، غير أن رواية الواقدي عن ابن جرير لم تذكر الرؤيا، ولذلك قال المؤلف: لم يذكرها الطبري. فابن جرير ذكر الرؤيا في رواية أبي مخنف، وابن كثير ذكر الرؤيا في رواية أبي مخنف، ورواية الواقدي هي التي اعتمدها المؤلف.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٤/ ٢٠١). البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٦٠).

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٦٠). تاريخ الطبري (٥/ ٣٨٤).

(٤) يونس: ٤١. والقصة في البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٦٦)، وتاريخ الطبري (٥/ ٣٨٥).

وقال ابنُ العربيِّ بشأن خروجِ الحسين بن علي ﷺ:

"ذكر المؤرِّخونَ أن كُتُبَ أهل الكوفة وردتْ علىٰ الحسين، وأنَّه أرسل مسلمَ بنَ عقيلٍ ابنَ عمِّهِ إليهم ليأخذَ عليهم البيعة، وينظرَ هو في اتِّباعه، فنهاهُ ابنُ عبَّاسٍ، وأعلمه أنَّهم خذلوا أباه، وأخاه، وأشار عليه ابنُ الزبير ﷺ بالخروجِ، فخرجَ"[1].

قال محب الدين الخطيب: "وقد جاء الحسينَ قبل خروجه رسائلُ مسلمِ بن عقيل بأنَّ اثني عشر ألفًا بايعوه علىٰ الموت، فخرجَ عقب موسمِ الحجِّ إلىٰ الكوفةِ، ولم يشجَّعْهُ علىٰ الخروجِ إلا ابنُ الزبير[2].

وأما المشفقون علىٰ الحسين من هذا الخروج المشؤوم، فهم جميعُ أحبائه، وذوو قرابته، والناصحون له، والمتحرون سُنَّةَ الإسلام في مثل هذا الموقف.

كلُّ هؤلاء نهوه عن مسيره، وحذَّروه من عواقبه، وفي طليعَتِهم: محمَّدُ بنُ الحنفية، وابنُ عبَّاس، وعبدُ الله بنُ جعفر.

وقد بلغ الأمرُ بعبد الله بن جعفر، أن حمل والي يزيد علىٰ مكَّةَ، وهو عمرو بن سعيد بن العاص، علىٰ أن يكتبَ للحسين كتابَ الأمان، ويمنِّيه فيه البِرَّ

(١) العواصم من القواصم ص (٢٣٦).

(٢) من تعليق محب الدين الخطيب علىٰ العواصم من القواصم ص(٢٣٦).

والصَّلةَ، ويسأله الرجوعَ، فأجابه والي مكَّةَ إلىٰ كلِّ ما طلب، وقال له: اكتبْ ما تشاءُ، وأنا أختم علىٰ الكتاب، فكتَبَهُ، وختمه الوالي، وبعثه إلىٰ الحسين مع أخيه يحيىٰ بن سعيد بن العاص، وذهب عبدُ الله بنُ جعفر مع يحيىٰ، وجَهَدا بالحسين أن يثنياه عن السفر فأبىٰ.

بل إنَّ عبد الله بنَ مطيع داعيةَ ابنِ الزبير كان من ناصحيه بعقلٍ وإخلاصٍ، وعمرَ بن عبد الرحمن بنِ الحارثِ بنِ هشام المخزومي، والحارثُ بنُ خالد بنِ العاص بن هشام لم يألُوَاه نصحًا، وحتىٰ الفرزدق الشاعر قال له: قلوبُ النَّاسِ معك، وسيوفُهم مع بني أميَّةَ.

فلم يُفِدْ شيءٌ من هذه الجهود في تحويلِ الحسين عن السفر الذي كان مشؤومًا عليه، وعلىٰ الإسلام، وعلىٰ الأمّةِ الإسلاميَّةِ، إلىٰ هذا اليوم، وإلىٰ قيام الساعة. وكلُّ هذا بجناية شيعته الذين حَرَّضوه بجهلٍ وغرورٍ، رغبةً في الفتنة والفُرْقةِ والشرِّ، ثم خذلوه بجُبْنٍ ونذالةٍ وخيانةٍ وغدرٍ.

ولم يكتفِ ورَثتُهم بما فعلَ أسلافُهُمْ، فعكفوا علىٰ تشويهِ التاريخِ، وتحريفِ الحقائقِ، وردِّ الأمورِ علىٰ أدبارها.

زد علىٰ ذلك أن مسلمَ بن عقيل ضلَّ في الطريق، وماتَ من معه من العطش، فكتب إلىٰ الحسين يستعفيه، فأجابه: خشيت ألا يكون حملك علىٰ الاستعفاءِ إلا الجبن. فمضىٰ مسلمٌ إلىٰ الكوفةِ، وأخذَ البيعة من اثني عشرَ ألفًا،

لم يلبثوا عندما سمعوا بمقدَم عبيد الله بن زياد أن تخلَّوا عنه وصارُوا هباءً، ثم قُبِضَ عليه وقُتِلَ[1].

(١) من تعليق محب الدين الخطيب علىٰ العواصم من القواصم ص(٢٣٦). وتنظر قصة مسلم بن عقيل مفصلة في تاريخ الطبري (٥/ ٣٤٨ فما بعد).

موقعةُ الحرَّةِ

عزلَ يزيدُ الوليدَ بنَ عتبةَ بنِ أبي سفيان (وقد كان يزيدُ عزل عمرو بنَ سعيدِ ابنِ العاص وولَّىٰ الوليد)، وولَّىٰ مكانه عثمانَ بنَ محمَّدٍ بن أبي سفيان، فسارَ إلىٰ الحجاز، فإذا هو فتىٰ غِرٌّ حَدَثٌ غَمْرٌ لم يمارس الأمورَ، فطمعوا فيه. ولمَّا دخل المدينة بعثَ إلىٰ يزيد وفدًا فيهم عبد الله بنُ حنظلة الغسيل الأنصاري، وعبدُ الله بنُ أبي عمرو بنِ حفص بنِ المغيرة الحضرميّ، والمنذرُ بنُ الزبير، ورجالٌ كثيرٌ من أشراف المدينة، فقدموا علىٰ يزيد فأكرمهم وأحسنَ إليهم وعظم جوائِزَهم (أجاز كل واحدٍ منهم بمائة ألف)، ثم انصرفوا راجعين إلىٰ المدينة.

ولما رجَعَ وفدُ المدينة إليها أظهروا شَتْمَ يزيد وعيبَه، وخلعوه، فتابعهم النَّاسُ علىٰ خلعِهِ، وبايعوا عبدَ الله بن حنظلةَ الغسيلَ علىٰ الموت، وأنكر عليهم عبدُ الله بنُ عمر ﷺ.

ثم إنَّ يزيدَ بعث إلىٰ أهل المدينةِ النُّعمانَ بن بشير ينهاهم عما صنعوا، ويحذِّرَهم غِبَّ ذلك، ويأمُرَهُم بالرُّجوعِ إلىٰ السَّمع والطاعة، ولزومِ الجماعة، وإنَّه خَوَّفهم الفتنةَ وعواقبَ الأمور، وما يتوقَّعه من القتلِ والسَّلبِ، فعصَوْهُ ولم يسمَعُوا منه، فانصرفَ، وكان الأمرُ -والله- كما قال سواء[1].

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ٢١٦) باختصار. تاريخ الطبري (٥/ ٤٨١).

اجتمعوا علىٰ إخراج عامل يزيد من بين أظهرهم، وعلىٰ إجلاءِ بني أمية من المدينةِ، فاجتمعتْ بنو أمية في دار مروان بن الحكم، وأحاطَ بهم أهلُ المدينة يحاصرونهم.

واعتزلَ النَّاسَ عليُّ بن الحسين زين العابدين وعبدُ الله بن عمر، فإنَّهما لم يخلعا يزيد، ولا أحدٌ من بيت ابن عمر، وقد قال ابنُ عمر لأهله: لا يخلعنَّ أحدٌ منكم يزيد فتكون الفيصلَ بيني وبينه. وأنكرَ علىٰ أهل المدينة مبايعتهم لابنِ مطيع (علىٰ القرشيين) وابنِ حنظلة (علىٰ الأنصار) علىٰ الموتِ وقال: إنّما كنا نبايعُ رسول الله ﷺ علىٰ أن لا نَفِرَّ.

كذلك لم يخلعْ يزيدَ أحدٌ من بني عبد المطلب، وقد سُئِل مُحمَّدُ بنُ الحنفية في ذلك، فامتنع من ذلك أشدَّ الامتناع، وناظَرَهُمْ وجادَلَهُمْ في يزيد وردَّ عليهم ما اتَّهموا يزيد به من شربِ الخمرِ، وتركه بعض الصلوات... إلخ[1].

وكتبَ بنو أميَّةَ إلىٰ يزيد بما هم فيه من الحَصْرِ والإهانةِ والجوعِ، والعطشِ، وأنَّه إن لم يَبْعَثْ إليهم من يُنْقِذُهُم ممَّا هم فيه استُئصلوا عن آخرهم.

فبعث مسلم بن عقبة المزني ومعه (١٠) أو (١٢) أو (١٥) ألفًا، وقال: (ادعُ القومَ ثلاثًا، فإنْ رَجَعُوا إلىٰ الطَّاعةِ فاقبلْ منهم، وكُفَّ عنهم، وإلا فاستعن بالله وقاتلهم. وإذا ظهرت عليهم، فأبح المدينة ثلاثًا، ثم اكفف عن الناس،

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ٢١٨).

وانظر إلىٰ علي بن الحسين، فاكفف عنه واستوص به خيرًا، وأَدن مجلسه؛ فإنه لم يدخل في شيء مما دخلوا فيه). ووقع ما وقع[1].

إلا أن ابن جرير له رواية للأخبار علىٰ غير ما رواها أبو مخنف، وليس فيها إباحة المدينة:

فقد ذَكَرَ وَفْدَ المدينة، وخَلْعَهُم يزيد، وخروجَهم لقتال أهل الشام، وابتدأ القتال فأقحم عليهم بنو حارثة من خلفهم في جوف المدينة، فكانت الهزيمة، وكان من أصيب في الخندق أكثر ممن قتل، ودخل مسلم المدينة وأخذ البيعة ليزيد[2].

والخلاف في جواز لعن يزيد معروف، فرأىٰ البعض جواز لعنه، ومنع من ذلك آخرون، وقالوا: إن كان فاسقًا لا يعزل علىٰ أصح قولي العلماء، بل ولا يجوز الخروج عليه؛ لما في ذلك من الفتنة وسفك الدماء.

إن إباحة المدينة ثلاثًا نقلها الطبري عن أبي مخنف، وهو شيعي محترق، وكل من ينقلونها من المغرضين.

والطبري روىٰ الخبر بوجه آخر عن وهب بن جرير، ولم يذكر توصية يزيد لقائده مسلم بإباحة المدينة ثلاثًا، مما يدل علىٰ أنها من زيادة أبي مخنف،

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ٢١٨-٢١٩). تاريخ الطبري (٥/ ٤٨٣-٤٨٤).

(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٤٩٥).

وأن الروايات كلها في إباحة المدينة ترجع إلىٰ أبي مخنف وأمثاله؛ لأنها دائمًا تعتمد علىٰ ما رواه الطبري عن أبي مخنف، ويميل القلب إلىٰ القطع بنفي وقوعها.

## حرقُ الكَعْبَةِ

قَدَّمَ لنا الطَّبَرِيُّ ثلاثَ رواياتٍ:

١- عن الواقديِّ بأنَّ أصحابَ ابنِ الزُّبير كانوا يوقِدون حولَ الكعبة، فأقبلتْ شرارةٌ هَبَّتْ بها الرِّيحُ، فاحترقت ثيابُ الكعبةِ، واحترقَ خَشَبُ البيتِ.

٢- من طريق الواقدي أيضًا وعن عروةَ بن أذينةَ بأنَّ رجلًا من أصحابِ ابن الزبير أخذ قبسًا في رأسِ رُمْحٍ له، فطيَّرت الرِّيْحُ به، فضربت أستارَ الكعبةِ، ما بين الركنِ اليمانيِّ والأسودِ.

٣- علىٰ لسان عوانةَ بنِ الحكمِ بأنَّ بني أُمَيَّةَ بعدَ ثلاثةِ أيام قذفوا البيتَ بالمجانيق، وحرقوه بالنَّارِ[1].

وفتوحُ البلدان للبلاذري[2] ينصُّ علىٰ أنَّ ما أصاب الكعبةَ من حريقٍ أثناءَ الحصار كان مَصْدَرُهُ أصحاب ابنِ الزُّبيرِ.

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٤٩٨-٤٩٩). وكذا البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ٢٢٥) إلا أن ابن كثير دمج الروايتين الثانية والثالثة في رواية واحدة.

(٢) ص (٥٥) نقلًا عن الواقدي، فالبلاذري اقتصر علىٰ نقل هذه الرواية عن الواقدي دون الرواية الأخرىٰ.

وأخبارُ مَكَّةَ للأزرقيِّ[1] كلُّ رواياتِهِ تَنُصُّ علىٰ أنَّ أسبابَ الحريقِ كانتْ من جانِبِ ابنِ الزُّبيرِ، وليس لمجانيقِ بني أُمَيَّةَ شأنٌ به.

وكذلك الكاملُ لابن الأثير[2]، ومروجُ الذَّهبِ للمسعوديِّ[3].

ورواياتُ التَّاريخِ تتناقلُ ما ورد سابقًا، فالمغرِضُون ضدَّ بني أمية يسارِعون لإسناده لبني أميَّةَ، ولا يخلو الأمرُ أنَّ أعداءَ ابنِ الزُّبيرِ قد ينسبونَهُ إلىٰ أصحابه.

وأخيرًا إنَّ الشَّكَّ كبيرٌ في إسنادِ إباحةِ المدينة وحرقِ الكعبة إلىٰ جيشِ بني أميَّةَ، فلذا ينبغي الاحترازُ عن الجزمِ في هذه المواضيع، والأمرُ قد وقَعَ، والمسلمون في الطرفين لم يكنْ منهم من يتعمَّدُ وقوعَ هذا، واللهُ أعلم.

يذكر الدكتور يوسف العش في كتابه (الدولة الأموية) كيفَ يقاتلُ أهلُ الشَّام في معركة الحرَّةِ وحربِ ابنِ الزبير بمكة:

---

(١) ص(٢٨٩ حتىٰ ٢٩٤).

(٢) قال ابن الأثير في الكامل (٣/ ٤٦٤): "...رموا البيت بالمجانيق وحرقوه بالنار... وقيل: إن الكعبة احترقت من نار كان يوقدها أصحاب عبد الله حولا لكعبة وأقبلت شرارة هبت بها الريح فاحترقت ثياب الكعبة واحترق حشب البيت، والأول أصح".

(٣) قال المسعودي في مروج الذهب (٣/ ٦٥): "فتواردت أحجار المجانيق والعرادات علىٰ البيت، ورمي مع الأحجار بالنار والنفط ومشاقات الكتان وغير ذلك من المحرقات، وانهدمت الكعبة، واحترقت البنية".

اجتمعَ لمُسْلمِ بنِ عقبةَ القائدِ المخلص للحُكْمِ الأموي إخلاصًا عجيبًا - وهو شيخ متمرِّنٌ علىٰ القتال- اثنا عشر ألفًا، وسار بهم إلىٰ المدينة.

وعرف بعض من كان في الشامِ من الأنصارِ والمهاجرين خطورةَ الأمر، فتوسَّطوا عند يزيد، فناشده النُّعمانُ بن بشيرٍ الأنصاريُّ في عشيرته الأنصارِ، وقال له عبدُ الله بنُ جعفرٍ بنِ أبي طالب: أرأيتَ إن رجعوا إلىٰ طاعتك، أتقبلُ ذلك منهم؟ قال: إن فعلوا فلا سبيل إليهم.

وكانت حربًا ضاريةً، قاتل فيها أهلُ الشَّام؛ لأنَّهم يعتقدون أنَّهم أصحابُ الحق، وكان الجيشُ يستثار، فأمراؤه يقولون: (إنَّ هؤلاءِ القوم وأشباههم من العرب غيَّروا فغيَّر اللهُ بهم، فَتَمُّوا علىٰ أحسن ما كنتم عليه من الطاعة، يتمُّ الله لكم أحسنَ ما يُنيلكم من النَّصْرِ)[1].

وكان مسلمٌ يعتقدُ أنَّ له أجرًا في حربِ أهل المدينة، فبعد أن انتهىٰ من حربه، وسار إلىٰ ابنِ الزُّبيرِ وافتْهُ المنيَّةُ، فقال قبل وفاتِهَ: اللهمَّ إنِّي لم أعملْ عملًا قطُّ بعد شهادةِ أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله أحبَّ إليَّ من قتلي أهلَ المدينةِ، ولا أرجىٰ عندي في الآخرة[2].

(١) هذا النص ورد أيضًا في تاريخ الطبري (٥/ ٤٨٩).

(٢) هذا النص ورد في تاريخ الطبري أيضًا (٥/ ٤٩٧).

وعَهِدَ مسلمٌ قبلَ وفاتِهِ بإمرةِ الجيشِ إلىٰ الحصينِ بن نميرٍ، حسب تعليمات يزيد، فسار الحصينُ إلىٰ حرب ابن الزبير.

وكانَ ابنُ الزبير معتصِمًا بالكعبةِ يبايِعُهُ النَّاسُ فيها، ولا يخرجُ منها. وقد أحجَمَ أهلُ الشَّامِ عن ضربه بادئ الأمر، ثم نصبوا المجانيق، وصاروا يضربون بها.

وحَدَثَ أنَّ رجلًا من أصحابِ ابنِ الزُّبير أشعلَ فتيلًا من النَّار، فوقعَ ذلك الفتيلُ علىٰ ستر من أستارِ الكعبة فحرقه، واتُّهِمَ به أهل الشام.

ثم ورد ابنَ الزبير في خريف ٦٤ هـ خبرٌ من الشَّامِ بوفاةِ يزيد، فأعلمَ ابنُ الزبير جيشَ الشَّام بالخَبَرِ فلم يصدقوه.

ثم جاءَهَمْ تأكيده من مصادِرِهم الخاصةِ، فاضطربوا إذ لم يَبْقَ في أعناقِهِمْ بيعةٌ لخليفةٍ، وأصبحوا محتارين، وأرادَ الحصين إخمادَ الفتنة، ففاوض ابنَ الزبير ﷺ علىٰ شروط:

أوَّلها: أن تُحْقَنَ الدِّماءُ أي: لا يطالِبُ ابنُ الزُّبيرِ بأيِّ ثأرٍ لأهل المدينةِ أو مكةَ.

ثانيها: أن ينتقلَ ابنُ الزُّبيرِ إلىٰ الشَّام، وامتنعَ ابنُ الزُّبيرِ عن قبوله.

فقال الحصينُ: كنت أَعُدُّكَ داهيةً، ثم رَجَعَ بجيشه إلىٰ الشَّام[1]. ا.هـ.

بايع البيتُ الأموي في الشَّـام معاويةَ بنَ يزيد: فتىً في العشـرين من عمره، وكان معاويةُ لا يُحِبُّ الخصـام، ولا يَرْغَبُ في الخلافة، ويرىٰ نفسـه عاجزًا عن تَحَمُّلِ أعبائها، وهو من الزاهدين المتعبدين.

(١) كتاب الدولة الأموية ليوسف العش ص(١٧٥ حتىٰ ١٧٧).

# الفصل السادس

# ما بعد يزيد بن معاوية

## ما بعد يزيد بن معاوية

الخليفةُ معاويةُ الثَّاني بنُ يزيد:

استمرّتْ خلافَتُهُ أربعين يومًا، وقيل: عشرين يومًا وقيل: ثلاثةَ أشهر، ثمَّ خرج إلىٰ النَّاسِ فخلَعَ نفسه أمامهم، ولم يعيِّنْ خَلَفًا له، وتُوفِّي بعد ذلك بقليلٍ[1].

وقد أحدثَ اعتزاله أثرًا شديدًا جدًا في بلاد الشام وسائرِ الأقطار العربيَّةِ، وقد أصبحَ منصبَ الخلافةِ في الشام خاليًا.

ولمَّا استُشْهدَ الحسينُ أهاجَ مقتلُه النَّاسَ جميعًا، وبصفةٍ خاصّةٍ أهل مكة، الذين خرجَ الحسين ﷺ من مدينتِهِم، وبايعَ أهلُ مكَّةَ ابنَ الزُّبير سرًّا وهو معتصمٌ بالكعبة، وكان علىٰ مكّةَ عمرُو بنُ سعيد بنِ العاص، فأقالَه يزيدُ وولَّىٰ بدله الوليدَ بنَ عتبةَ، فتشدَّد علىٰ ابن الزبير ﷺ، فطلب ابنُ الزبير من يزيد أن يُرْسِلَ رجلًا ألينَ منه يتمُّ الصُّلحُ بين المسلمين علىٰ يديه، فاستجابَ يزيدُ وأرسل فتًىٰ غرًّا هو عثمانُ بنُ محمَّدٍ بنِ أبي سفيان.

فأرسلَ إلىٰ يزيدَ وفدًا من أهل المدينة، فأكرمه يزيدُ أيما إكرام، وعادَ الوفدُ يخلعُ يزيد، وفي الوفد عبدُ الله بنُ حنظلةَ الغسيلُ، وأخٌ لابن الزبير اسمه المنذر،

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٩/ ٢٩٩-٣٠٠)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/ ١٣٩)، البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ٢٣٧).

فبايعَ النَّاسُ عبدَ الله بنَ حنظلة علىٰ خلعِ يزيد، وحاصـروا عاملَ المدينة وبني أمية في دار مروان بن الحكم.

فكتب بنو أميَّةَ إلىٰ يزيدَ كتابًا يسـتغيثون: إنَّا قد حُصِـرْنا في دارِ مروان بن الحكم، ومُنِعْنَا الماءَ العذب، ورُمينَا بالجَبوب[1]، فيا غوثاه، يا غوثاه.

فأرسلَ يزيد مسلمَ بنَ عقبة، وحصلتْ معركة الحرَّةِ كما مرَّ، وماتَ مسلمٌ، وخلفه الحُصَـينُ بنُ نمير، وماتَ يزيدُ والحصـينُ يحاصِـرُ مكَّةَ، طلبًا لابن الزبير[2].

عبدُ الله بنُ الزُّبير:

واسـتُخلِفَ مُعاويةُ الثَّاني، وخَلَعَ نفسَـه كما ذكرنا، ولمَّا أصـبَحَ منصـبُ الخلافةِ في الشَّـام خاليًا، فالأقطارُ غيرُ الشـام لم تجدْ أمامها إلا ابنَ الزبير الذي بايَعَهُ أهلُ مكَّةَ سِـرًّا، فبايعتِ الحجازُ والعِراقُ، وأصـبحَ ابنُ الزُّبير خليفةً علىٰ الحجازِ والعراقِ، ثم بايعتْ مصـرُ، وأرادَ أهلُ الشَّـامِ الدخولَ في البيعةِ، ولم يوافق ابنُ الزُّبيرِ علىٰ شَرْطِهِم كما مرَّ[3].

(١) الجبوب: الأرض الغليظة.

(٢) تقدم هذا معنا في الفصل السابق.

(٣) ينظر البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ٢٣٨-٢٣٩).

مروانُ بنُ الحكم:

ووقفَ أهلُ الشَّـام مع مروان بن الحكم فقد عَرَكَ السِّـياسـةَ، ودافعَ عن عثمانَ في الدَّارِ حتَّىٰ كادَ أن يُقْتَلَ دونَه، ولكونهِ شيخَ بني أميَّةَ، فبايعوا مروانَ بنَ الحكم.

ولمّا تمَّتِ البيعةُ لمروان بالشَّـام توجَّهَ تلقاءَ مصـر، وأخذَ البيعةَ، وطرد عاملَ ابن الزُّبيرِ عليها، وعادَ إلىٰ فلسـطين فدخلها، وبايَعَهُ النَّاس فيها، ووجَّه عبيد الله بن زيادٍ إلىٰ العراق، ثم تُوفِّي مروانُ بالطاعونِ، وخلَفه ابنُهُ عبدُ الملك[1].

عبدُ الملك بنُ مروان:

فكتب عبدُ الملك إلىٰ ابنِ زياد يُعلِمُهُ بذلك، وَيُثَبِّتَه علىٰ الجيشِ لحربِ العراق، فحاربَ التَّوابين، وتغلَّب عليهم (والتوَّابون فئةٌ موالية لأهلِ البيت تُريدُ أن تَقْتُلَ قتلةَ سيِّدنا الحسين ﷺ)[2].

وكانَ قد ظهرَ رجلٌ غريبُ الأطوار داهيةٌ؛ وهو المختارُ بنُ أبي عبيدٍ الثَّقفيُّ، فضمَّ إليه فُلولَ التَّوابين، ونادىٰ: يا لَثاراتِ الحسين، وضمَّ إليه السبئية ولِتَتِمَّ خديعَتَه أظهَرَ بأنَّهُ يدعو لمحمَّدِ بن الحنفيَّةِ، وقال: إنَّ محمدَ بن الحنفيَّةِ

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ٣٥٦).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ٢٥٥).

هو المهديُّ الذي يملأُ الأرضَ عدلًا، سيغلبُ الكفَّار ويردُّهم علىٰ أعقابهم خاسرين.

ومجملُ مخطَّطِ المختارِ الثَّقفي إذن: أنَّه جمعَ حوله الشِّيعةَ العربَ والسبئيَّةَ والمواليَ، وأثارَ فيهم الحماسةَ والاندفاعَ، ونظرَ نظرةَ السِّياسيَّ الحكيمِ، فضمَّ إليه قائدًا محنكًا من كبارِ رجال ذلك العصر، وهو إبراهيمُ بنُ الأشترِ النخعي، والأشترُ كان بطلَ صِفِّين، وكان من شيعةِ سيِّدنا عليٍّ ﷺ، فقوِيَ أمرُ المختار به.

فألقىٰ القبضَ علىٰ عاملِ ابن الزبير في الكوفة، ودانتْ له الكوفةُ[1].

وأرسل طليعةً إلىٰ ابنِ زيادٍ فهزمها ابنُ زياد.

وأعلنَ أنه سيُرْسِلُ جيشًا إلىٰ ابن زياد وسينتصرُ عليه.

وفعلًا وقعتِ المعركةُ (موقعة الخازر)، وانتصرَ إبراهيمُ بنُ الأشترِ، وقَتَلَ ابنَ زياد نفسَه والحصينَ وعددًا كبيرًا ممن اشتركوا بدم الحسين، وتَيَقَّنَ الشيعةَ أنّهم أخذوا بثاراتِ الحسين، وتتبَّعَ أصحابُ إبراهيم قتلةَ الحسين حتىٰ وجدوا عُمَرَ بنَ سعدٍ بنِ أبي وقَّاص قتيلًا، فمثَّلوا به[2].

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ٢٦٤ فما بعد).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ٢٨١).

وأصبحَ المختارُ سيِّدَ الكوفةِ، وأراد ضمَّ البصرةِ إليه، ولكنَّ عبدَ الله بنَ الزبير ﷺ أرسل أخاه مصعبًا، وكان فتىً في مُقْتَبَلِ العمر إلا أنَّه شديدُ البأس قويٌّ سريعٌ في أعماله، ليُنَاجِزَ المختارَ.

وكان عاملُ ابنِ الزبير علىٰ البصرة مشغولًا بقتال الخوارجِ الأزارقة، وقد أرسلَ إليهم المهلَّبَ بنَ أبي صُفْرَةَ ليحارِبَهُم.

فاستقدم مصعبٌ المُهَلَّبَ، وأرسلَهُ إلىٰ المختارِ بنِ أبي عبيدٍ، فهزمَ جيشَهُ وقَتَلَهُ وقتلَ عددًا من جماعته[1].

وابنُ الزبير كَشَفَ حالَ المختار، وأنَّ الكُتُبَ التي كان يعرضها باسم محمِّد بنِ الحنفية مُزَيَّفةٌ، فتفرَّقَ الشيعةُ من حوله، ورَجَعَ إبراهيمُ إلىٰ فئةِ ابنِ الزُّبيرِ.

نهايةُ عبدِ الله بنِ الزُّبير ﷺ:

ودخلَ الصِّراعُ الآن بين عبدِ الملك بنِ مروان وعبدِ الله بن الزبير، فمصعبٌ سائدٌ في العراق، وعبدُ الملك بنُ مروان سائدٌ في الشام.

فهيَّأَ عبدُ الملك الأسبابَ، وسارَ إلىٰ حربِ مصعبِ بن الزبير، فانتصرَ عليه وقَتَلَهُ، ودخلَ الكوفة فبايَعَهُ أهلُهَا، وانتقلَ إلىٰ البصرةِ فبايَعَهُ أهلُها، وجاءَ

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ٢٨٨).

إليه المُهَلَّبُ فبايعه وانتقلَ بجيشــه إليه، وأصــبحتِ العراقُ مع عبد الملك بن مروان[1].

ثمَّ جهَّزَ جيشًــا بقيادةِ الحجَّاجِ بنِ يوسـفَ الثقفيِّ، وسـيَّره لحرب عبد الله بن الزبير ﷺ في الحجاز.

تفرَّقَ عن عبد الله بن الزبير أصــحابُهُ، ولم يَسْــتَسْــلِمْ ولاذَ بالكعبَةِ، فقاتَلَهُ الحجَّاجُ في أطرافِ مكَّةَ وشعابِها، فكانَ يلجأُ إلىٰ الكعبة.

فكتبَ الحجَّاجُ إلىٰ عبد الملك يستأذِنُهُ في ضرب ابنِ الزبير وهو متحصِّنٌ بالكعبة، وذكر له أنَّ هذا هو الأســلوبَ الوحيدَ للانتصــارِ عليه، فأذِنَ له بذلك، فصارَ يَضْرِبُ بمنجنيقه علىٰ ابن الزبير وهو في الكعبَةِ.

وتفرَّقَ النَّاسُ عن ابن الزبير، وخذلوه حتىٰ بعض أبنائه، فدخلَ علىٰ أمّهِ أســماءَ ذاتِ النطاقين ﷺ، فقال لها: خَذَلَني النَّاسُ حتىٰ ولديَّ، فما رأيُكِ؟ والقومُ يعرِضــون عليَّ، فقالت: إن كنتَ تُقاتل من أجل الدُّنيا فقد أهلكتَ نفســك وأهلكتَ من معك. وإن كنتَ تُقاتل من أجل الدِّين وترىٰ أنَّك علىٰ حقٍّ، فاثبُتْ. فقال: الرأيُ ما رأيتِ، وخَرَجَ وقاتلَ حَتَّىٰ قُتِل، وصَلَبَهُ الحجَّاجُ.

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ٣١٥).

واستمرَّتْ خلافةُ ابنِ الزُّبيرِ سَبْعَ سنين، ودخلَ في حكمه العراقُ والحجازُ واليمنُ ومصرُ وتوابِعُها، وكان صوَّامًا قوَّامًا وَصولًا للرَّحِمِ[1].

وقد جدَّدَ بناءَ الكعبةِ علىٰ قواعدِ إبراهيم، وأدخلَ الحجرَ والشاذروان فيها، وجعلَ لها بابين بابًا يُدْخَلُ منه، وبابًا يُخْرَجُ منه، وِفْقًا للحديثِ الصَّحيح الذي روتْهُ السيِّدةُ عائشةُ ﵂: ((لولا قومُك حديث عهدهم -قال ابن الزبير: بِكفرٍ- لنقضتُ الكعبةَ، فجعلتُ لها بابين: باب يدخل الناس وباب يخرجون)) ففعله ابن الزبير[2].

فقال عبد الله بن الزبير: زالت الموانعُ التي ذكرها الرسول ﷺ، وأنا أملك ذلك.. ففعلَ. واعتبرَ عبدُ الملك بن مروان هذا خروجًا وقال: دعونا من هناتِ عبد الله بن الزبير. فَهَدَمَ الكعبةَ وأعادها كما كانت في زمنِ رسول الله ﷺ[3].

---

(١) مختصر من كتاب الدولة الأموية، للدكتور يوسف العش ص(٢٠٠-٢٠١)، وينظر البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ٣٢٥ فما بعد)..

(٢) أخرجه البخاري (١٢٦)، ومسلم (١٣٣٣).

(٣) قال ابن كثير في البداية والنهاية (٩/ ٢): "الحجاج لم ينقض بنيان الكعبة جميعه، بل إنما هدم الحائط الشامي حتىٰ أخرج الحجر من البيت ثم سده وأدخل في جوف الكعبة ما فضل من الأحجار، وبقية الحيطان الثلاثة بحالها، ولهذا بقي البنيان الشرقي والغربي وهما ملصقان بالأرض كما هو المشاهد إلىٰ يومنا هذا، ولكن سد الغربي بالكلية وردم أسفل الشرقي حتىٰ جعله مرتفعا كما كان في الجاهلية. ولم يبلغ الحجاجَ وعبد الملك ما كان بلغ ابن الزبير من العلم النبوي الذي كانت أخبرته به خالته عائشة عن رسول الله ﷺ، فلما تمكن ابن الزبير بناها كذلك، ولما بلغ عبد الملك هذا الحديث بعد ذلك قال: وددنا لو تركناه وما تولىٰ من ذلك" ا.هـ.

انتهىٰ الصِّراعُ بين الدَّولةِ الأموية ومعارضِيها ما عدا الخوارج.

الخوارجُ:

والخوارجُ معروفون بالشِّـدَّةِ والغلظة. قال في حقِّهم ﷺ: ((يحقِرُ أحدُكُم صلاته مع صلاتهم، وصيامَه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوزُ تراقيَهُم، يمرُقون من الدِّين كما يمرق السَّهْمُ من الرَّميَّةِ))[1]. وتابع بنو أميَّةَ الحروبَ ضِدَّ الخوارجِ، ولهم فضلٌ عظيمٌ في القضاءِ علىٰ فتنتهم أو تخفيفِ شرِّها وخطرِها.

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤).

# الفصلُ السَّابعُ

## قِصَّةُ استشهادِ الحسينِ بنِ عليٍّ رضي الله عنهما

## وخيوطُ المؤامرةِ السَّبئيَّةِ

# قِصَةُ استشهادِ الحسينِ بنِ عليٍّ ﷺ
# وخيوطُ المؤامرةِ السبئيَّةِ

قصةٌ محزنةٌ، ومأساةٌ أليمةٌ، وجرحٌ عميقٌ في قلبِ كلِّ مسلم، فهو سِبْطُ الرسولِ المختار ﷺ، وسيِّدُ شبابِ أهل الجنَّةِ في الجنَّةِ، وقد كان يُجْلِسُهُ الرَّسولُ ﷺ علىٰ ركبةٍ، وأخاه الحسنَ علىٰ ركبةٍ، ويقولُ: ((اللهمَّ إنِّي أحبُّهُمَا، فأحبَّهُمَا))[1]. وقال فيه وفي الحسن ﷺ: ((الحسنُ، والحسينُ سيِّدا شبابِ أهل الجنَّةِ، وأبوهما خيرٌ منهما))[2].

ونَسْلُ الرسولِ ﷺ محصورٌ بهما، وحبُّ آلِ البيتِ فرضٌ علىٰ كلِّ مسلم.

والدَّارِسُ لهذه الواقعةِ الأليمةِ، وأسبابِها القريبةِ والبعيدةِ، يُدْرِكُ بوضوح أنَّ الأيديْ الملوَّثةَ بدماءِ المسلمين التي عاثتْ في الأرضِ الفسادَ، والتي رتَّبتْ المكائدَ والدسائسَ للقضاءِ علىٰ الإسلام والمسلمين هي التي نَفَّذَتْ هذه الجريمةَ المُفْجِعَةَ.

هذه الأيديْ هي عبدُ الله بنُ سبأ وفئته السبئيون.

زوَّروا الكُتُبَ بالطَّعنِ علىٰ عثمانَ ﷺ علىٰ لسان عليٍّ ﷺ لأهل مصرَ، وعلىٰ لسانِ الزُّبيرِ ﷺ لأهلِ الكوفة، وعلىٰ لسانِ طلحةَ ﷺ لأهلِ البصرةِ،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٤٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٦٨) وقال: "حديث حسن صحيح". وأحمد في مسنده (١٠٩٩٩) لكنهما روياه بدون آخره: (وأبوهما خير منهما). ورواه مع زيادة آخره: ابن ماجة (١١٨)، والحاكم في المستدرك (٤٧٧٩) وقال: "هذا حديث صحيح بهذه الزيادة ولم يخرجها".

ولفَّقوا الإشاعاتِ ضدَّ الخليفةِ الرَّاشديِّ الثالث ذي النورين الذي تستحي منه ملائكةُ الرَّحمن، جامعِ القرآن الكريمِ الحليمِ، وقتلوه في المدينة المنوَّرة في مركز الخلافةِ. هذه الأيدي التي أشعلتْ الحربَ يوم الجملِ بينَ طلحةَ والزبيرِ والسيدةِ عائشةِ وبين الخليفةِ عليٍّ بعد أن تمَّ الصُّلحُ ونامَ المسلمون بخيرِ ليلةٍ.

طلحةُ والزبيرُ والسيدةُ عائشةُ ﷺ، ما خرجوا إلىٰ البصرة، والكوفةِ إلا للإصلاحِ كما ثبتَ بالنُّقول الصحيحةِ، ولمَّا تمَّ التفاهمُ بينهم وبين الخليفةِ علىٰ القصاص من قتلة عثمان علىٰ يد الصحابيِّ الجليل القعقاعِ بن عمرو ﷺ أشعلوا (يعني: السبئيين) الحربَ، ولم يدعوا فرصةً للطَّرفين لتلافي الوقوع في المعركة.

قتلوا طلحةَ بنَ عُبيدِ الله أحدَ العشرةِ المبشَّرين بالجنَّةِ، وهو يحجزُ بين المقاتلين، ويناشِدُ المسلمين أن يُلْقُوا السِّلاح، وقتلوا الزُّبيرَ وهو يُصَلِّي التجاءً إلىٰ الله، ويجأرُ إلىٰ اللهِ أن يوقفَ المعركةَ.

وأرادوا قتلَ عائشةَ ﷺ الصِّدِّيقةَ بنتَ الصِّدِّيقِ عالمةَ النِّساء، وأمَّ المؤمنين التي نزل القرآنُ ببراءَتِها وطهارَتِها، وقتلوا من حَمَلَ المُصْحَفَ بأمرها ليكفَّ النَّاسُ عن القتال، وهو كعبُ بن سور الأزدي.

هذه الأيدي لم تكتفِ بمعركةِ الجمل، بل جَرَّتِ المسلمينَ إلىٰ معركةِ صِفِّينَ، فاخترعتِ الكُتُبَ والرسائلَ علىٰ لسانِ معاويةَ ﷺ بما هَيَّجَ أميرَ

المؤمنين عليَّ بنَ أبي طالب الخليفةَ الراشديَّ للقتال، ولا علمَ لمعاويةَ بها، إلاّ أنَّه بلغه أنَّ عليًّا جهَّزَ جيشًا لقتاله، حيثُ أحاطوا الخليفة من كلِّ جانبٍ حتىٰ لا يتَّصِلَ به أحدٌ، ولم يتسنَّ في هذه الفترة أيُّ وسيط يوصِلُ الأخبارَ.

ولم يكن في نيَّةِ معاويةَ، وعمروِ بن العاص ﷺ، ومن معهما من الصحابة والمسلمين القتالُ البتَّةَ، كما هو ثابتٌ بالطُّرقِ الصحيحة، فقد قالَ شيخُ الإسلام ابنُ تيمية: "ولم يكن معاويةُ ممَّنِ يختار الحرب ابتداءً، بل كان من أشدِّ النَّاسِ حرصًا علىٰ أن لا يكون قتالٌ"[1].

وحَصَلَتِ المعركةُ وقُتِلَ فيها خلق كثير من المسلمين، ولمَّا رُفِعَتِ المصاحفُ طلبًا للتَّحكيم من قِبَلِ طَرَفِ معاويةَ، واستجابَ طرفُ عليٍّ لذلك؛ وقفتِ الحربُ، وجرىٰ التَّحكيمُ[2].

وبعد هذه المعركةُ تكشَّفتْ من هذه الفئةِ وهذه الأيدي الخبيثةِ طائفتان:

١. طائفةٌ تُكَفِّرُ عليًّا ومعاويةَ وعَمْرًا وكلَّ من رضيَ بالتَّحكيمِ، وتستحلُّ دماءَهم وأموالَهم، وقد لقيتْ عبدَ الله بن خبَّابٍ، وهو من أصحابِ رسول الله ﷺ، فسألوه عن أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعليٍّ، فأثنىٰ

(١) انظر منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٤/ ٢١٨)..

(٢) كل ما سبق هو تلخيص لأحداث ذكرت من قبل مفصلة.

عليهم، فذبحوه وبقروا بطنَ امرأته، وقتلوا ثلاثةً من نسوة طيِّئٍ، فأرسلَ إليهم رجلًا لينظرَ فيما بلَغَهُ عنهم، ولكنَّهُم قتلوا الرَّجُل.

فطلبَ منهم الخليفةُ أن يسلِّمُوهُ القَتَلَةَ، فأجابوه إجابةً باغيةً متحدِّيةً، فقالوا: كلُّنا قتلهم، وكلُّنا يستحلُّ دماءكم ودماءَهم[1].

٢. وطائفةٌ منهم تقولُ: إنَّ عليًّا هو اللهُ، وأنَّه الذي خَلَقَ الخَلْقَ، وبسط الرِّزقَ ويسألهم الخليفةُ علي ﷺ، ويُقِرُّون بذلك، بل ويُصرُّون عليه، وبعد تأجيلِهِم ثلاثةَ أيَّام للإقناعِ، بقوا مصرين، فحرَّقهم ﷺ، وقد قرَّرتِ الطائفةُ الأولىٰ -الخوارجُ- قتلَ عليٍّ ومعاويةَ وعمروَ بن العاص، وقَتَلَ عبدُ الرحمن بنُ ملجم أميرَ المؤمنين الخليفةَ الراشديَّ عليًا ﷺ قائلًا: الحكمُ للهِ لا لك يا علي.

وتقول الطائفةُ الثَّانيةُ -الزَّنادقةُ والسبئيون- في الذين حَرَقَهُمْ: لا يحرق بالنَّارِ إلا ربُّ النار، حَرَقَهُمْ من جهةٍ، وأحياهُمْ من جهةٍ ثانيةٍ، فهم يقولون بالحُلول والتقميص.

وفي حقِّ عبدِ الرحمن بن مُلْجِم: إنِّما قتله بأمره، ويعظِّمون عبد الرَّحمن بن ملجم، وسُمِعَ منهم من يقولُ عند ذكر عبدِ الرَّحمن بن ملجم: صلىٰ الله عليه

(١) القصة مفصلة في تاريخ الطبري (٥/ ٨٢-٨٣)، والطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٥/ ٢٤٥)، والبداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٢٧٨). ووردت مختصرة في مسند أحمد (٢١٠٦٤)، والمعجم الكبير للطبراني (٣٦٣٠)، ومصنف ابن أبي شيبة (٣٧٨٩٦) (٣٧٩٢٣).

وسلم. وقالوا لمن أخبرهم بقتله: كذبتَ يا عدوَّ الله، لو جئتَنَا -والله- بدماغه ضربة[1] فأقمتَ علىٰ قتله سبعين عدلًا ما صدَّقناك، ولعلمنا أَنَّهُ لم يقتل، ولم يَمُتْ، وأنَّه لا يموتُ حتىٰ يسوقَ العربَ بعصاه[2].

هذه الأيدي الخبيثةُ الملوَّثَةُ بدماءِ خُلَّصِ عباد الله هي التي قتلتْ الحسينَ بنَ عليٍّ ﷺ، وهي التي قتلتَ والده.

لمَّا استُشْهِدَ الخليفةُ الراشديُّ العالمُ الزَّاهدُ عليُّ بنُ أبي طالب ﷺ الذي جاءت في مقتلِهِ الأحاديثُ الصحيحةُ؛ حصلت بيعتان: بيعةٌ لمعاويةَ ﷺ، وبيعةٌ للحسنِ بنِ عليٍّ ﷺ.

نَظَرَ معاويةُ لما آل إليه حالُ المسلمين، فاختارَ رجلين من كرامِ النَّاس، وأرسلَهُمَا إلىٰ الحَسَنِ ﷺ، وهما عبدُ الرحمن بنُ سمرة، وعبدُ الله بنُ عامر بنِ كريزٍ، يذكّرانه بالحديث الذي تكلَّم به رسولُ الله ﷺ في حقِّ الحسن: ((إنَّ ابني هذا سيِّدٌ، ولعلَّ الله أن يُصْلِحَ به بين فئتين عظيمتين من المسلمين))[3].

وأرسلَ معهما بقرطاس موقَّعٍ عليه من قِبَلِ معاوية ﷺ علىٰ بياضٍ يذكر فيه: بأنه ملتزمٌ لما يقرِّرُ الحسنُ بنُ عليٍّ ﷺ بدون مراجعةٍ، وإذا سألهما الحسنُ من يكفل فليقولا: نحنُ نكفل.

---

(١) ضربةً: دفعة واحدة.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٨/ ٤٤٤)، البدء والتأريخ لابن طاهر المقدسي ص(٤٤٩).

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٠٤).

وهكذا تمَّ الصُّــلحُ علىٰ أن يتولَّىٰ الخلافةَ معاويةُ ﷺ بالإجماع، ويبايِعَهُ الحسنُ ﷺ.

وتتحقَّقُ معجزةُ الرَّسول ﷺ في سيِّدنا الحسن ﷺ، ويبايعُهُ الجميعُ بدون استثناء، وممَّا كتبه الحسنُ: "أن يكونَ الخليفةَ من بعده الحسنَ ﷺ، وأن تُدْفَعَ دياتُ القتلىٰ من بيتِ المال".

وانطلقتْ كتائبُ الجهاد تفتحُ الفتوح، وتبني الدولةَ الإسلاميَّةَ، وشاءت المقاديرُ أن يُتَوفَّىٰ الحسنُ قبل معاوية ﷺ.

وقد اجتهدَ معاويةُ في اختيارِ الخليفة من بعده، واستشارَ أهل الحلِّ والعقدِ من الصحابة، وأهلَ الرَّأيِ والتَّدبيرِ في المسلمين، وتمَّ الاتفاق علىٰ بيعةِ يزيد. وأَخَذَ معاويةُ البيعةَ له من الصَّــحابة باختيارهم ورضــاهم، كما هو التحقيق. والروايةُ الصــحيحةُ: أنَّه تمَّتْ البيعةُ من قبل عبدِ الرحمن بن أبي بكر وعبدِ الله بن عمر والحسينِ بن عليٍّ وعبدِ الله بن الزبير وغيرِهم ﷺ بالرَّضا والاختيار.

وإنَّ سيدَنَا الحسينَ الذي هو سيِّدُ شبابِ أهل الجنَّةِ في الجنَّةِ، وهو الرَّجلُ العالمُ الحازِمُ صاحبُ الإرادةِ الإيمانيّةِ؛ جاءتْهُ رسائلُ من أهل الكوفة من نفسِ الفئةِ الضَّــالَّةِ التي فعلتْ ما فعلت، وهذه الرَّســائلُ تذكرُ يزيدَ بالســوءِ والكفرِ البواحِ. وكثرةُ الرسائل التي هي حِمْلُ جملٍ، جعلتْ سيِّدَنَا الحسينَ يعزم علىٰ

الخروجِ عن البيعة وخلعِ يزيدَ، وفي الرَّسائل أيضًا الوعدُ بالبيعةِ لسيِّدنا الحسين.

وقد اجتهدَ كما اجتهد غَيْرُهُ من الصحابة من قبل، وضحَّىٰ في سبيل الحق باجتهاد أيّما تضحية، ولم يثنِ عزمَه أقوالُ بعضِ الصَّحابةِ، وخاصَّة عبدُ الله بنُ عبَّاس له، واعتبرَ أنَّ ذلك من الثبات علىٰ الحقِّ والتَّضحيةِ في سبيل الله، فخرجَ ﷺ ونَجَحَ السبئيون في إخراجه، وهو مجتهدٌ فيما أقدم عليه، وهم مغرضون في مقاصدهم.

وأصحابُ هذه الرسائل ذكروا له أعدادًا مذهلةً من الذين سيبايعونه حتىٰ يخرجَ علىٰ الخليفة، ولمَّا بلغ يزيدَ الأمرُ أمر عبيدَ اللهِ بن زيادٍ بالخروج بالجيش، ومراقبةِ الأمر حتىٰ لا تَحْصُلَ فوضىٰ.

وإنَّ الذين بايعوا الحسينَ ﷺ وأَغَرْوُهُ بالخروج رجعوا عن ذلك؛ وذلك لعلمهم أنَّهُم إن انضمُّوا للحسين وقاتَلوا معه.. قُتِلوا عن آخرهم وضاعَتْ فِكْرَتُهُم، ولذلك تخلَّوا عن الحسين ﷺ، وساروا مع جيشِ عبيدِ الله بن زياد الذي هو في إمرةِ عمرِ بن سعد، ولكنَّهم ساروا في المقدِّمةِ ليحقِّقوا الهدفَ بقتلِ الحسين ليكون أيضًا وسيلةً لشقِّ الصَّفِّ وإحداثِ بلبلةٍ وفِتَنٍ في صفوف المسلمين.

وهكذا شاء اللهُ أن تَحْدُثَ معركةٌ بين الحسين ومَنْ معه من أهل البيت – وهم قلَّةٌ جدًا–، وبين هؤلاء الطُّغْمَةِ الذين تمرَّسُوا علىٰ الفِتَنِ وإثارةِ السوء، ويقتلُ الشِّمْرُ بن ذي الجوشن سيِّدَنا الحسينَ علىٰ أشهر الأقوال. ولقد حاولَ سيِّدُنا الحسينُ بأن يتفاوضَ معهم علىٰ أن يتركوه ليعودَ من حيث جاء، أو يتركوه يسيرُ مجاهدًا في سبيل الله، أو يَدَعُوه يذهب إلىٰ يزيدَ في دمشق، فأبوا إلا أن يَسلِّم نفسه لابن زياد وينزلَ علىٰ حكمه، ولمَّا لم يَرَ سيِّدُنا الحسينُ هذا مفيدًا بقي علىٰ موقفه.

ولمَّا قُتِلَ الحسينُ ووصل الخبرُ إلىٰ دمشق بكاه القريبُ والبعيدُ، وبكاه بنو أميّةَ رجالًا ونساءً وأطفالًا[1]، ولم يوقَدْ في بيوتهم نارٌ طوال أسبوع، وبكىٰ يزيدُ[2] بكاءً عظيمًا.

وأنزل بنو أميَّةَ آل البيت ومن معهم في أحسن مكانٍ في دمشق[3]، ثم خرجَ أربعون امرأةً من نساء بني أميَّةَ يشيِّعنَ بناتِ عمِّهن حتىٰ وصلن إلىٰ المدينةِ المنوَّرَةِ.

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٠ حتىٰ ٤٦٤). البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ٢٣٢).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٩٦).

(٣) قال ابن كثير في البداية والنهاية (٨/ ٢٣٢): "وأكرم –أي يزيد– آل بيت الحسين، وردّ عليهم جميع ما فُقِد لهم وأضعافه، وردّهم إلىٰ المدينة في محامل وأبهة عظيمة".

وما يُروىٰ أن يزيدَ لعب برأس الحسين فليس له من الصِّحَّةِ نصيبٌ، لا من قريبٍ ولا من بعيدٍ، بل الصحيحُ أن الرَّأس لم يُنْقَل من كربلاء، لا إلىٰ دمشقَ ولا إلىٰ مصرَ.

والقِصَّةُ من وَضْعِ أهل المؤامرة، ونقلها عنهُمُ الثِّقَاتُ، وأصبح الأمر مُحَيِّرًا للدارس، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم.

ولم يكنْ لبني أمية أيُّ تصرَّفٍ ضدَّ الحسين ومن معه إلا الاحترام والإكرام.

فكلُّ مسلمٍ يتألَّمُ لقتلِ الحسين ﷺ، والجريمةُ تَهُزُّ مشاعرَ المسلمين، وتنبِّهُهُمْ إلىٰ خطرِ أولئك السبئيين الذين شقُّوا وحدةَ المسلمين.

وإن عدم تصرف يزيد بالضرب علىٰ يد هؤلاء ساعد ناقلي الفتنة، ولو أن بني أمية تتبعوهم حتىٰ لم يبق منهم إلا من اختفىٰ واستتر.

ومضىٰ الحسين شهيدًا كما استشهد أبوه من قبل.

وكما استشهد طلحة والزبير وكما استشهد عثمان ﷺ أجمعين.

وبنو أمية تابعوا قتال الخوارج الذي ابتدأه أبو الحسن والحسين ﷺ، وتتبعوا كل من اشترك بدم الحسين ﷺ، وتتبعوا السبئيين بما لا يدع لهم أي مجال، فاختفوا حتىٰ ظهروا باسم القرامطة.

وباعتبار الدولة الأموية الدولة الإسلامية التي فتحت الفتوح؛ ركز أعداء الإسلام وتلاميذ عبد الله بن سبأ الذين نشروا فكرة التشيع وحب آل البيت؛ النيل من الدولة الأموية.

وهذا زين العابدين علي بن الحسين يذكر ما فيه الكفاية عن موقف يزيد والأمويين، ولسنا بحاجة إلىٰ أن نتحدث بأكثر من هذا.

فقتلُ سيدنا الحسين كان من قبل الفئة الضالة عليها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا علاقة للمسلمين بها؛ لا أمويين، ولا غيرهم.

ونقول هذا إبراءً للذمة ونصرة للحق، لا اتباعًا للهوىٰ، ولا خروجًا عن الصدق.

قُتِلَ الحسينُ مظلومًا، وقُتِلَ عليٌّ مظلومًا، وقُتل طلحةُ والزبيرُ مظلومَين، وقُتِلَ عثمانُ مظلومًا، بل وقُتِلَ عمرُ مظلومًا. وأكبرُ الظَنِّ أنَّ المؤامرةَ نفسَهَا قتلتْ عُمَرَ ﷺ ولكن يحتاجُ الأمرُ إلىٰ تمحيصٍ كثير.

وقافلةُ الشُّهداءِ سائرةٌ: أنبياءٌ ومرسلون، وصحابةٌ وتابعون، ومن بعدهم، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وأخيرًا:

لا علاقةَ للصَّحابة بمعركةِ الجمل، ولا بمعركةِ صِفِّينَ، وإنما جُرُّوا إليها جَرًّا دون أن يستطيعوا ردَّها أو الخلاصَ منها. وكما هو ظاهرٌ؛ موضوعُ

السبئيين موضوعٌ هام يجب دراسَتُهُ والتَّوسُّعُ فيه، وهم أعداءُ الإسلام، فلا ينبغي أن يُتَّخَذَ من الخلافِ بين الصحابة، ولا من هذه الحوادث طريقٌ لتمزيق الصفوفِ أو إثارةِ العداوات بين المسلمين، بل يجبُ أن يتَّفِقَ الجميعُ ضِدَّ أعداء الإسلام ومؤامراتهم.

وقد قال أحدُ الصالحين:

"الحياةُ صراعٌ دائمٌ بين الحقِّ والباطلِ، والإيمانِ والكفرِ، ولا يستطيعُ أحدٌ أن يَرُدَّ قضاءَ الله وقَدَرَهُ".

فرحِمَ اللهُ الحسينَ في الشهداءِ الخالدين، ورحمَ الذين قُتِلُوا معه، ورَحِمَ أباه من قبل، والشهداءَ جميعًا، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

خلاصة ما نقل في صورة القتل:

أن الشِّمْرَ حضَّ علىٰ القتل، ومالكَ بنَ البشير ضربَ الحُسَيْنَ علىٰ رأسِهِ بالسَّيفِ فأدمىٰ رأسه.

قال ابن كثير: "لم يُقدِم أحدٌ علىٰ قتله حتىٰ نادىٰ شِمْرُ بن ذي الجوشن: ويحكم، ماذا تنتظرون بالرَّجل، فاقتلوه ثكلتكم أمهاتكم. فحملت الرجال من كل جانب علىٰ الحسين، وضربه زرعة بن شريك التميمي علىٰ كتفه اليسرىٰ، وضربَه بالسيف علىٰ عاتِقِهِ، ثم انصرفوا عنه وهو ينوء ويكبو ثُمَّ جاءَ إليه سنانُ

بنُ أبي عمرو بنِ أنسٍ النخعي، فطعنَهُ بالرُّمحِ فوقعَ، ثُمَّ نزل فذبَحَهُ، وحَزَّ رأسَه، ثم دفَعَ رأسَهُ إلىٰ خولي بن يزيد.

وقيل: إنَّ الذي قَتَله شمر بن ذي الجوشن، وقيل: رجلٌ من مُذْحِج، وقيل: عمرُ بنُ سعد، وليس بشيءٍ، وإنِّما كان عمرُ بنُ سعدٍ أميرَ السَّرِيَّةِ التي قتلت الحسين فقط، والأوَلُ أشهر"[1].

وابنُ زيادٍ قائدُ جيش بني أميَّةَ هو الذي أرسلَ عمرَ بنَ سعدٍ هذا، وذُكِرَ أنَّ الذين قتلوا الحسينَ مجموعةٌ -يعني: هؤلاء- والله أعلم.

وإنما رَجَّحْتُ أن القاتل هو الشِّمْرُ لأنِّي قرأتُ أن نافِعَ بنَ هلال الجملي قال للشِّمْرِ: أما والله لو كنتَ من المسلمين لعَظُمَ عليك أن تلقىٰ الله بدمائنا، فالحمدُ لله الذي جعل منايانا علىٰ يدي شرارِ خلقه، فقتله[2].

وقد قتل فيما بعد كل من اشترك في دم الحسين شر قتلة.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا وحبيبنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، والتابعين، وتابعيهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٨٧-١٨٨).

(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٤٤٢).

## مصادر الكتاب


١. أحكام القرآن، القاضي أبو بكر ابن العربي، تعليق: محمد عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط٣ (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).

٢. أخبار الشيعة وأحوال رواتها، محمود شكري الألوسي، تعليق: محمد مال الله (كتاب حُمّل من الإنترنت بدون ذكر تفاصيل الطبعة).

٣. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، أبو الوليد محمد بن عبد الله الأزرقي، تحقيق: د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، نشر: مكتبة الأسدي، ط١ (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).

٤. الأدب المفرد، البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، نشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط٣ (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م).

٥. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، نشر: دار الجيل - بيروت، ط١ (١٤١٢هـ).

٦. أسد الغابة، عز الدين ابن الأثير الجزري، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١ (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).

٧. الإصابة في تميز الصحابة، بن حجر العسقلاني، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

٨. أنساب الاشراف، البلاذري، تحقيق وتعليق: محمد باقر المحمودي، نشر: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات – بيروت، ط١ (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م).

٩. الأوائل، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، نشر: دار البشير - طنطا، ط١ (١٤٠٨هـ).

١٠. الإيمان، أبو عبد الله محمد بن يحيىٰ العدني، تحقيق: حمد بن حمدي الجابري الحربي، نشر: الدار السلفية – الكويت، ط١ (١٤٠٧هـ).

١١. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان، أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، نشر: دار الفكر – بيروت (١٤٢٠هـ).

١٢. البداية والنهاية، ابن كثير، نشر: دار الفكر (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م).

١٣. البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق: فوزي عطوي، نشر: دار صعب – بيروت، ط١ (١٩٦٨م).

١٤. البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، أبو الوليد ابن رشد القرطبي، تحقيق: د. محمد حجي وآخرون، نشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط٢ (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

١٥. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، نشر: دار الكتاب العربي – لبنان، ط١ (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

١٦. تاريخ الخلفاء، السيوطي، تحقيق: حمدي الدمرداش، نشر: مكتبة نزار مصطفىٰ الباز، ط١ (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).

١٧. تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، عمر فروخ، نشر: دار العلم للملايين - بيروت (١٩٧٠م).

١٨. تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري، نشر: دار التراث – بيروت، ط ٢ (١٣٨٧هـ).

١٩. التاريخ الكبير، البخاري، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، وضع حواشيه: الشيخ محمود محمد خليل، نشر: دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد – الدكن.

٢٠. تاريخ المدينة، ابن شبّة، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، طبع علىٰ نفقة: السيد حبيب محمود أحمد – جدة (١٣٩٩هـ).

٢١. تاريخ دمشق، ابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، نشر: دار الفكر، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).

٢٢. تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، نشر: دار طيبة، ط٢ (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

٢٣. تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، أبو بكر الباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، نشر: مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان، ط١ (١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م).

٢٤. تهذيب الأسماء واللغات، النووي، نشر: دار الفكر – بيروت، ط١ (١٩٩٦م).

٢٥. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، نشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١ (١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م).

٢٦. الثقات، ابن حبان البستي، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، نشر: دار الفكر، ط١ (١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م).

٢٧. جامع المسائل لابن تيمية – المجموعة الخامسة، تحقيق: محمد عزير شمس، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، نشر: دار عالم الفوائد – مكة المكرمة، ط١ (١٤٢٤هـ).

٢٨. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، نشر: دار السعادة – بجوار محافظة مصر (١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م).

٢٩. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، البيهقي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، نشر: دار الكتب العلمية + دار الريان للتراث – بيروت + القاهرة، ط١ (١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م).

٣٠. دلائل النبوة، أبو نعيم الأصبهاني، تحقيق: د. محمد رواس قلعه جي – عبد البر عباس، نشر: دار النفائس – بيروت، ط٢ (١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م).

٣١. الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان، د. يوسف العش، نشر: دار الفكر – دمشق، ط٢ (١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م).

٣٢. الذخيرة، القرافي، تحقيق: محمد حجي، نشر: دار الغرب – بيروت (١٩٩٤م).

٣٣. رجال الكشي (اختيار معرفة الرجال)، أبو جعفر الطوسي، تحقيق: جواد القيومي الأصبهاني، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي – قم – إيران، ط١ (١٤٢٧هـ).

٣٤. الردّ علىٰ المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد، ابن الجوزي، تحقيق: د. هيثم عبد السلام محمد، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ (٢٠٠٥هـ – ١٤٢٦م).

٣٥. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١ (١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م).

٣٦. الرياض النضرة في مناقب العشرة، محب الدين الطبري، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢.

٣٧. الزهد، الإمام أحمد بن حنبل، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١ (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

٣٨. سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله، نشر: دار الرسالة العالمية، ط١ (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).

٣٩. سنن أبي داود، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، نشر: دار الرسالة العالمية، ط١ (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).

٤٠. سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض (جـ ٤، ٥)، نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي – مصر، ط٢ (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م).

٤١. السنن الكبرىٰ، البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية –بيروت، ط٣ (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).

٤٢. سنن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، نشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط٢ (١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م).

٤٣. سنن سعيد بن منصور، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، نشر: الدار السلفية – الهند، ط١ (١٤٠٣هـ -١٩٨٢م).

٤٤. سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة، ط٣ (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

٤٥. سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، تحقيق: سهيل زكار، نشر: دار الفكر – بيروت، ط١ (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م).

٤٦. السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، علي بن برهان الدين الحلبي، نشر: دار المعرفة – بيروت (١٤٠٠هـ).

٤٧. السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد بن محمد أبو شهبة، نشر: دار القلم – دمشق، ط٢ (١٤١٢هـ – ١٩٩٢م).

٤٨. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد، تحقيق: محمود الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، نشر: دار ابن كثير – دمشق، ط١ (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م).

٤٩. شرح ابن أبي الحديد علىٰ نهج البلاغة، نشر: المطبعة الميمنية (١٣٢٦هـ).

٥٠. شرح النووي علىٰ مسلم (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢ (١٣٩٢هـ).

٥١. شرح صحيح مسلم (إكمال المُعْلِم بفوائد مسلم)، القاضي عياض، تحقيق: د. يحْيَىٰ إِسْمَاعِيل، نشر: دار الوفاء – مصر، ط١ (١٤١٩هـ – ١٩٩٨م).

٥٢. الشريعة، أبو بكر الآجري، تحقيق: د. عبد الله بن عمر الدميجي، نشر: دار الوطن – الرياض، ط٢ (١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م).

٥٣. شعب الإيمان، البيهقي، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف علىٰ تحقيقه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، نشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط١ (١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م).

٥٤. الشيعة والسنة، إحسان إلهي ظهير الباكستاني، نشر: إدارة ترجمان السنة – لاهور – باكستان، ط٣ (١٣٩٦هـ – ١٩٧٩م).

٥٥. صحيح البخاري تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، نشر: دار طوق النجاة، ط١ (١٤٢٢هـ).

٥٦. صحيح مسلم، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٥٧. الصواعق المحرقة علىٰ أهل الرفض والضلال والزندقة، ابن حجر الهيتمي، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي - كامل محمد الخراط، نشر: مؤسسة الرسالة – لبنان، ط١ (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

٥٨. طبقات الفقهاء، أبو اسحاق الشيرازي، هذّبه: محمد بن مكرم ابن منظور، تحقيق: إحسان عباس، نشر: دار الرائد العربي – بيروت، ط١ (١٩٧٠م).

٥٩. الطبقات الكبرىٰ، محمد بن سعد البصري، تحقيق: د. إحسان عباس، نشر: دار صادر – بيروت، ط١ (١٩٦٨م).

٦٠. عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، سليمان فهد العودة، نشر: دار طيبة، ط٣ (١٤١٢هـ).

٦١. العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي، تحقيق: محب الدين الخطيب - ومحمود مهدي الاستانبولي، نشر: دار الجيل بيروت – لبنان، ط٢ (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

٦٢. فتاوىٰ ابن الصلاح، تحقيق: د. موفق عبد الله عبد القادر، نشر: مكتبة العلوم والحكم، عالم الكتب – بيروت، ط١ (١٤٠٧هـ).

٦٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني الشافعي، رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، صححه وأشرف علىٰ طبعه: محب الدين الخطيب، مع تعليقات: ابن باز، نشر: دار المعرفة – بيروت (١٣٧٩هـ).

٦٤. فتوح البلدان، البلاذري، نشر: دار ومكتبة الهلال- بيروت (١٩٨٨م).

٦٥. الفَرْق بين الفِرَق وبيان الفرقة الناجية، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي، نشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط٢ (١٩٧٧م).

٦٦. الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الأندلسي، نشر: مكتبة الخانجي – القاهرة.

٦٧. الكامل في التاريخ، عز الدين ابن الاثير الجزري، تحقيق: عبد الله القاضي، نشر دار الكتب العلمية – بيروت (١٤١٥هـ).

٦٨. كشف الأستار عن زوائد البزار، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، نشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١ (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

٦٩. لباب النقول في أسباب النزول، السيوطي، تصحيح: أحمد عبد الشافي، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٧٠. لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت، ط٢ (١٣٩٠هـ - ١٩٧١م).

٧١. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، نشر: دار الفكر – بيروت، (١٤١٢هـ).

٧٢. مجموع الفتاوىٰ، ابن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م).

٧٣. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي القاري، نشر: دار الفكر – بيروت، ط١ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م).

٧٤. مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، اعتنىٰ به: كمال حسن مرعي، نشر: المكتبة العصرية – بيروت، ط١ (١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م).

٧٥. المستدرك علىٰ الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ (١٤١١هـ – ١٩٩٠م).

٧٦. مسند ابن أبي شيبة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي - أحمد بن فريد المزيدي، نشر: دار الوطن – الرياض، ط١ (١٩٩٧م).

٧٧. مسند أبي يعلىٰ، تحقيق: حسين سليم أسد، نشر: دار المأمون للتراث – دمشق، ط١ (١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م).

٧٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر: مؤسسة الرسالة، ط١ (١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م).

٧٩. مسند البزار (البحر الزخار)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلىٰ ٩) وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلىٰ ١٧) وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)، نشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط١ (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

٨٠. مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، نشر: مكتبة الرشد - الرياض، ط١ (١٤٠٩هـ).

٨١. مصنف عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، نشر: المكتب الإسلامي - بيروت، ط٢ (١٤٠٣هـ).

٨٢. مصنف عبد الرزاق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، نشر: المجلس العلمي- الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي - بيروت، ط٢ (١٤٠٣هـ).

٨٣. المعجم الأوسط، الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد - عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، نشر: دار الحرمين - القاهرة.

٨٤. معجم البلدان، ياقوت الحموي، نشر: دار صادر - بيروت، ط٢ (١٩٩٥م).

٨٥. المعجم الصغير، الطبراني، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، نشر: المكتب الإسلامي دار عمار - بيروت عمان، ط١ (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

٨٦. المعجم الكبير، الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، نشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط٢.

٨٧. المغازي النبوية، ابن شهاب الزهري، تحقيق: د. سهيل زكار، نشر: دار الفكر - دمشق (١٤٠١هـ - ١٩٨١م).

٨٨. مقال: تاريخنا بين كيد أعدائه وإعراض أبنائه، د. محمد بن صامل السلمي، مجلة البيان، العدد ٧٢.

٨٩. المقالات والفرق، سعد بن عبد الله القمي، تصحيح وتعليق: د. محمد جواد مشكور، نشر: مركز انتشارات علمي وفرهنكي - إيران (عام ١٣٦٠هـ).

٩٠. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، ابن تيمية الحراني، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، نشر: مؤسسة قرطبة، ط١ (١٤٠٦هـ).

٩١. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، نشر: دار المعرفة - بيروت، ط١ (١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م).

٩٢. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين ابن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، نشر: المكتبة العلمية - بيروت (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

٩٣. الوافي بالوفيات، الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفىٰ، نشر: دار إحياء التراث - بيروت (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).

٩٤. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خَلِّكان البرمكي الإربلي، تحقيق: إحسان عباس، نشر: دار صادر - بيروت.

ISBN 978-1-953269-02-7
9 781953 269027

الناشر
موقع الشيخ محمد علي مشعل
www.mashal.ws